

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

العبودية في العصر البابلي القديم ٢٠٠٠ - ١٥٩٥ ق.م

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم

إعداد الطالب

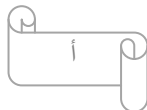
أحمد حسين المشعل

إشراف الدكتور

حسان عبد الحق

أستاذ مساعد في قسم التاريخ جامعة دمشق

٢٠١٨ م / ١٤٣٩ هـ



فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث باللغة العربية	د
- مقدمة	١
الفصل الأول - دراسة تاريخية ، اجتماعية ، اقتصادية	٦
أولاً - دراسة تاريخية	٧
- الأموريون في بلاد الرافدين	٧
١ - مملكة أشنونا	١١
٢ - مملكة إيسين	١٢
٣ - مملكة لارسا	١٥
٤ - مملكة ماري	١٦
٥ - مملكة آشور	١٨
٦ - المملكة البابلية الأولى	١٩
ثانياً - دراسة اجتماعية	٢٣
١ - طبقات المجتمع	٢٣
أ - الطبقة الأولى : الأويلوم	٢٤
ب - الطبقة الثانية : الموشكينوم	٢٤
ج - الطبقة الثالثة : العبيد	٢٥

٢٥	٢ - الأسرة
٢٥	أ - الزواج
٢٧	ب الطلاق
٢٧	ج - الإرث
٢٨	د - التبني
٣٠	ثالثاً - دراسة اقتصادية
٣٠	١ - الزراعة
٣٢	- الري
٣٣	٢ - الصناعة (الحرف)
٣٤	٣ - التجارة
٣٦	- وسائل النقل وطرق المواصلات
٣٨	الفصل الثاني - مفهوم العبودية و مصادرها
٤٠	أولاً - مفهوم العبودية
٤٠	١ - التعريف المعجمي للعبودية (الدلالة اللغوية)
٤٢	٢- الدلالة الاصطلاحية للعبودية
٤٣	أ - الجانب القانوني
٤٤	ب الجانب الاجتماعي
٤٧	ج الجانب الاقتصادي
٥٠	د - الجانب الديني

٥١	٣ - عوامل نشوء العبودية
٥٢	ثانياً - مصادر العبودية
٥٢	١ - أسرى الحرب
٥٣	أ - رسائل إلى زمري ليم بخصوص أسرى حرب
٥٤	- رسالة من يمصوم
٥٤	- رسالة من ياريم - أدو
٥٥	- رسائل من ياسيم - إيل
٦١	- رسالة من إدياتوم
٦٢	- رسالة من زمري - أدو
٦٣	ب - وضع الأسير القانوني
٦٤	٢ - عبودية الدين
٦٩	أ - الرهينة من أجل الدين
٧٢	ب - وضع الرهينة القانوني
٧٥	ج - الكفالة في الدين
٧٩	٣ - عبودية المجاعة
٨١	٤ - العبودية كعقوبة على :
٨١	أ - نكران أبناء التبني والديهم
٨٦	ب - الزوجة التي لا تحترم الروابط الزوجية
٨٨	ج - ارتكاب جرائم معينة

٩٠	٥ - العبيد عن طريق التجارة
٩٦	أ - مشاكل تجارة العبيد
٩٩	ب - أسعار العبيد
١٠٢	الفصل الثالث - أنواع العبيد
١٠٣	أولاً - عبيد المعبد
١٠٥	١ - العبيد كهبة للمعبد
١٠٨	٢ - العبيد كهبة لكاهنات المعبد
١١١	٣ - العبيد كجزء من الإرث لكاهنات المعبد
١١٢	- العبيد كجزء من تركة الناديتو
١١٣	٤ - العبيد كجزء من المهر لكاهنات المعبد
١١٦	- أعمال عبيد الكاهنات
١٢٠	ثانياً - عبيد القصر (عبيد الدولة)
١٢٣	١ - العبيد كهدايا للملوك والحكام
١٢٨	٢- أعمال عبيد القصر
١٣٢	٣ - احتجاز عبيد القصر
١٣٧	ثالثاً - العبيد الخاصون (عبيد المنزل)
١٣٨	١ -العبيد كهبة للأبناء و الآباء
١٤٢	٢ -العبيد كجزء من الإرث للأبناء
١٤٨	٣ -أعمال العبيد الخاصون

١٤٩	أ - أعمال العبيد الخاصون في الغزل و النسيج والخياطة
١٥٠	ب - عقود تأجير العبيد
١٥٨	الفصل الرابع - وضع العبد القانوني
١٥٩	أولاً - زواج العبيد :
١٦٠	١ زواج العبد بامرأة حرة
١٦١	٢ زواج الأمة بالرجل حر
١٦٤	٣ تقديم الكاهنات إماء لأزواجهن من أجل الإنجاب
١٦٦	ثانياً - هروب العبيد
١٧٣	ثالثاً - علامات العبودية
١٧٥	١ طليعة علامات العبودية
١٧٧	٢-إزالة علامات العبودية
١٧٨	رابعاً- إيذاء العبيد
١٨٢	خامساً- بيع العبيد
١٨٧	سادساً - إعتاق العبيد
١٨٨	١ - العتق الإلزامي (المشروط قانوناً)
١٨٨	أ - تحرير أسرى الحرب
١٩٠	ب - تحرير عبيد الدين
١٩٣	٢- العتق غير الإلزامي
١٩٣	أ - عن طريق التبني

١٩٩	ب - عن طريق الشراء
٢٠١	- خاتمة
٢٠٤	- الملاحق
٢٠٤	أولاً - الجداول
٢٠٧	ثانياً - الأشكال
٢١١	ثالثاً - المواد المتعلقة بالعبيد في قوانين العصر البابلي القديم
٢١٩	رابعاً - النصوص
٢٣٠	- المراجع العربية و المعربة
٢٣٥	- المراجع الأجنبية
٢٤٢	- ملخص البحث باللغة الإنكليزية

ملخص البحث باللغة العربية

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة أكاديمية عن العبودية كنظام وظاهرة كانت منتشرة في العصر البابلي القديم. في منطقة بلاد الرافدين، المنطقة الجغرافية الممتدة من جنوب شرقي تركيا (ماردين وديار بكر) شمالاً حتى الخليج العربي جنوباً، ومن جبال زاغروس شرقاً حتى البادية السورية غرباً.

يتألف هذه البحث من أربعة فصول أساسية. الفصل الأول: قدمت فيه دراسة تاريخية عن الأموريين وأهم الممالك التي أسسوها في منطقة بلاد الرافدين، ودراسة اجتماعية عن طبقات المجتمع والأحوال الشخصية له، ودراسة اقتصادية لأهم النشاطات الاقتصادية وطرق المواصلات له.

الفصل الثاني: قدمت فيه دراسة عن مفهوم العبودية وشرحت دلالاتها اللغوية والاصطلاحية (القانونية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والفلسفية)، وعوامل نشوء العبودية. وتحدثت عن مصادر العبودية التي يأتي في مقدمتها أسرى الحرب ثم عبودية الدين وعبودية المجاعة والعبودية كعقوبة، والعبودية في حال ارتكاب جرائم معينة تمس مصالح الآخرين، والعبودية عن طريق التجارة وهو المصدر الذي طغى فيما بعد على المصادر الأخرى، وتناولت فيه مشاكل هذه التجارة وأسعار العبيد.

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن أنواع العبيد الذي يأتي في مقدمتهم عبيد المعبد، الذي كان يحصل عليهم عن طريق الهبات والنذور المقدمة إليه من القصر ومن أشخاص آخرين متدينين. والنوع الثاني، عبيد القصر أو عبيد الدولة الذي أصبح السلطة العليا في هذا العصر حيث تقلص دور المعبد، والذي كان ينوبه حصة الأسد من الغنائم التي تضمنت أسرى الحرب، وقد كان يتم تبادل العبيد كهدايا بين الملوك والحكام والقادة، وتحدثت عن أعمالهم وعن احتجازهم من قبل الآخرين.

الفصل الرابع: تحدثت فيه عن وضع العبد القانوني، تناولت فيه زواجه من حرة ومن أمة، وتقديم الكاهنات إماء لأزواجهن من أجل إنجاب الأطفال، وهروب العبيد وعلامات العبودية وبيع العبيد وإيذاء العبيد وأخيراً إعتاق العبيد وتحريرهم من رقة العبودية.

- مُقَدِّمَةٌ :

تعد الحضارة البابلية القديمة من الحضارات العظيمة في شرقنا القديم، ويشكل مجتمعها النواة الرئيسة لهذه الحضارة، وقد كان يتألف من ثلاث طبقات رئيسة، الأولى طبقة الأحرار (أويلوم) ويتمتع أفرادها بامتيازات كبيرة في الدولة والمجتمع، والطبقة الثانية (الموشكينوم)، وهي الطبقة الوسطى في المجتمع، ويمتلكون صفات وميزات أقل من طبقة الأويلوم وأكثر من طبقة العبيد. ويحتل العبيد (واردوم) الطبقة الثالثة، وهي أدنى طبقة في المجتمع البابلي القديم، وهي المغلوبة على أمرها. والعبودية نظام ذو قواعد لاستعباد الأشخاص، يقوم على امتلاك شخص قوي لشخص ضعيف، بصورة قانونية وهو مجبر على طاعته، وهو جزء من ثروته وممتلكاته المنقولة (ويقصد بها المواد التي يمكن نقلها من مكان إلى آخر بسهولة وتشمل الحبوب بأنواعها كافة، والحيوانات والمواد الاستهلاكية الأخرى)، والقوة نابعة إما من المال وإما من السلطة، وقد تجتمع الاثنتان في شخص واحد.

لقد عرف الرافديون القدماء ظاهرة العبودية منذ أقدم العصور، حيث تشير الكتابة الصورية التي استخدمت للدلالة على العبد المملوك أو الأمة المملوكة إلى أن العبودية كانت معروفة منذ بداية استخدام الكتابة الصورية وسيلة للتدوين في أواسط الألف الرابع قبل الميلاد. فالجماعات البدائية في العصر الحجري التي كانت تعتمد في تأمين قوتها اليومي على الصيد وجمع الثمار الطبيعية لم تكن تعرف العبودية، فقد ساد بينها العمل الجماعي المشترك. ولكن خلال فترة التحول من الصيد إلى الزراعة بدأ الإنسان بتدجين بعض الحيوانات وبزراعة الأرض والاستقرار فيها وأصبح له موطن ثابت، وأصبح العمل ضرورياً لتنمية الملكية. وقد كانت الأسرة في البداية تنتج لنفسها وتصنع ما تحتاج إليه، فلما تطورت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، لم تعد الأسرة تنتج لنفسها فقط بل أخذت تنتج لغيرها، فزادت الحاجة إلى العمل وإلى تنظيمه، فالعبيد وُجدوا في المجتمعات ذات الحضارات التي تنتج فائضاً اقتصادياً، كالمجتمعات الزراعية.

كانت ظاهرة العبودية منتشرة في العديد من المجتمعات حول العالم ولها عدة أشكال، ونحن نعلم أن العبودية كانت ظاهرة متعارفاً عليها في جميع الحضارات الرئيسة في الشرق القديم. وقد كان مصدر العبيد الرئيس منذ عصر السلالات السومرية الباكورة وصولاً إلى العصر البابلي القديم بصورة عامة من أسرى الحرب حيث كان يشكل الأسرى أهم غنائم الحرب، ونتيجة لازدياد الحروب في العصر البابلي القديم بدأ يزداد عدد العبيد، فالأسرى الذين كانوا يقعون في قبضة عدوهم كان مصيرهم الاستعباد. حيث كان يتم استخدامهم في العمل، فأصبحوا أدوات إنتاج، ومورداً اقتصادياً مريحاً، فمنهم من تستبقهم لمرافق المدينة فيكونون عبيداً مملوكين للدولة، حيث كانوا يُسخرون لبناء المعابد وتشييد القصور وشق الطرقات وحفر

الآبار وما إلى ذلك من أعمال عامة أخرى. وقد كانت المعابد والقصور الملكية في البداية ومنذ عصر السلالات الباكورة في سومر هي المالك الوحيد للعبيد، حيث كانوا يسكنون في ثكنات تحوي على مجموعات العمال، ولكن نتيجة تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية تطورت الملكية الشخصية بالتدريج وأصبح بإمكان العامة امتلاك العبيد أيضاً. حيث كان القصر يبيع الزائد عن حاجته من أسرى الحرب إلى التجار والمزارعين وأرباب الأسر للاستفادة من قوته البدنية أو من مزاياه الفكرية. حيث قدر أن رب البيت الثري كان يملك اثنين أو ثلاثة من العبيد في بابل. أما بالنسبة للإماء فبالإضافة إلى استخدامهن في الجنس كانت أعمالهن الرئيسية تنحصر في مطاحن الحبوب والمعابد وفي الورشات كالغزل والنسيج .

ولكن مع بداية عهد المملكة البابلية الأولى لم يعد عدد العبيد من أسرى الحرب يكفي لتغطية جميع الأعمال الزراعية فازدادت الحاجة إلى الأيدي العاملة والعبيد، فأضيف مصدر آخر إلى مصادر العبيد وهو استجلابهم من الخارج عن طريق التجارة وقد طغى هذا المصدر على جميع المصادر الأخرى الداخلية (عبيد الدّين وعبيد المجاعة).

ولم تكن العبودية في بابل طبقة منغلقة، وذلك لأن الرجال الأحرار كانوا يتعرضون أحياناً للاستعباد إذا ما غرقوا في الديون فيضطرون لبيع أفراد عائلتهم أو حتى يبيع أنفسهم للمدين وفق عقود القروض الربوية الماكرة، وقد يصبح العبيد أحراراً ضمن شروط منها ما كان ملزماً قانونياً ومنها ما يتعلق بمالك العبد الذي كان يمنح الحرية لعبده وفق ما تقتضي مصلحته الشخصية. وتحرير العبد كان يحدث بصورة كاملة ونهائية، بوثيقة مكتوبة من قبل السيد ويشهد عليه الآلهة أو الملك.

وقد نظرت القوانين البابلية القديمة إلى العبد كسلعة تباع وتؤجر وتوهب وترتهن وتورث، ولكنها رغم ذلك لم تتكر الطبيعة البشرية للعبد فسمحت له بالزواج وتكوين أسرة وكان بطبيعة الحال لصالح مالك العبد الذي سيستفيد من نسله في زيادة عبيده، كما عالجته التشريعات وضعه القانوني، وذلك لحماية هذه الثروة من الضياع لا لحماية العبد نفسه.

لقد تناول معظم الباحثين موضوع العبودية في الشرق القديم بشكل عام، وركزوا على جوانب معينة في أماكن مختلفة من الشرق القديم، ولكن نصيب العصر البابلي القديم في تلك الدراسات كان الأقل، ولأهمية هذه الظاهرة كنظام وكطبقة اجتماعية أساسية في المجتمع البابلي يقع على عاتقها معظم الأعمال الشاقة، وتحرم من أغلب الحقوق البشرية ويُعدُّ أفرادها جزءاً من الممتلكات المنقولة أو كالسلعة أو كالماشية، فالواجب العلمي يفرض علينا تقديم دراسة عن هذه الطبقة التي تمثل أحد الجوانب الاجتماعية المهمة في شرقنا القديم، وذلك في محاولة لتقديم دراسة أكاديمية صحيحة لإنارة هذا الجانب. وقد حاولت

في هذا البحث المتواضع إظهار الصورة الحقيقية للمجتمع البابلي القديم من خلال إظهار التفاعل بين أفراد الطبقات الاجتماعية الثلاث، وإيضاح التأثيرات الناتجة عن هذا التفاعل، لأنهم يعيشون في مجتمع واحد وتربطهم لغة وأرض وقوانين واحدة وإظهار مدى التطبيق العلمي للقانون على أرض الواقع.

- مخطط البحث :

قمت بتقسيم هذا البحث إلى أربعة فصول رئيسة ومقدمة وخاتمة وملاحق توضيحية للبحث من أشكال وصور وجداول ونصوص مسمارية مترجمة عن الإنكليزية. وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج العلمي التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي في دراسة الوثائق التاريخية.

- الفصل الأول : دراسة تاريخية - اجتماعية - اقتصادية للعصر البابلي القديم. جاء هذا الفصل كتمهيد لتوضيح الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعصر. حيث تناولت فيه دراسة عن الأموريين وكيفية دخولهم إلى بلاد الرافدين وتأسيس ممالك فيها. ثم تحدثت عن أهم تلك الممالك التي كانت تتنافس فيما بينها للسيطرة على منطقة بلاد الرافدين، والتي جاء في مقدمتها مملكة أشنونا في شمال بابل وهي أول مملكة تعلن استقلالها عن سلالة أور الثالثة قبل سقوطها، ثم تبعتها مملكتا إيسين ولارسا في جنوب بلاد الرافدين، ومملكة ماري التي استقلت في منطقة الفرات الأوسط، ومملكة آشور في الشمال، وقد بقيت هذه الممالك في تنافس وصراع مستمر إلى ظهور مملكة بابل الأولى، حيث استطاعت في عهد ملكها السادس القوي حمورابي من إخضاع جميع هذه الممالك تحت سلطتها، وقد بقيت هذه المملكة تحكم بلاد الرافدين حتى سقوطها سنة ١٥٩٥ ق. م على أيدي الحثيين.

ثم تناولت دراسة أهم الطبقات الاجتماعية للعصر، والتي كانت تتألف من ثلاث طبقات رئيسة وفقاً لقانون حمورابي، وهي الأويلوم، طبقة الأحرار. والطبقة الثانية، هي الموشكينوم، الطبقة الوسطى في المجتمع وهم من الأحرار، تضم جمهور المجتمع من العامة الذين كانت ميزاتهم أقل من طبقة الأويلوم وأفضل من طبقة العبيد وهم أدنى طبقات المجتمع.

كما تناولت النشاطات الاقتصادية التي كان المجتمع البابلي القديم يمارسها في ذاك العصر، ويأتي في مقدمتها الزراعة، وهي عماد الاقتصاد في بلاد الرافدين بشكل عام. والصناعة (الحرف) وقد كانت صناعات يدوية بسيطة يأتي في مقدمتها المصنوعات النسيجية. والتجارة التي كانت تلعب دوراً كبيراً في تنشيط الاقتصاد في المنطقة. وأخيراً طرق المواصلات التي كان لها دور رئيس في تسهيل نقل البضائع والأشخاص من مكان إلى آخر.

- **الفصل الثاني : مفهوم العبودية ومصادرها.** تناولت في هذا الفصل تعريف العبودية من الناحية اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية، حيث تناولت فيها آراء الباحثين حول مفهوم العبودية، وقد صنفتها في عدة جوانب، قانونية واجتماعية واقتصادية ودينية وفلسفية، وأنهيتها بعوامل نشوء العبودية. ثم انتقلت للحديث عن مصادر العبودية، والتي كان في مقدمتها أسرى الحرب، فقد كان مصير كل من يقع في قبضة الأعداء ولم يجد من يفتديه يؤول مصيره إلى الاستعباد، وقد أوردت العديد من الرسائل التي وصلت إلى زمري- ليم ملك ماري من قبل قواده وحكامه وموظفيه بخصوص أسرى الحرب، وبما أن الجنود البابليين كانوا عرضة للأسر والاستعباد فقد تحدثت عن وضعهم القانوني. والمصدر الآخر كان عن طريق الاستعباد بسبب الدين، فمعظم الأشخاص الذين كانوا يتعرضون لضائقات مالية ويغرقون في الديون كان مصيرهم هم وعائلاتهم الاستعباد، وقد انتشر في هذا العصر تقديم رهينة من أجل سداد الدين كوسيلة من الدائن للضغط على المدين من أجل سداد الدين، وقد تحدثت عن الرهينة ووضعها القانوني وكيف عالجتها القوانين البابلية لمنع الإفراط فيها ولمنع تحويل الأحرار إلى عبيد، وتناولت إمكانية كفالة المدين من قبل شخص آخر إلى أن يتم سداد الدين. والمصدر الثالث كان عبودية المجاعة وهي مشابهة كثيراً لعبودية الدين، ولكن عبودية المجاعة كانت تنتهي بانتهاء المجاعة. والمصدر الرابع العبودية كعقوبة، وقد كانت تنزل بحق الولد الذي ينكر والديه بقوله: أنتم لستم والدي، وتنزل أيضاً بحق الزوجة التي لا تحترم الروابط الزوجية وتنكر زوجها بقولها: أنت لست زوجي، كما كانت تنزل على من يتعدى على ممتلكات الآخرين أو يخل بشروط عقد التأجير. ولما زادت الحاجة إلى العبيد أضيف إليها مصدر خامس وهو التجارة الخارجية، وهذا المصدر أصبح الرئيس من بين جميع المصادر السابقة في هذا العصر، وتحدثت عن مشاكل التجارة وأسعار العبيد في العقود التجارية.

- **الفصل الثالث: أنواع العبيد.** عُرِفَ في هذا العصر ثلاثة أنواع من العبيد ويأتي في مقدمتها عبيد المعبد، وبما أن المعبد كان مكان إقامة الإله ورموزه، كانت تقدم له النذور والهبات باسم إله المعبد من قبل المتعبدين ومن هذه الهبات والنذور العبيد، كما كان ينوبه حصة من أسرى الحرب التي كان يخصه بها الملك المنتصر، لضمان حماية الآلهة ورعايتها له. وبما أن الكاهنات كن من الموظفات المهمات في المعبد، فقد تحدثت عن عبيد الكاهنات وكيفية حصولهن عليهن. والنوع الثاني عبيد القصر أو عبيد الدولة، بما أن القصر أصبح في ذلك العصر السلطة العليا في الدولة على حساب المعبد الذي تقلص دوره، حيث كان ينال نصيب الأسد من أسرى الحرب، كما كان يشتري في بعض الأحيان عبيداً من دول أخرى عن طريق التجار، وكان يستخدم أولئك العبيد كهدايا بين الملوك والحكام، وفي أعمال القصر الخاصة وفي أراضيه ومشاغله، كما تحدثت عن احتجازهم من قبل أشخاص وممالك أخرى .

والنوع الثالث من العبيد هم العبيد الخاصون أو العبيد (ولادة منزل)، وقد كان وضعهم أفضل حالاً من عبيد المعبد وعبيد القصر، فقد كانوا يعيشون بين أفراد الأسرة التي تملكهم وفي كثير من الحالات كانوا يعاملون كأحد أفرادها. وتناولت أيضاً كيف كان يتم تقديمهم كهبات من قبل الآباء إلى أبنائهم وخاصة عندما تزوج الفتاة كان والداها يقدمان لها ضمن جهازها العبيد، كما كانوا يورثونهم عبيداً سواء بعد وفاتهم أو قبل وفاتهم، وبالعكس كان يتم تقديم العبيد من قبل الأبناء إلى آبائهم من أجل رعايتهم في شيخوختهم. وتناولت أخيراً أعمال العبيد الخاصون، حيث كانوا يستخدمون بالإضافة إلى الأعمال المنزلية كالغسيل والتنظيف وطحن الدقيق وغيرها كانوا يعملون في حرف أخرى كالنسيج وتقشير الأقمشة وغيرها من الحرف التي يعود نفعها على مالكمهم الأصلي.

- **الفصل الرابع : وضع العبد القانوني.** تناولت في هذا الفصل نظرة القوانين البابلية القديمة (أشنونا ولبت-عشتار وحمورابي ومرسوم عمي- صدوقا) إلى العبيد، حيث كان يحق لهم الزواج من طبقتهم ومن طبقة الأحرار وتكوين أسرة. كما تناولت ظاهرة هروب العبيد والعقوبات التي نصت عليها القوانين، وعلامات العبودية، والأضرار التي كانت تلحق بالعبيد. وتناولت بيع العبيد والشروط التي نصت عليها القوانين في هذه العملية، وأخيراً تناولت إعتاق العبيد وإمكانية تحريرهم من رقة العبودية وإعادتهم إلى المواطنة.

- **خاتمة :** عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وقد أوردت كل نتيجة بالترتيب حسب ورودها في البحث.

- **الملاحق :** تشمل العديد من الجداول التوضيحية بأسماء ملوك الممالك التي لعبت الدور الرئيس في ذلك العصر، بالإضافة إلى عدد من الأشكال التوضيحية التي تخدم البحث في ذلك العصر، كما أوردت ملحقاً لبعض النصوص المترجمة إلى العربية التي وردت في البحث .

- **المصادر والمراجع:** أوردت فيه قائمة بالمراجع العربية والمعرية. وقائمة بالمراجع الأجنبية.

ومن الصعوبات التي واجهتني هي أن معظم المراجع كانت بلغات أجنبية أخذت الكثير من الوقت في ترجمتها وصياغتها .

وفي الختام إن الخطأ من طبع البشر . والله ولي التوفيق

الفصل الأول - دراسة تاريخية ، اجتماعية ، اقتصادية للعصر البابلي القديم

أولاً - دراسة تاريخية .

- الأموريون في بلاد الرافدين .

١ - مملكة أشنونا .

٢ - مملكة إيسين .

٣ - مملكة لارسا .

٤ - مملكة ماري .

٥ - مملكة آشور .

٦ - المملكة البابلية الأولى .

ثانياً - دراسة اجتماعية :

١ - طبقات المجتمع :

أ - الطبقة الأولى : الأويلوم .

ب - الطبقة الثانية : الموشكينوم .

ج - الطبقة الثالثة : العبيد .

٢ - الأسرة :

أ - الزواج .

ب - الطلاق .

ج - الإرث .

د - التبني .

ثالثاً - دراسة اقتصادية :

١ - الزراعة .

- الري .

٢ - الصناعة (الحرف) .

٣ - التجارة .

- وسائل النقل وطرق المواصلات .

الفصل الأول

دراسة تاريخية ، اجتماعية ، اقتصادية

أولاً - دراسة تاريخية :

- الأموريون في بلاد الرافدين :

هم مجموعات بدوية، جذورهم الأولى كانت في البادية السورية حول جبل البشري ، تكلموا بلغة غربية مختلفة عن الأكادية. بدأت هذه المجموعات بالتدفق إلى بلاد الرافدين على شكل متتالي منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد. وجُذوا في نصوص قديمة من بلاد الرافدين وإبلا^(١). يظهر اسمهم في النصوص السومرية بصيغة مارتو (MAR .TU)، وأطلق عليهم الأكاديون اسم أموروم (amurru(m)) التي تعني الغرب. وأول ذكر لهم في النصوص جاء في أحد ألواح مدينة فارا Fara^(٢) نحو سنة ٢٦٠٠ ق.م جاء فيها ذكر اسم شخص أموري. وقد ورد ذكرهم أربع مرات في العصر الأكادي القديم ٢٣٥٠-٢٢٠٠ ق.م من مدينة أوما Uma^(٣). حيث تذكر النقوش الملكية بأن نارام- سين حارب الأموريون عند جبل بَسار Basar، والذي يطابق جبل البشري اليوم بين الرقة و تدمر، وذكرت كذلك انتصار ابنه

^١ - إبلا : تقع في موقع تل مردوخ الحالي الواقع في منطقة سهلية بالقرب من بلدة سراقب في محافظة إدلب على بعد ٥٥ كم جنوب غرب حلب . انظر : مرعي ، عيد ، تاريخ مملكة إبلا و آثارها ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٥ م ، ص ٢٣ .

^٢ - فارا : هو موقع المدينة السومرية القديمة شوروباك Surubak في جنوب بلاد الرافدين إلى الشمال الشرقي من إيسين. انظر: دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ج ٢ ، ترجمة ليون يوسف، دار المأمون ، بغداد ١٩٩١ م ، ص ٤١٤ .

^٣ - أوما : هي تل جوخة الحالية يقع على بعد ٣٠ كم شمال غرب لاجاش ، أشهر حكامها لوجال زاحيرِّي الذي أصبح ملكا على بلاد سومر في عام ٢٣٧٥ ق.م . انظر : مهران ، محمد بيومي ، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، ج٢، الشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩٩م.ص١٩١ .

شاركالي شاري Sarri - Kali - Sar (ملك الملوك) ٢٢٢٣ - ٢١٩٨ ق.م على الأموريين عند الجبل نفسه^(١).

كما يذكر جوديا Gudea ٢١٤٣ - ٢١٢٤ ق.م حاكم مدينة لاجاش Lagash^(٢) في إحدى كتاباته أنه جلب أحجاراً كبيرة من (جبل بَزَالَا جبل مارتو) وأحجاراً وألباستر من (جبال تيدانوم Tidanium وأومانوم Umanum ، جبال مارتو) لبناء معبد للإله نينجرسو في لاجاش. إن جبل بَزَالَا هو جبل البشري والأماكن الأخرى هي مناطق قريبة منه اتخذها الأموريون أماكن لتجمعهم لذلك عرفت بأسماء قبائلهم التي أقامت فيها^(٣).

إن كلمة مارتو أو أموروم لا تحمل معنىً عرقياً وإنما معنىً جغرافياً وتعني جهة الغرب التي دخلت منها هذه الموجات البدوية إلى بلاد الرافدين. لقد كان دخول الأموريين إلى بلاد الرافدين في البداية سلمياً وبأعداد قليلة، لكنه بدأ يتزايد مع الزمن وأصبح يهدد سلالة أور الثالثة ٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م، فنجد أن الملك شو - سين Shu - Sin يقوم ببناء سور بين دجلة والفرات لمنع دخول تلك الجماعات إلى بلاد الرافدين، وقد سمي هذا السور بـ (سور مارتو)، كان طوله في البداية نحو ٦٣ كم ثم رُمم ووسع فيما بعد وأصبح طوله نحو ٢٨٠ كم. ويبدو أن هذا السور قد أوقف تسريبهم لفترة من الزمن، ولكنه لم يوقفهم بشكل نهائي. فقد كان لتلك الجماعات دور رئيسي في سقوط سلالة أور الثالثة ، حيث قام بعض زعمائها المشهورين بتأسيس سلالات حاكمة مستقلة في المنطقة قبل سقوط السلالة بشكل كامل^(٤). سنأتي على ذكرها لاحقاً بشكل مفصل .

فمع بداية حكم إبي - سين Ibbi - Sin ٢٠٢٧ - ٢٠٠٣ ق.م ابن شو - سين بدأت سلالة أور الثالثة بالانهيار عندما أخذت المدن التابعة لها بالانفصال عنها ولاسيما المدن البعيدة عن العاصمة، حيث

^١ - Rients, D.B., Amorites in the early old Babylonian period, University of Leiden, 2014 .
PP 20 - 31 .

^٢ - لاجاش : هي إحدى أهم المدن السومرية القديمة في جنوبي العراق ، في منتصف المسافة الفاصلة بين نهري دجلة والفرات ، ويعرف موقعها الحالي باسم الهبة و جيسو Girsu المقر التابع لها باسم تلو . انظر : مرعي ، عيد ، رحلة في عالم الآثار ، آثاريون ومدن أثرية ، ط ١ ، دار روافد للثقافة والفنون ، دمشق - ٢٠١٠ م ، ص ٢٦٤ .

^٣ - مرعي ، عيد ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مكتبة الخبتي الثقافية ، ببشة ١٤٢٤ هـ ، ص ٦٩ .

^٤ - المرجع نفسه ، ص ٦٩ - ٧٠ .

انفصلت أولاً أشنونا^(١) Eshnuna في السنة الثالثة من حكم إبي-سين، وانفصلت سوسة Susa عاصمة العيلاميين^(٢) في السنة الرابعة، وفي السنة الخامسة لاجاش وأوما Umma، وانفصلت مملكة سيموروم^(٣) في السنة السابعة. على الرغم من ذلك استطاع إبي-سين الحفاظ على ما تبقى من مملكته والتمثلة في العاصمة مدينة أور^(٤) والمنطقة المحيطة بها لمدة أربعة عشر عاماً. جاءت بعدها نهاية حكمه على أيدي العيلاميين من جهة الشرق الذين ساروا بحملة مدمرة إلى أور. وقد ساعدتهم في ذلك القبائل الجبلية التي كانت تسكن جبال زاغروس إلى الشمال من عيلام. بعد أن دمر العيلاميون مدينة أور اقتادوا الملك إبي-سين أسيراً إلى عاصمتهم سوسة. وأبقوا لهم حامية في المدينة بعد انسحابهم منها^(٥).

كان سقوط سلالة أور الثالثة النهاية السياسية للسومريين من مسرح الأحداث، إذ لم تنشأ منهم بعدها أسرة حاكمة بل اندمجوا مع الساميين، وإن بقيت لغتهم وآدابهم تؤثر في بلاد الرافدين حتى آخر عصور حضارتها^(٦).

لقد دأب المؤرخون على تسمية الفترة التي تلت سقوط سلالة أور الثالثة بالعصر البابلي القديم، والذي يبدأ منذ سنة ٢٠٠٠ ق.م حتى سقوط المملكة البابلية الأولى على أيدي الحثيين في سنة ١٥٩٥ ق.م،

^١ - أشنونا : هي تل أسمر حالياً ، وهي عاصمة المملكة التي سميت على اسمها ، تقع في المثلث بين نهر ديالى و جبال زاغروس شرقاً و نهر دجلة غرباً ، و على بعد ٥٠ ميلاً شمال شرقي بغداد . انظر : لويد ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

^٢ - العيلاميون - عيلام : تقع هذه المنطقة في جنوب غربي إيران على الحدود مع العراق وكانت مدينة سوسة عاصمتها الرئيسية في الألف الثاني قبل الميلاد، ويطلق عليها اليوم اسم خوزستان . انظر : دانيال ، المرجع السابق . ص ٤١٠ .

^٣ - مملكة سيموروم : كانت تمتد من حوض نهر الوند جنوب غرب إيران إلى منطقة حميرين ووصلت غرباً حتى ضفاف نهر دجلة . انظر : مرعي ، عيد ، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى ٥٣٩ ق . م ، ط ١ ، دار الأبجدية ، دمشق - ١٩٩١ م ، ص ٦٥ .

^٤ - مدينة أور : تقع مدينة أور جنوب العراق غرب مدينة البصرة بالقرب من المصب القديم لنهر الفرات ، والى جنوب بغداد ٨٠ كم ، ويعرف موقعها الحالي تل المقيبر (الزفت . القار) انظر :

Woolley . L . , Ur of the Chaldees , A record of seven years of excavation ,the Norton library , New York , 1965, p13.

^٥ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٦٥ - ٦٦ .

^٦ - سليم ، احمد أمين، دراسات في تاريخ و حضارة الشرق الأدنى القديم (٥) ، تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٣٠ .

والذي دام نحو أربعة قرون، وقد شمل عدة ممالك معظمها كانت قد أعلنت انفصالها عن سلالة أور الثالثة قبل سقوطها، هي مملكة أشنونا ومملكتا إيسين^(١) ولارسا^(٢)، ومملكة ماري^(٣) ومملكة آشور والمملكة البابلية الأولى (انظر الشكل ١) .

١ - مملكة أشنونا :

نشأت هذه المملكة في منطقة ديالو وكانت أول المدن التي أعلنت استقلالها عن سلالة أور الثالثة، ففي السنة الثالثة من عهد إبي- سين انقطعت الاتصالات بينها وبين أور، ثم خضعت لحاكم يدعى إيتوريا Ituria نحو سنة ٢٠٢٠ ق.م. ثم خلفه فيها ابنه إيشواليا Ilishuilia نحو سنة ٢٠٠٠ ق.م الذي كان يعمل كاتباً عند إبي- سين في بداية حياته، لقب نفسه في إحدى الكتابات الملك العظيم ملك بلاد واريوم Warium (الاسم المحلي لمدينة أشنونا)^(٤). ثم جاء بعده ملوك عرفوا بأسمائهم فقط دون ذكر أحداث هامة في عهدهم، وهم نور- أحوم Nur - Ahum وكريكيري Krikiri ثم ابنه بيلالاما Bilalama ١٩٥٠ ق.م والذي ينسب إليه تشريع قانون أشنونا^(٥) المدون باللغة الأكادية وهو ثالث القوانين بحسب الترتيب الزمني. اكتفى الحكام الذين جاؤوا فيما بعد باستخدام لقب إنزي (حاكم المدينة). بقي الأمر على هذه الحال حتى عهد إيبك - أد الثاني Ipiq - Adad II نحو سنة ١٨٤٠ ق.م الذي اتخذ لنفسه لقب (ملك وراعي ذوي الرؤوس السوداء)، ثم خلفه ابنه نارام - سين Naram - Sin نحو عام ١٨٢٠ ق.م. ثم

١ - إيسين : تقع أطلالها على التلال المسماة اليوم أيشان بحريات و تبعد مسافة ٢٤ كم إلى الجنوب من مدينة عفك ومسافة ٢٨ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة نيبور . انظر : الحسيني ، عباس علي ، مملكة إيسين بين الإرث السومري والسيادة الأمورية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٤ م . ص ١٥ .

٢ - لارسا : تقع قرب محافظة ذي قار وتعرف اليوم باسم سنكرة ، التي تبعد ٧٠ كم تقريبا إلى الشمال الغربي من مدينة الناصرية . انظر : لويد ، سيتن ، فن الشرق الأدنى القديم ، ترجمة محمد درويش ، دار المأمون ، بغداد - ١٩٨٨ م ، ص ١٣٨ .

٣ - ماري : يعرف موقعها الحالي باسم تل الحريري ، يقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات بالقرب من منطقة البوكمال السورية . انظر : مرعي ، رحلة في عالم الآثار ، ص ٢٦٨ .

٤ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٧٣ .

٥ - قانون أشنونا : تم الكشف عنه خلال تنقيبات مديرية الآثار العراقية في تل حرمال الواقع في احياء بغداد برئاسة الاستاذ طه باقر ، وقد دون هذا القانون باللغة الأكادية ، و المواد المتبقية من القانون هي ٦٠ مادة ، وقد نسبته غوتسه إلى الملك بيلالاما غير أن ذلك لم يثبت صحته ، و من المحتمل أن يكون مشرعه هو دادوشا . انظر : مرعي ، عيد ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، دار الينايب ، دمشق ، ١٩٩٥ م ، ص ٣٣ - ٣٤ .

اعتلى عرش أشنونا بعده أخوه دادوشا Dadusha نحو عام ١٨٠٠ ق.م. بعد دادوشا اعتلى عرش أشنونا إبال- بيل الثاني Ibal - Piel II ١٧٦٠ ق.م الذي كان له دور فعال في سقوط الإمبراطورية الآشورية القديمة بعد وفاة شمشي- أدد الأول Shamshi -Adad ١٨١٥ - ١٧٨٢ ق.م ملك آشور، حيث قام بمهاجمتها من الجنوب ووصل حتى الفرات^(١).

لكن نهاية هذه المملكة جاءت على يدي حمورابي وذلك في السنة الثانية والثلاثين من حكمه فقد قضى عليها وضمها إلى مملكته بعد تغلبه على العيلاميين^(٢).

٢- مملكة إيسين :

مؤسس هذه المملكة هو إشبني- إيررا Ishbi - Erra ٢٠١٧ - ١٩٨٥ ق.م، الذي يرد اسمه في قائمة الملوك السومرية متصلاً بملوك أور الثالثة وكأنه خليفة لهم، أصله من مدينة ماري وقد اعتلى منصباً عالياً فيها، اغتنم فرصة الاضطرابات السياسية التي مرت بها سلالة أور الثالثة فطلب من سيده ملك أور أن يمنحه حكماً في مدينتي إيسين ونيبور^(٣) وكان هذا بعد أن أرسله إبي- سين لشراء كمية من الحبوب من منطقة إيسين وكزالو^(٤)، فقد كانت الحاجة ماسة للحبوب بسبب تزايد أعداد الأموريين^(٥).

بقي إشبني- إيررا مخلصاً لسيده ملك أور إبي- سين فترة طويلة من الزمن، ولم يؤرخ سنوات الحكم باسمه إلى ما بعد السنة الثانية عشرة من حكم سيده^(٦). ومن أعماله الخالدة طرده للعيلاميين من مدينة

^١ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٧٣ - ٧٤ .

^٢ - باقر ، طه ، مقدمة في تأريخ الحضارة القديمة ، مصر القديمة - جزيرة العرب - الفرس - اليونان - الرومان ، ط ١ ، ج ٢ ، دار المعلمين العالمية ، بغداد - ١٩٥١ م ، ص ١٤٢ .

^٣ - مدينة نيبور : هي عاصمة بلاد سومر الدينية في الألف الثالث قبل الميلاد ، يعرف موقعها اليوم باسم نفر على بعد ١٥٠ كم جنوب شرقي بغداد . انظر : مرعي ، رحلة في عالم الآثار ، ص ٢٨٠ .

^٤ - كزالو : مدينة عراقية قديمة ، تقع إلى الغرب من مدينة بابل ، وعلى نهر قديم يدعى نهر كزالو ، ولم يحدد موقعها بعد . انظر : الحسيني ، المرجع السابق ، ص ٣١ .

^٥ - المرجع نفسه ، ص ٣١ - ٣٢ .

^٦ - Saggs , H .W.F., Everyday life in Babylonia and Assyria, Assyrian international News Agency, Book online, published, 1965.p16 .

أور بعد ثماني سنوات من احتلالها، وقيامه بإعادة بنائها، فأصبح سيد وسط وجنوب بلاد الرافدين دون منازع. واتخذ لنفسه الألقاب الملكية من مثل (الملك العظيم وملك الجهات الأربعة وإله بلاده وملك بلاده، وسيد بلاده)^(١).

تتأوب على الحكم في هذه المملكة خمسة عشر ملكاً (انظر جدول ١)، ينتمون لأكثر من أسرة، حيث دام حكمهم فترة زمنية تجاوزت القرنين من الزمن بين سنتي ٢٠١٧ - ١٧٩٤ ق.م، وقد بلغت مدة حكمهم نحو ٢١٣ سنة^(٢). خلف إشبى - إيرا ابنه شو - إيليشو Shu - Ilisu ١٩٨٤ - ١٩٧٥ ق.م، استهل هذا الملك حكمه بعمل أكسبه شهرة عالية وهو استعادته لتمثال الإله نانا^(٣)، الذي نهبه العيلاميون من مدينة أور بعد تدميرها. وقد لقب نفسه بعدة ألقاب تدل على قوته ومنها (المقدس، القوي، الرأس المبجل، ملك أور، ملك إيسين). تميز عهده بالاستقرار السياسي^(٤).

ومن الملوك المميزين لهذه المملكة، الملك الخامس لبث - عشتار Lipit - Ishtar ١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م، الذي اكتسب شهره بتشريع قانون يعد ثالث أقدم قانون مكتشف بعد قانون أور - نامو وقانون أشنونا وهو قانون لبث - عشتار^(٥). ثم يأتي بعده ملك لا ينتمي إلى أسرة إشبى - إيرا وهو الملك أور - نورتا Ur - Ninurta ١٩٢٣ - ١٨٩٦ ق.م، الذي فقدت المملكة في عهده الكثير من المدن التابعة لها حتى أصبحت تحكم مدينة إيسين وحدها. جاء بعده الملك بور - سين Bur - Sin ١٨٩٥ - ١٨٧٤ ق.م الذي تميز عهده

^١ - الحسيني ، المرجع السابق ، ص ٣٢ - ٣٤ .

^٢ - باقر ، المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

^٣ - نانا : هو الاسم السومري للإله القمر ، والصيغة الأكادية لاسمه هي سين ، و هو الإله الرئيس لمدينة أور . انظر : حنون ، نائل ، نصوص مسمارية تاريخية و أدبية ، دراسات فكرية من إصدار جامعة الكوفة (الكتاب الثالث) ، ط ١ ، دار التنوير ، بيروت ٢٠١٥ ، ص ٦٦ .

^٤ - الحسيني ، المرجع السابق ، ص ٣٨ - ٣٩ .

^٥ - قانون لبث - عشتار : تم الكشف عنه فيما بين عامي ١٨٨٨ - ١٩٠٠ م من قبل البعثة الأثرية لجامعة بنسلفانيا الأمريكية في مدينة نيويورك . كتب القانون باللغة السومرية ، كشف على ٣٩ مادة قانونية منه . أبعاد اللوح ٢٨ × ٢٣ سم . انظر : مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٢١ - ٢٢ .

بالقوة فاستطاع استعادة الكثير من المدن التي كانت قد فقدتها الدولة، مثل نيبور، أور، إريدو^(١)، وأوروك^(٢) Uruc. وبعد وفاته بدأت الدولة بالضعف والانحطاط، وقد كان ذلك في عهد الملك لبث- إنليل Lipit - Enlil ١٨٧٣ - ١٨٦٩ ق.م، ثم جاء بعده إير- إيميتي Irra - Imitti ١٨٦٨ - ١٨٦١ ق.م، وأهم أحداث عهده ظاهرة الملك البديل الذي جاء به إلى العرش بعد نذير الشؤم الذي أخبر به وقد تمكن هذا البديل وهو البستاني إنليل- باني Enlil - Bani ١٨٦٠ - ١٨٣٧ ق.م، من البقاء ملكاً بعد موت الملك الحقيقي بتدبير منه بدس له. ومن مميزات حكم الملك البديل هي إنهاؤه حالة التمرد التي قادها داد- بانانا Dad - Banan ١٨٦٠ ق.م الذي حكم ستة أشهر فقط، وتتصف فترة حكم إنليل- باني بالقوة، وتعد مدة حكمه آخر مرحلة لعبت فيها مملكة إيسين دوراً مهماً في صراع القوى بين ممالك إيسين ولارسا وبابل وأوروك، فأخذت مملكة إيسين بالتراجع حتى أصبحت لا تسيطر إلا على العاصمة إيسين. وما كان ذلك إلا بداية نهاية حكم مملكة إيسين الأولى في عهد ملكها الأخير داميق- إيليشو Damiq-Ilisu ١٨١٦ - ١٧٩٤ ق.م،^(٣) الذي حاول استغلال انشغال ريم- سين Rim-Sin ١٨٢٢ - ١٧٦٣ ق.م بحرب ضد حلف بقيادة أوروك يشمل بابل ورابيقوم^(٤) فقام بتوسيع نفوذه واستعادة مدينتي نيبور وكيسورا^(٥) حتى وصل إلى مقربة من مدينة أور، لكنه لم يصمد طويلاً، فقد استطاع ريم- سين بن كودور- مابوك Kudur- Mabuk العيلامي القضاء على الحلف وتدمير مدينة الوركاء، ومتابعة طريقه والقضاء على مملكة إيسين وضمها إلى مملكته سنة ١٧٩٤ ق.م^(٦).

^١ - إريدو: مدينة عراقية قديمة تقع في الجنوب عند مصب الفرات في مستنقع على الخليج العربي ، ويسمى موقعها اليوم ثل أبو شهرين على بعد ٤٠ كم غرب مدينة الناصرية . انظر : مرعي، رحلة في عالم الآثار، ص ٩١.
^٢ - أوروك: هي أشهر مدينة سومرية على الإطلاق، وموطن الكتابة الأول، ومدينة البطل الأسطوري جلجامش، يعرف موقعها الحالي باسم الوركاء في جنوبي العراق قرب مدينة السماوة على نهر الفرات. انظر: المرجع نفسه، ص ١٢٥.
^٣ - الحسيني ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

^٤ - رابيقوم : هي قلعة ثغرية يرد اسمها كثيراً في السجلات الآشورية ، وتعرف أطلالها اليوم بثل الأنبار على الضفة اليمنى للفرات ، في محافظة الأنبار في خرائب الرحاية . انظر : موسيل ، ألوا ، الفرات الأوسط (رحلة وصفية ودراسات تاريخية) ، ترجمة صدقي حمدي و عبد المطلب عبد الرحمن داوود ،مراجعة صالح أحمد العلي وعلي محمد الميآح ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٠م ، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

^٥ - كيسورا : تعرف اليوم بثل أبو حطب ، تقع أطلالها في الجنوب الغربي من إيسين ، في مدينة الديوانية . انظر : الطائي ، منذر علي قاسم محمد ، الأسعار و الأجور في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٤م ، ص ٥ .

^٦ - الحسيني ، المرجع السابق ، ص ٦٤ .

٣ - مملكة لارسا :

أسست هذه المملكة بزعامة رجل أموري يدعى نابلانوم Naplanum ٢٠٢٥-٢٠٠٥ ق.م. الذي حكم نحو ٢١ سنة وهي مملكة لارسا نسبة إلى اسم المدينة. تتأوب على الحكم فيها أربعة عشر ملكاً (انظر جدول ٢)، بلغ مجموع حكمهم ٢٦٤ سنة بين عامي ٢٠٢٥ - ١٧٦٣ ق.م^(١). خلف نابلانوم في حكم لارسا على التوالي ثلاثة حكام لم يحمل أي منهم لقب ملك. وأما الحاكم الرابع جونجونم Gungunum ١٩٣٢ - ١٩٠٦ ق.م، المعاصر لملكي إيسين لبت-عشتار وأور-نينورتا فقد لقب نفسه (ملك لارسا، ملك سومر وأكاد) حيث انتزع السيادة على أور من مملكة إيسين. وقد خلفه عدد من الحكام أشهرهم نور-أدد Add - Nur ١٨٦٥ - ١٨٥٠ ق.م وسين-إيدينام Sin-Idinnam ١٨٤٩ - ١٨٤٣ ق.م. لكن قوة لارسا بلغت أوجها وازدهارها في عهد أبناء كودور-مابوك العيلامي الأصل الذي كان يقيم في منطقة يموت بعل Yamutbal^(٢) التي تقع شرق بلاد بابل^(٣).

بعد استيلاء كودور-مابوك على السلطة في لارسا نصب ابنه واراد-سين Warad - Sin ١٨٣٤ - ١٨٢٣ ق.م حاكماً على مملكة لارسا، ثم خلفه أخوه ريم-سين Rim-Sin ١٨٢٢ - ١٧٦٣ ق.م الذي امتدت فترة حكمه ٦٣ سنة، استطاع خلالها توطيد حكمه وتوسيع نفوذه فشمّل الجنوب البابلي كاملاً^(٤). وقام ريم-سين باحتلال إيسين في سنة حكمه التاسعة والعشرين وضمها إلى مملكته. وقد كانت نهاية لارسا على يد حمورابي البابلي ١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م بعد حروب طاحنة مع ريم-سين سنة ١٧٦٣ ق.م^(٥).

^١-Clay, A . T. , Miscellaneous inscriptions in the Yale Babylonian collection , Yale oriental series . Babylonian texts , vol . I, London - oxford , 1915. P 35.

^٢ - يموت بعل : إقليم متأخم لأششونا ، يقع جزء منه في المنطقة الواقعة بين نهر دجلة غرباً ورافده ديارى شرقاً . انظر: مجيد ، تحسين حميد ، إقليم ديارى في العصور القديمة ، مجلة ديارى ، العدد ٢٨ - ٢٠٠٩ م ، ص ١٤ ،

^٣- مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٧٢ .

^٤ - سليمان ، توفيق ، دراسات في حضارات غرب آسية القديمة من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق.م (الشرق الأدنى القديم ، بلاد ما بين النهرين ، بلاد الشام) ، ط١ ، دار دمشق ، دمشق ١٩٨٥ م . ص ١٥٨ .

^٥ - Saggs , H .W .F., op . cit , p 17 .

٤- مملكة ماري :

هي من الممالك الأمورية المهمة التي نشأت في بلاد الرافدين، يرقى تاريخ نشوئها إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد. من خلال أرشيف ماري يبدو أن أسرة أمورية من بني سمأل وصلت إلى الحكم في ماري مع بدايات الألف الثاني قبل الميلاد. كان أول زعيم معروف منها يدعى ياجيد-ليم Yaggid-Lim ١٨٣٠ ق.م الذي دخل في صراع مع إلاكابابو Ilakabkabu والد شمشي- أدد الأول الذي كان يحكم في مدينتي صبروم Suprum^(١) وترقا Terqa^(٢) حيث طرده منهما. اعتلى عرش ماري بعد ياجيد-ليم ابنه يخدون-ليم Yachdun- Lim ١٨٢٥-١٨١٠ ق.م الذي خاض حروباً ضد بني يمين وغيرهم من القبائل والبدو^(٣). وقد خلد أعماله التي قام بها في تقرير على شكل (وثيقة تأسيس) أودعها في أساسات معبد شماش^(٤) إله الشمس الذي بناه في ماري. الوثيقة كتبت على لوح طيني مربع الشكل تقريباً على عدة أعمدة، يمجّد فيها يخدون-ليم نفسه أنه أول ملك من ماري استطاع الوصول إلى شواطئ البحر المتوسط، فتاريخ إحدى سنوات حكمه يذكر أنه حقق نصراً على مدينة إيمار Emar^(٥) حيث وصل نفوذه إلى تلك

^١ - صبروم : هي تل أبو الحسن حالياً على الضفة اليسرى لنهر الفرات ،شمال مدينة ماري على بعد ١٠ كم ، انظر : Geyer . B ., Yves Monchambert ,Jean, La Basse Vallee De L, Euphrate Syrien Du Neolithique A L, Avenement De L,Islam; geographie , archeologie et histoire ,Vol. I, Beyrouth, 2003,p 143.

^٢ - مدينة ترقا : يعرف موقعها الحالي بتل العشارة ، الذي يقع في قلب منطقة الفرات الأوسط على الضفة اليمنى للفرات على بعد ٢٥ كم جنوب نقطة التقاء الخابور مع الفرات .انظر : Buccellati . G ., Terqa , An introduction to the site , preprint on the occasion of the Symposium of Der ez- zor October 1983 , p 3.

^٣ - عبد الله ، فيصل ، الرسائل السياسية في بلاد الشام " سورية العمورية " في القرن الثامن عشر ق.م، جامعة دمشق، ٢٠٠٥ م، ص ١٨ .

^٤ - شماش : هو إله الشمس وجالب النور وموطد الحق و القانون ، و يقابله في السومرية أوتو، انظر : العيهار ، محمد، إرهابات التشريع في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة وهران ٢٠١٤ م ، ص ٥٥ .

^٥ - إيمار : مدينة سورية قديمة في منطقة الفرات الأوسط ، يعرف موقعها الحالي باسم مسكنة على الضفة اليمنى لبحيرة الأسد، على بعد نحو ١٠٠ كم شرق حلب. انظر : مرعي ، رحلة في عالم الآثار ، ص ١٢٩ .

المنطقة. حكم يخذون-ليم نحو ثماني سنوات سقط في نهايتها صريع مؤامرة في القصر الملكي قتل فيها الخدمُ ملكهم، ويبدو أن شمشي- أدد بن إلأكبأبو الذي اعتلى عرش آشور وراء هذه المؤامرة^(١). احتل شمشي- أدد ماري بعدها وعين ابنه يسمخ- أدو Addu - Yasmach حاكماً عليها. هرب زمري- ليم Zimri-Lim ١٧٨٢-١٧٥٩ ق.م بن يخذون- ليم و ولي عهده والتجأ إلى حلب عاصمة مملكة يمحاض Yamhad طالباً النجدة من ملكها ياريم- ليم الأول Yarim-Lim I^(٢). في هذه الأثناء تشكل حلف بين شمشي- أدد الأول وملك قطنة Qatna^(٣)، فرأى ياريم- ليم الأول أن هذا الحلف يشكل خطراً عليه وعلى مملكته، فساعد زمري- ليم باستعادة عرشه المسلوب وطرد ابن شمشي- أدد الأول يسمخ- أدو من ماري^(٤).

عاشت ماري في عهد زمري- ليم آخر ملوكها أزهى فترات تاريخها، حيث أصبحت تشكل قوة سياسية واقتصادية كبيرة . يشهد على ذلك أرشيفها الذي يعود أغلبه إلى زمري- ليم^(٥). ولكن نهاية هذه المملكة جاءت على يدي حمورابي الذي نجح في تحقيق ما أخفق فيه أسلافه، فحقق نصراً ساحقاً على ماري في عام ١٧٥٩ ق.م، وقام بإحراق المدينة وتدميرها وقتل بعض سكانها وأسر بعضهم، واختفت سلالة زمري- ليم إلى الأبد^(٦).

^١ - مرعي ، عيد ، يخذون - ليم ملك ماري (وثيقة تأسيس معبد إله الشمس (شماش) في ماري) ، مجلة دراسات تاريخية - العددان ٢٧ - ٢٨ ، جامعة دمشق ، ١٩٨٧ م ، ص ٩٩ - ١١٠ .

^٢ - سليمان ، المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

^٣ - مدينة قطنة : يعرف موقعها الحالي بتل المشرفة الذي يقع شمال شرقي مدينة حمص السورية بـ ١٨ كم و ١٨٠ كم شمال شرقي مدينة دمشق . انظر : مرعي ، عيد ، مملكة قطنة ، مجلة دراسات تاريخية العددان ١١٧ - ١١٨ ، جامعة دمشق - ٢٠١٢ ، ص ٣ .

^٤ - سليمان ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

^٥ - مرعي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٧٢ .

^٦ - بارو ، اندريه ، ماري ، ترجمة رباح نفاخ ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٩ م . ص ١٥٣ .

٥- مملكة آشور :

كانت هذه المملكة تقع في منطقة شمال بلاد الرافدين، التي تمتد بين نهري الزاب الأعلى والزاب الأسفل رافدا نهر دجلة. كان مركزها السياسي الأول مدينة آشور^(١)، التي تأسست في زمن لاحق. وقد كان الأمراء الآشوريون الأوائل يتبعون للإمبراطورية الأكادية ٢٣٥٠-٢١٥٩ ق.م، وبعد انهيار سلالة أور الثالثة وسيادة الفوضى السياسية التي عمت أواسط وجنوب بلاد الرافدين أنعشت آمالهم وتطلعاتهم للاستقلال. ويعتبر بوزار- آشور الأول Buzar- Assyrl ٢٠٠٠ ق.م مؤسس مملكة آشور الأولى، حيث وسع مناطق نفوذه التي شملت مدناً صغيرة في بلاد آشور التي كانت نفسها تتبع لسلالة أور الثالثة في هذه الفترة. ثم خلفه ابنه شالوم- أخوم الأول Shallum - Ahhum ١٩٥٠ ق.م الذي جهد في الحفاظ على مملكة والده. ثم اعتلى العرش الآشوري إيلوشوما Ilushuma الذي حكم نحو سنة ١٩٢٠ ق.م حيث قام باقتحام بلاد الرافدين من الشمال إلى الجنوب، وقد اصطدم مع سومو- أبوم Sumu- Abum ١٨٩٤ - ١٨٨١ ق.م مؤسس المملكة البابلية الأولى. اعتلى عرش آشور بعد إيلوشوما، إريشوم الأول Irishum I ١٩٠٠ ق.م وإيكونوم Ekunum. لكن في عهود خلفائه بوزار- آشور الثاني ١٨٥٠ ق.م، ونارام- سين وإريشوم الثاني ضعفت السلطة الآشورية^(٢).

ظهر بعد ذلك شمشي-أدد الأول بن إلالكابو الذي يعتبر أشهر ملوك آشور، حيث استولى في البداية على إحدى القلاع المسماة إيكالاتوم Ekallatum^(٣) المطلة على منطقة غربي نهر الدجلة، وبعد ثلاث سنوات من ذلك نصبته آشور ملكاً عليها. وصل نفوذه إلى منطقة الفرات الأوسط وضم مملكة ماري إلى حكمه. ومع أنه اتخذ من آشور عاصمة لمملكته أقام في شويباط- إنليل Shubat-Enlil^(٤)، ثم نصب ابنه الأكبر إشمي- داجان كتابع له في إيكالاتوم بينما نصب الابن الأصغر يسمخ-أدو نائباً له في ماري، وقد

١ - آشور : هي أول عاصمة لبلاد آشور، يعرف موقعها الحالي باسم قلعة الشرقاط على بعد نحو ١١٠ كم جنوب الموصل، على أحد تفرعات جبل حمرين، على الضفة الغربية لنهر دجلة. انظر: مرعي، رحلة في عالم الآثار، ص ٩٨ .

٢ - سليمان ، المرجع السابق ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

٣ - إيكالاتوم : تقع أطلالها اليوم في خربة الهيكل التي تبعد نحو ٢٥ كم إلى الشمال من مدينة آشور على الضفة اليسرى لنهر دجلة . انظر : حنون ، نائل ، مدن قديمة ومواقع أثرية ، ط ١ ، دار الزمان ، دمشق ، ٢٠٠٩ م ، ص ٢٤٤ .

٤ - شويباط إنليل : مدينة آشورية قديمة (اسمها القديم قبل الآشوريين شخنا) ، تقع في أقصى شمال شرقي سورية، يعرف موقعها اليوم باسم تل ليلان على بعد ٢٥ كم جنوب شرقي مدينة القامشلي. انظر: مرعي، رحلة في عالم الآثار، ص ٢١٥ .

امتدت مملكته حتى جبال زاغروس شرقاً، وأصبحت مدن آشور ونيوى Nineve^(١) وأربيل Arbela^(٢) جزءاً من المملكة الآشورية، وأصبحت جميع مناطق آشور تحت حكم شمشي-أدد الأول وأبنائه من الفرات حتى مشارف هضبة الأناضول^(٣).

بعد وفاة شمشي-أدد الأول سنة ١٧٨٢ ق.م لم يستطع إشمي-داجان ابنه و ولي عهده المحافظة على وحدة المملكة التي أسسها والده. حيث عاد زمري-ليم إلى ماري بمساعدة ياريم-ليم الأول ملك يمحاض بعد طرده يسمخ-أدو بن شمشي-أدد. وقام إبال-بيل الثاني ملك أشنونا بمهاجمة آشور من الجنوب، حيث استطاع الاستيلاء على أجزاء منها، وخسر إشمي-داجان مناطق عديدة في أعالي بلاد الرافدين، وهكذا تقلصت المملكة الآشورية القديمة إلى دويلة صغيرة لم يعد لها دور يذكر في الأحداث التي تجري في المنطقة^(٤).

٦ - المملكة البابلية الأولى :

تأسست هذه المملكة بعد فترة قصيرة من تأسيس مملكتي إيسين ولارسا، وقد تناوب على الحكم فيها أحد عشر ملكاً (انظر جدول ٣). مؤسس هذه المملكة سومو-أبوم الأموري الذي اتخذ من مدينة بابل^(٥) عاصمة له، حيث قام بعد توطيد سلطته ببناء أسوار لها، واستطاع توسيع نفوذه في السنة الرابعة عشرة

١ - مدينة نينوى: أقدم و أشهر مدينة آشورية ، تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة مقابل مدينة الموصل الحديثة، كانت عاصمة الإمبراطورية الآشورية الحديثة في عصر ازدهارها الأخير . انظر : المرجع نفسه ، ص ٢٨١ .

٢ - أربيل : تقع بين الزابيين الكبير و الصغير (الأعلى و الأدنى) رافدا نهر دجلة ، كانت مركزاً إدارياً مهماً في عصر سلالة أور الثالثة . انظر : حنون ، نائل ، حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار و النصوص المسمارية ، ط١، دار الزمان ، دمشق ٢٠٠٧ . ص ١٦٤ .

٣ - ساغز ، هاري ، عظمة آشور ، ط١ ، ترجمة خالد اسعد عيسى و احمد غسان سبانو ، دار ومؤسسة رسلان ، دمشق ٢٠٠٨ م . ص ٥٠ .

٤ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٨٣ .

٥ - بابل : أشهر مدينة رافدية قديمة ، بلغ أوج ازدهارها في القرن السادس قبل الميلاد ، تقع خرائبها اليوم على بعد نحو ١٢٥ كم جنوب بغداد على مجرى قديم لنهر الفرات . انظر : مرعي ، رحلة في عالم الآثار ، ص ١٣٢ .

من حكمه، فاحتل ديلبات Dilbat^(١) وبنى سوراً لها، وكسب نفوذاً جزئياً في مدن كيش Kish^(٢) وسيبار Sippar^(٣) ودمر مدينة كزالو. وبعد وفاته خلفه سمولا- إيل Sumula- El ١٨٨٠ - ١٨٤٥ ق.م، الذي يعد باني بابل الحقيقي، حيث أتم بناء السور الكبير للمدينة، وشيد المعابد، بالإضافة إلى احتلاله مدن أخرى وضمها إلى مملكته من مثل بارسيبا Barsippa^(٤) وديلبات وسيبار وكيش. خلف سمولا- إيل على عرش بابل ابنه سابينيوم Sabium ١٨٤٤-١٨٣١ ق.م، الذي مارس السلطة في حياة أبيه في حكم سيبار كولي للعهد، وبعد وفاة سابينيوم اعتلى عرش بابل ابنه إيبيل- سين Ibiel- Sin ١٨٣٠-١٨١٣ ق.م. خلف إيبيل- سين في الحكم سين- موباليت Sin-Mubaalit ١٨١٢-١٧٩٣ ق.م والد حمورابي، وقد عاصره ملك لارسا ريم- سين وشمشي- أدد الأول ملك آشور، وقد بينت الأحداث أن سين- موباليت كان رجلاً يمتلك نظرة بعيدة، وقد تعلم ابنه وخليفته حمورابي منه الشيء الكثير^(٥).

حمورابي هو الملك السادس لمملكة بابل الأولى، عندما تسلم الحكم كانت في البلاد قوى مختلفة تتصارع على السلطة فيما بينها، منها مملكة لارسا ومملكة ريم- سين الذي استطاع في السنة السابعة من حكم حمورابي احتلال مدينة إيسين وضمها إلى ملكه فصار جنوبي بلاد الرافدين كله تحت حكم مملكة لارسا. أما القسم الشرقي من بلاد الرافدين فقد كان تحت حكم العيلاميين مباشرة، وفي الشمال كان شمشي- أدد الأول يحكم مملكة آشور وشمال بلاد الرافدين بأكمله ومملكة ماري، ومنطقة الفرات الأوسط و وادي الخابور. وفي هذه الظروف قام نزاع طويل دام عشرين سنة بين تحالفين يضم الأول بلاد آشور

١ - ديلبات :يعرف موقعها الحالي باسم تل الديلم على بعد ٢٢ كم جنوب مدينة الحلة العراقية .انظر : مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٨٣ .

٢ - كيش : يعرف موقعها الحالي باسم تل الأحيمر ، الذي يقع على بعد ٨٠ كم جنوب شرقي بغداد و ٢٠ كم شرق بابل. انظر : مرعي ، رحلة في عالم الآثار ، ص ٢٦٣ .

٣ - سيبار : يعرف موقعها الحالي باسم تل أبو حبة ، على مقربة من نهر الفرات على الضفة الشرقية على بعد نحو ٣٢ كم جنوب غربي بغداد . انظر : مهران ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

٤ - بارسيبا : تعرف حالياً باسم (برس نمرود) و التي تقع على بعد ١٥ كم جنوب مدينة الحلة في محافظة بابل العراقية. انظر : الجميلي ، عامر عبد الله ، أسماء المدن و المواقع الجغرافية المتشابهة لفظاً و المختلفة موقعاً في النصوص

المسمارية ، مجلة آداب الرافدين - العدد ٥٤ ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٩ م ، ص ١٥ .

٥ - مرعي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٧٨ - ٨٠ .

وأشنونا وعيلام ويضم الثاني لارسا وبابل وماري وحلب. هكذا كان وضع بلاد الرافدين السياسي عشية اعتلاء حمورابي عرش بابل^(١).

بلغت بابل أوج قوتها وازدهارها في عهد حمورابي، الذي بدأ أعماله العسكرية في سنة حكمه السابعة فقد ذكر أنه حقق نصر على أوروك وإيسين، وفي السنة الثامنة قيامه بحملة على منطقة يموت بعل التي كانت تتبع لريم- سين ملك لارسا. وبعد سنة حكمه العاشرة توفي شمشي-أدد الحليف القوي، وكان ذلك نقطة تحول سياسية جديدة، فقد توجب عليه أن يحسن علاقته مع ريم- سين وأشنونا، وأن يحافظ على علاقاته الجديدة مع آشور، وبعد أن عاد زمري- ليم إلى عرش ماري أقام معه علاقات طيبة وقوية، ودخل معه في تحالف ضد أشنونا وعيلام، وقد دعمته في ذلك أيضاً مملكة يمحاض التي كانت تقوم في شمال سورية، فشكل منهم جيشاً قوياً^(٢).

وفي السنة الثلاثين من حكمه كان الصراع بينه وبين ريم- سين على أشده فجرت بينهما حروب طاحنة، وقد انتهت هذه الحروب بهزيمة نكراء مُني بها ريم- سين وهرب على إثرها إلى بلاد عيلام، فأخضع حمورابي مملكة لارسا وما كان يتبعها من مدن جنوب بلاد الرافدين، ولاحق فلول العيلاميين المنهزمة وبسط سيطرته على بلاد عيلام. بعد ذلك وجه اهتمامه إلى شمالي بلاد الرافدين فقام بالقضاء على أشنونا ومملكة آشور القديمة وعلى ملكها إشمي- داجان الأول بن شمشي- أدد الأول، ثم توجه إلى مدينة ماري واحتلها ثم أحرقها كما أسلفنا. ثم تقدم شمالاً إلى الفرات وأخضع المدن القريبة من بلاد الشام وسواحلها، أما سورية الشمالية فقد بقيت تحت نفوذ مملكة حلب. وهكذا ضم حمورابي إلى مملكته قسماً كبيراً من بلاد الشرق الأدنى القديم^(٣). (انظر الشكل ٢) .

^١ – Beek, M.A .,Atlas of Mesopotamia (A survey of the history and civilization of Mesopotamia from the stone Age to the fall of Babylon),translated by Welsh, M.A, University of Manchester, Nelson 1962,p 77 .

^٢ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٤٥ - ٤٦ .

^٣ - باقر ، المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

ومن أشهر أعماله التي خلدت اسمه في التاريخ تشريعه القانون المتكامل والذي يدعى قانون حمورابي^(١)، حيث قام بتسجيله على مسلة كبيرة من حجر الديوريت الأسود^(٢). (انظر الشكل ٣) .

بعد وفاة حمورابي تولى الحكم بعده خمسة ملوك جهدوا في الحفاظ على المملكة، وأولهم كان ابنه سمسو - إيلونا Samsu- Iluna ١٧٤٩-١٧١٢ ق.م ، الذي دخل في عهده الكاشيين Kashuhu^(٣) قادمين من جهة الشرق، وبدأوا يهددون أمن البلاد، كما قامت تمردات في جنوب بلاد الرافدين ضده، ولم يستطع القضاء عليها بسبب ظهور سلالة أرض البحر على شواطئ الخليج العربي الشمالية^(٤). خلف سمسو - إيلونا الملك إيبى - إيشوخ Abi-Eshuch ١٧١١-١٦٨٤ ق.م الذي تابع محاربة الكاشيين، ثم أخذت بعده مملكة حمورابي بالانهيار والتفسخ وقد استمرت هذه العملية في عهد الملوك اللاحقين عمي- ديتانا Ammi-Ditana ١٦٨٣-١٦٤٧ ق.م، وعمي- صدوقا Ammi - Saduqa ١٦٤٦-١٦٢٦ ق.م الذي اكتسب شهرة من خلال المرسوم الذي أصدره في سنة حكمه الأولى والذي يتضمن العديد من الإصلاحات القانونية التي تتعلق بالحياة الاقتصادية وتحرير عبيد الدين^(٥).

^١ - قانون حمورابي: وجدت المسلة في مدينة سوسة عاصمة عيلام أثناء حفريات بعثة التنقيب الفرنسية ١٩٠١-١٩٠٢ م. طولها ٢٢٥ سم و قطرها ٦٠ سم ، وهي أسطوانية الشكل. كتبت باللغة الأكادية، وبالخط المسماري. تحتوي المسلة على ٢٨٢ مادة، وفي القسم الأعلى من المسلة نحت بارز يمثل الإله شماش، إله الشمس جالسا على عرشه يسلم بيده اليمنى الملك حمورابي الواقف أمامه بخشوع أدوات القياس ليتسنى له بواسطة الحسابات الدقيقة إعمار البلاد وتثبيت الملكية. كان قد نقل المسلة إلى سوسة الملك العيلامي (شتروك ناخونتي)، الذي غزا بابل نحو سنة ١١٧١ ق.م. وقد محا الملك العيلامي عدداً من الأسطر ليسجل اسمه مكانها على ما يبدو، ولكن اللغات التي تحتويها خاتمة القانون بخصوص من يغير في نصوصها قد منعت على الأرجح من تدوين اسمه. والمسلة موجودة حالياً بمتحف اللوفر. انظر: رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة ، ط ٣ ، دار الشؤون الثقافية العامة " آفاق عربية "، بغداد ، ١٩٨٧، ص ١٠٧.

^٢ - Saggs , H .W . F ., op . cit , p17 .

^٣ - الكاشيون : بالأكادية كاشو Kashshu ، مجموعات هندو أوربية ظهرت في بلاد الرافدين قبل سقوط بابل بيد الحثيين بوقت طويل ، ويعتقد أنهم بدأوا بالهجرة إلى هناك من المناطق الجبلية الشرقية في القرون الأولى من الألف الثاني قبل الميلاد ، وكان الدافع الرئيس لهجرتهم هو غنى بلاد الرافدين وتوفر فرص العمل فيها . كانت هذه المجموعات الجبلية تقيم في منطقة لورستان الحالية ، ولكن بقايا لغتهم تشير إلى أن موطنهم الأصلي في منطقة القوقاز . وأولى الدلائل على وجودهم جاء من عهد سمسو - إيلونا . انظر : مرعي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٩٢ .

^٤ - Clay . A ., op . cit , p35 .

^٥ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٨٦ .

وأخيراً تسلم الحكم في بابل سمسو- ديتانا Samsu-Ditana ١٦٢٥-١٥٩٥ ق.م وهو الملك الحادي عشر والأخير من مملكة بابل الأولى. وفي عهده كان هجوم الحثيين^(١) على بابل بقيادة ملكهم مورشيلي الأول Mursilis سنة ١٥٩٥ ق.م، فاحتلوا العاصمة بابل وعاثوا فيها فساداً، وحملوا معهم الغنائم وتمثال الإله مردوك^(٢) وتمثال قرينته أسيرين، ثم رجعوا إلى جبال طوروس. وبذلك ينتهي عهد المملكة البابلية الأولى وبانتهائها تنتهي فترة العصر البابلي القديم. وبعد انسحاب الحثيين من بابل سيطر الكاشيون على مقاليد الحكم وأسسوا فيها مملكة لتدخل بابل بعدها مرحلة جديدة لمدة أربعة قرون تحت الحكم الكاشي^(٣).

ثانياً - دراسة اجتماعية :

معظم معلوماتنا عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في هذا العصر مستمدة من قانون حمورابي، الذي نظم أمور الأسرة من زواج وطلاق وإرث وتبني، كما نظم أمور الزراعة والحرف والتجارة والقضاء وغيرها، ومن خلال هذا القانون نجد التمييز واضحاً بين طبقات المجتمع .

١ - طبقات المجتمع :

من خلال قانون حمورابي يمكننا تمييز ثلاث طبقات اجتماعية رئيسة في المجتمع البابلي القديم ويُميز بينها في الحقوق والواجبات وهي :

^١ - الحثيون : موطنهم الأصلي في آسيا الصغرى ، وعاصمتهم خَنْثُوشَا (حالياً بوغازكوي) ، تقع على بعد نحو ١٥ كم شرقي أنقرة . انظر : فيلهلم ، جرنوت ، الحوريون (تاريخهم و حضارتهم) ، ترجمة وتعليق فاروق إسماعيل ، ط ١ ، دار جدل ، حلب - ٢٠٠٠ م ، ص ١٨ .

^٢ - مردوك : إله مدينة بابل الرئيس ، ابن الإله أنكي . وبطل ملحمة الخلق البابلية (إنوما إليش) ، وبحسب الأساطير السومرية كانت مدينة كوارا مسقط رأسه . و صار يحمل جميع صفات الإله أدد وامتيازاته ، فهو إله العاصفة الذي يتحكم بالمطر و الفيضانات و الرياح ، وسلاحه العاصفة و رمزه الثور . و جاء في أحد النصوص أن ((أدد هو مردوك المطر)) . انظر : مرعي ، عيد ، عبادة آلهة الخصوبة في الشرق القديم منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة - دمشق - ٢٠١٦ م ، ص ٣٦ - ٦٩ - ٧٠ .

^٣ - Saggs , H.W.F ., op . cit , p 19 .

أ - **الطبقة الأولى** : هي طبقة الأحرار و يسمى الفرد منها أويلوم awilum. ويتمتع أفرادها بامتيازات كبيرة في الدولة والمجتمع^(١). وتأتي هذه الطبقة في رأس المجتمع، ومعنى كلمة أويلوم الرجل ومار أويلوم ابن الرجل. ولكن كان لهاتين الكلمتين معنى اجتماعي آخر يدل على مواطن من الطبقة الممتازة أو من مولد رفيع، ويطلق على هذه الطبقة اسم الطبقة العليا ولعل صفوة هذه الطبقة جماعة من الكهنة كان لهم مركز مميز في الإدارة والقضاء فكانوا يدعون إلى بعض القضايا كهيئة محلفين أو محكمين. ومن امتيازات مواطني هذه الطبقة كما جاء في قانون حمورابي، أن العقوبات التي كانت تفرض على الجرائم المرتكبة بحقهم أشد من العقوبات التي تفرض على الجرائم في حالة ارتكابها ضد أفراد الطبقات الأخرى. ولكن كان يقابل هذه الامتيازات عقوبات صارمة على الجرائم التي يرتكبها أفراد هذه الطبقة. ومن هذه الطبقة كان يعين الحكام وقواد الجيش وكبار الموظفين وغيرهم وقد فرض القانون احترامها على الطبقات الأخرى^(٢).

وبالاستناد إلى قانون حمورابي والنصوص القانونية المتعلقة بالشؤون العامة يمكن التعرف على أنواع عديدة من المواطنين الأحرار. منهم أعضاء المشاعات، والمزارعون الملكيون الذين يؤدون ضرائب عينية للملك، والمحاربون الذين يحصلون على أراض غير قابلة للنقل من الملك، والحرفيون، والموظفون والمرابون الذي كانوا تجاراً، ومرابين و وكلاء في الوقت نفسه^(٣).

ب - **الطبقة الثانية** : هي طبقة الموشكينوم Mushkenum وهي الطبقة الوسطى في المجتمع. وكلمة موشكينوم الأكادية تعني حرفياً (الذي ينحني إلى الأرض). وقد اختلف العلماء في تحديد معنى هذه الكلمة ولم يتوصلوا إلى معنى موحد، واختلفت التسمية من عصر إلى آخر. ولكن ما يهمنا هنا تحديد معناها في العصر البابلي القديم . فهناك رأيان حول معنى كلمة موشكينوم. الرأي الأول يقول: إن أفراد الموشكينوم هم من أتباع القصر الذين كانوا يعيشون على أرض الملك مقابل خدمات يقدمونها للملك. والرأي الثاني يرى أنهم العامة الذين لا ينتمون إلى النخبة، وربما كان تعبير موشكينوم لا يشير إلى طبقة اجتماعية معينة، ويحاول بعضهم ربطها بكلمة مسكين العربية^(٤). وورد ذكر الموشكينوم بمعاملة خاصة في قانوني

^١ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٨٩ .

^٢ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

^٣ - دياكوف . ف و كوفاليف . س ، الحضارات القديمة ، ج ١ ، ترجمة نسيم واكيم اليازجي ، ط ١ ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ب . ت . ص ١٠١ .

^٤ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٨٩ .

أشنونا (المادتان ١٢ و ١٣) وحمورابي (المادتان ٢١٦ و ٢٥١)، وهي طبقة جمهور من الناس، أفرادها أحرار^(١). ومن خلال مقارنة مواد هذين القانونين نجد أن مكانة الموشكينوم الاجتماعية في عهد أشنونا كانت أعلى مما كانت عليه في عهد حمورابي^(٢). ومهما يكن، فإنّ قانون حمورابي يميز في العقوبات المفروضة بين الرجل الحر أو أولوم والموشكينوم، وهذا يدل على أن الأولوم كان يتمتع بحقوق وامتيازات أكثر من الموشكينوم الذي كان حاله أفضل من العبد^(٣).

ج - الطبقة الثالثة : طبقة العبيد (عبد: wardum). وهي الطبقة الأدنى في المجتمع البابلي القديم، والمغلوبة على أمرها، فقد كان العبيد يعاملون معاملة قاسية ولم ينظر إليهم البابليون كبشر بل كانوا يعدونهم من الأشياء المملوكة الخاصة بهم^(٤)، وسنتحدث عنها بالتفصيل لاحقاً فهي موضوع بحثنا .

٢ - الأسرة :

كانت الأسرة أساس المجتمع في العصر البابلي القديم، وكان رأسها الأب، تليه الزوجة في سيادة بيتها ولكن السلطة العليا كانت للرجل وسلطته في أسرته مطلقة. وكانت كثرة البنين من الأمور السائدة في الشرق الأدنى القديم، وكانوا يفضلون الأبناء الذكور على الإناث^(٥).

وقد أولى حمورابي الأسرة عناية كبيرة في قانونه إذ خصها بثمان وستين مادة، من المادة ١٢٨ إلى المادة ١٩٥ عالجت هذه المواد قضايا الزواج و الطلاق والإرث والتبني وغيرها^(٦).

أ - الزواج : يقوم الزواج عند البابليين على أساس الزوجة الواحدة، لكن القانون والعرف كان يسمح للرجل أن يتخذ محظيات من الإماء اللاتي كان يملكهن، وله أن يتزوج من امرأة ثانية، إذا كانت زوجته الأولى مصابة بمرض يمنع قيام العلاقة بينهما أو كانت الزوجة عاقراً. وكان من مظاهر تمسك البابليين

^١ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

^٢ - سليمان ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

^٣ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٨٩ .

^٤ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .

^٥ - المرجع نفسه ، ص ٤٠٦ .

^٦ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٩٠ .

بالأصول الشرعية لصحة الزواج وشرعيته عندهم أن يكون مقروناً بعقد زواج قانوني مدون ومصدق بالشهود وإلا كان باطلاً، وكذلك الأمر في حال الطلاق^(١). وتعد الخطبة المرحلة الأولى من مراحل الزواج والخطوة التمهيدية لما يتبعها من خطوات أخرى خلال القيام بترتيبات الزواج، حيث تبدأ بإعلان رجل ما الرغبة في الارتباط بامرأة وقد تنتهي بالزواج، فالرجل هو الذي يبدأ الطلب والمرأة توافق أو ترفض^(٢).

وبعدها تأتي الخطوة الثانية حيث يتم تقديم الهدايا للمخطوبة من قبل الخاطب. وكان الزواج الشرعي يتم بالإضافة إلى العقد بتخصيص ثلاثة أنواع من الأموال، أحدها أسموه ترحاتو tirhatum الذي يدفعه الزوج إلى أسرة الزوجة وهو المهر الخاص للزوجة ويرثه أبنائها من بعدها، ولم يكن للمهر حد معين. والثاني مبلغ من المال تهديه عائلة الزوجة وسموه شيريقو shiriqu، وهو مبلغ من المال جرت العادة أن يكون أمانة عند الرجل لزوجته ويجوز له التصرف به ولكنه يبقى مُلكاً لزوجته ويرثه أبنائها أو أهلها إذا ماتت وإذا لم يكن لها أولاد يعود هذا المال إلى الزوجة في حال الطلاق. والمبلغ الثالث كان بمثابة هدية من الزوج لزوجته ويسمى الهبة في المصطلح البابلي تودو tudu. ومن الأمور المهمة في الزواج أنه لا يمكن أن يتم إلا برضا الوالدين من الأسرتين^(٣).

وإذا لم تتجب المرأة فهناك خياران أمام الرجل، إما أن يتزوج من امرأة ثانية وتكون مرتبتها أقل من الزوجة الأولى أو أنه يطلق زوجته الأولى بعد أن يدفع لها مستحقاتها. ولكن في أغلب الأحيان كانت الزوجة الأولى تعتمد إلى حل المشكلة بأن تقدم لزوجها محظية من إمائها لتتجب له أطفالاً، ومتى ما ولدت هذه المحظية تصبح حرة. كما عاقب القانون على الزنا عقوبة قاسية، حيث كانت الزوجة الزانية التي يقبض عليها متلبسة بالجرم تربط مع الرجل الذي زنت معه ويلقيان في الماء إلا إذا عفا عنها زوجها فإنها تبقى على قيد الحياة وهكذا يعفي الملك الرجل الزاني معها من الموت. وقد خصص قانون حمورابي جملةً من المواد لطبقة من النساء كن يلحقن بالمعابد وهن الكاهنات. وبعضهن يخصصن بغايا ويلحقن بالمعابد لبعض الشعائر الدينية الخاصة بالآلهة^(٤). وحدد قانون حمورابي عدداً من أنواع الزيجات: كالزواج

^١ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤٠٧ .

^٢ - قرقلر ، وائل ، الزواج والطلاق دراسة لغوية وتاريخية مقارنة في النصوص البابلية (شريعة حمورابي) و العبرية (التوراة) و العربية (القرآن) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة حلب - ٢٠٠٩ م . ص ٢ .

^٣ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤٠٩ .

^٤ - المرجع نفسه ، ص ٤١٠ .

من كاهنات والزواج من أمة و زواج المرأة الثانية وزواج العبد وما يتبعها من مهر وهدية وميراث^(١). سنتحدث عنها لاحقاً بالتفصيل .

والتزاوج بين الطبقات الاجتماعية الثلاثة كانت قليلة الحدوث، بيد أنه وردت حالات يتزوج فيها الفرد من الطبقة الأولى بصورة سرية أو كزوجة شرعية، أو أن فرداً من الطبقة العليا يتزوج امرأة من غير طبقته عندما تكون فقيرة لا يسعها الزواج بأحد أفراد طبقته^(٢).

ب - الطلاق : كما شرعت القوانين العراقية الزواج كذلك شرعت الطلاق كحل جذري ونهائي في حال فشل الزواج واستحال استمراره، فكان الطلاق وسيلة لإنهاء الحياة الزوجية، وهناك أسباب أجاز فيها الطلاق^(٣). ولكن ضمن شروط معينة، فقد كان الطلاق بيد الرجل، يمكنه أن يطلق زوجته إذا كانت عاقراً، وأن يعطيها فضة تعادل مهرها، ويعوضها عن جهازها الذي جلبته من بيت أبيها، أو إذا أصيبت بمرض عضال، أو إذا كانت مهملة لبيتها ولممتلكات زوجها. ويمكن للزوجة طلب الطلاق إذا أثبتت إهمال زوجها لها^(٤).

ج - الإرث : ميز البابليون القماء بين أنواع الأموال في التركة وهي :

- أموال منقولة : كالنقود والحلي والملابس والأثاث وما شابه ذلك .
- أموال غير منقولة : كالأراضي والبيوت والبساتين .
- الحقوق المالية : وهي نوع من الأسهم والسندات في عصرنا الحاضر، وبذلك تكون نوعاً من الأموال المنقولة، كأن تكون رأس مال مشارك في عملية تجارية، أو أموال مقرضة إلى آخرين.

وقد خصَّ قانون حمورابي للإرث المواد من ١٦٥ إلى ١٨٤ من قانونه لاقتسام الميراث. فالقاعدة العامة في تعيين الورثة هي أن الأبناء الذكور جميعاً- الذين هم من صلب الرجل- يتقاسمون التركة بالتساوي مع منح الابن الأكبر(البكر) بعض الامتيازات، كأن يحق له اختيار الحصة الأولى، أو تقتطع له حصة إضافية، وذلك لأن الابن الأكبر يتحمل تبعات اجتماعية تتطلب نفقات مالية، كاستقبال الضيوف، ومسئولية رعاية الإخوة الصغار وما شابه ذلك، هذا مع العلم أن عادة تفضيل وتقديم الابن الأكبر على

^١ - قرقلر ، المرجع السابق ، ص ٢ .

^٢ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

^٣ - قرقلر ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

^٤ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٩٠ .

بقية الأبناء تشترك بها معظم شعوب الشرق الأدنى القديم. وقد يترك المتوفى وثيقة رسمية تشبه الوصية اليوم، يخصص بموجبها جانباً من ممتلكاته لإحدى زوجاته أو لابنه المفضل وربما لابنه المتبنى فيقتطع الجزء المذكور في الوثيقة من التركة أولاً، ثم يقتسم الباقي بالتساوي بين الورثة. وقد يموت الأب وله أطفال صغار دون سن الزواج، فيجب على إخوتهم الكبار أن يقتطعوا مبلغاً من المال من تركة أبيهم يساوي هدية الزواج ويخصصونها لإخوتهم الصغار. لأن الإخوة الكبار المتزوجين قد حصلوا على هذا المبلغ من قبل عند زواجهم خلال حياة والدهم^(١).

ولم تكن المرأة البابلية محرومة من كافة حقوقها فلأم تركة أيضاً، وإن مبدأ تعيين الورثة وحصص الورثين لها لا تختلف عن المبادئ المتبعة بالنسبة إلى تركة الأب، ولكن في حالة كان الإخوة من أب واحد ومن أمهات مختلفة، فيرث كل منهم تركة أمه على انفراد، ويتقاسمون تركة أبيهم بالتساوي. ومن أهم الثروات عند الأم مهرها الذي ينتقل إلى أبنائها بعد وفاتها، بينما يعاد مهرها إلى بيت أبيها في حالة وفاة الزوجة دون أبناء يرثونها. وفي حالة وفاة الأب عن أرملة وأولادها صغار قاصرون، تكون الأم بمثابة الوصية على أولادها وعلى حقوقهم في تركة أبيهم، وينتقلون للعيش معها في بيت زوجها الجديد، في حالة زواجها مرة ثانية، وعندها يوقع القانون مسئولية حماية حقوق وممتلكات الأطفال الصغار من تركة أبيهم على زوج أمهم، حيث يتم تثبيت ذلك في المحكمة لمراقبة تنفيذ الالتزامات عند بلوغ الأبناء سن الرشد^(٢).

د - التبني : يمثل التبني آخر الموضوعات التي تخص قوانين الأسرة البابلية القديمة وقد خص له حمورابي المواد من ١٨٥ إلى ٩٣ من مواد قانونه. والتبني يمثل باتفاق بين طرفين على إنشاء علاقة جديدة بين رجل يمثل دور الأب أو امرأة تمثل دور الأم و بين ولد أو بنت يمثلان دور الابن أو البنت، وتتضمن علاقة التبني هذه حقوقاً وواجبات للطرفين. مجموعة عقود التبني المكتشفة توضح الهدف الحقيقي من وراء التبني، فلم يكن التبني رغبة من رجل أو امرأة حرماً من نعمة الأولاد فقط وإنما تتمثل في أغلب حالاتها في ارتباط قانوني من رجل عجوز أو امرأة مسنة يرغبان في الحصول على مساعدين لهم يقومون على خدمتهم و ينجزون لهم أعمالهم، خصوصاً إن كان بعضهم حرفياً حيث يقوم الابن المتبنى بتسيير أعمال متبنيه. والأهم من ذلك السهر على راحتهم و توفير أسباب المعيشة لهم عند العجز و الشيخوخة، كما

^١ - الهاشمي، رضا جواد، وآخرون، القانون والأحوال الشخصية، حضارة العراق، ج ٢، بغداد ١٩٨٥م، ص ٩٨.

^٢ - المرجع نفسه، ص ٩٩.

تكشف لنا بعض العقود أن الغايات الدينية كانت مشجعة على التبني، فبعض العقود تشترط على الابن المتبنى أن ينفذ الطقوس والمراسيم الدينية اللازمة على روح متبنيه بعد وفاته^(١).

وهناك خلافات يمكن أن تحدث بين المتبني و المتبني، فقد ركزت مواد قانون حمورابي على هذا الجانب (المادتان ١٨٨ و ١٨٩)، فمن خلال هاتين المادتين يبدو أن هناك عدداً من الحرفيين كانوا يعمدون إلى التبني، ففي حالة شيخوخة الحرفي وعجزه عن القيام بأعمال حرفته سيفقد مورد دخله، لذلك كان بحاجة إلى ولد صغير يدربه على أسرارها ليستعين به على أيام شيخوخته، وعليه أن يعلم ابنه المتبنى أسرار حرفته، فإذا علمه الحرفة لا يمكن استعادته أو الادعاء عليه في المستقبل، بينما إذا لم يعلمه حرفته يمكنه العودة إلى بيت أبيه^(٢).

وقد يتأخر زوجان عن الإنجاب أو لا يثمر زواجهما أبناءً بسبب العقم ولهما رغبة شديدة على استمرار علاقتهما الزوجية، لذلك يعمدان إلى تبني ابناً لهما قبل أن يريزقا بأبناء من صلبهم، فإذا أراد الأب في المستقبل فسخ علاقة التبني مع الابن المتبنى، يجب عليه ضمان كامل حقوقه عند فسخ عقد التبني. وينحو عام فإن بعض حالات التبني كانت تمر بفترة تجربة ربما يتراجع بعدها المتبني عن رغبته بالتبني لذلك كان إبرام العقد بين الطرفين يمثل الصيغة القانونية التي لا يحق بعد إبرامها لأحد منهما، الرجوع عنها، وإلا سيتحمل البادئ تبعات نقض الاتفاق، كما يحق للابن المقرر تبنيه التخلي عن الذي تبناه إذا تأخر المتبني في إبرام العقد، أو تردد في إعلان أبوته التي تتيح للابن المتبنى حق الإرث في ممتلكات متبنيه مستقبلاً. وتتابع القوانين تأكيداً على الجوانب الإنسانية في إقامة هذه العلاقات ففي حالة تبني رجل لطفل رضيع يبقى الطفل هذا تحت التجربة، فإن تكيف مع الأسرة الجديدة سيبقى مع متبنيه، أما إذا بقي الطفل يريد أمه، على الرجل أن يعيده إلى أمه، ولا يتحمل الطفل في هذه الحالة أية عقوبات قانونية، فقد نحا القانون منحى إنسانياً في تأكيد شوق الطفل الطبيعي إلى والديه، ولا سيما في مرحلة الحضانه. وإلى جانب تبني الطفل الرضيع كان هناك الممرضات في المجتمع البابلي ، فوجودهن ضروري مع وجود حالات التبني حيث تأخذ الممرضة طفلاً، إضافة إلى أطفالها وترضعه إلى الفطام. وهناك حالات تموت فيها الأم بعد الإنجاب مباشرة، فتبرز الحاجة إلى ممرضة أيضاً، لذلك تلزم القوانين الممرضة بالتأكد من مقدرتها على إرضاع طفل آخر وسلامة لبنها، وسلامة صحتها، لأنه إذا مات طفل على تربيها خلال فترة

^١ - المرجع نفسه ، ص ١٠٢ .

^٢ - Mieroop, M.V., the Ancient Mesopotamian city, clarendon press , Oxford, 1997. P 179 .

رضاعتها له، وإذا تعاقدت في نفس الوقت على رضاعة طفل آخر دون أن تخبر أبويه بوفاة الطفل السابق، يعتبر عملها هذا جرمًا وتعاقب عليه بقطع ثديها، وبذلك يمنعها من القيام بالرضاعة مستقبلاً^(١).

ثالثاً - دراسة اقتصادية :

تقوم الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين القديم على ثلاثة أركان رئيسة هي الزراعة والصناعة (الحرف) والتجارة وبقي هذا الطابع يميز جميع الحضارات التي قامت في بلاد الرافدين^(٢).

١ - الزراعة :

كان اعتماد السكان في بلاد الرافدين يقوم بالدرجة الأولى على الزراعة، بسبب توافر مقوماتها الأساسية في هذه المنطقة التي تتميز خصوبة تربتها ووفرة مياهها اللتين تساعدان على قيام زراعة مستقرة بالإضافة إلى مناخها الملائم للكثير من الزراعات^(٣). وقد كانت ملكية الأراضي في بابل تقسم إلى ثلاثة أنواع: الأراضي الملكية، وأراضي المعابد وأراضي ملكية خاصة. فالملك كان يمنح أتباعه الجنود إقطاعات من الأرض لزراعتها واستثمارها لمنفعتهم الخاصة، ولكن لا يجوز بيعها أو تأجيرها أو توريثها أو مبادلتها. وقد جاء تنظيم تلك الملكية في مواد خاصة من قانون حمورابي. وجرت العادة بتحديد الأراضي المملوكة بتعيين مساحتها وحدودها وتنشيط ملكيتها بالسندات المدونة^(٤). فالأراضي التي كانت تعطى لأفراد من الجنود من أجل استثمارها بشرط أن يشتركوا في الحملات العسكرية عند طلب الملك، ولكن إذا تخلف الفرد تكون عقوبته الموت، جاء ذلك في المادة ٢٦ من قانون حمورابي: (إذا أمر ريديم أو بائيروم (صنفان من العساكر) بالذهاب في حملة الملك (العسكرية) ولم يذهب أو استأجر أجيراً وأرسله بدلاً عنه (فإن) هذا الريديم أو البائيروم يقتل. ويأخذ الشخص الذي استأجره بيته)^(٥).

أما النوعان الآخران من الأرض فالملكية فيهما خاصة ولمالكهما الحق المطلق في التصرف بهما. وقد كان من موظفي القصر والمعبد من يحظون بعطايا من الملك وهبات من الأراضي كانت تمنح لهم، ولهم الصلاحيات المطلقة في التصرف بها، حيث كانوا يؤجرون قسماً كبيراً منها إلى مزارعين صغار لقاء ثلث

^١ - الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

^٢ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤١٣ .

^٣ - الأحمد، سامي سعيد، وآخرون، الزراعة والري، حضارة العراق، ج٢، بغداد ١٩٨٥. ص ١٥٣.

^٤ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤٢١ .

^٥ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٩٠ .

المحصول يدفع للمالك. ومعظم أولئك الملاكين الكبار الذين يمكن أن نسميهم إقطاعيين كانوا موظفين مهمين بمراتب عليا في القصر أو في المعبد، وكانوا بالإضافة إلى وظيفتهم يقومون بأعمال اقتصادية تدرّ عليهم أرباحاً طائلة كتأجير الأراضي والقروض الربوية^(١).

لقد تضمنت معظم قوانين بلاد الرافدين القديمة مواد خاصة بالزراعة، فقد اهتم حمورابي بوضع الأسس والمبادئ القانونية التي تساعد على ازدهار الاقتصاد ونموه في مملكته. حيث عالجت المواد من ٢٧ إلى ٤١ من مواد قانونه القضايا المختلفة الناجمة عن هذه الطريقة في إقطاع الأراضي. وهناك مواد أخرى تتحدث عن شروط تأجير الحقائق والحقول وتحدد عقوبات التقصير والإهمال وهي المواد من ٤٢ إلى ٥٦. وكذلك عملية استئجار العمال الزراعيين والرعاة والحيوانات المستخدمة في الحراثة ودرس المحصول أو نقله قد نظمت في العديد من المواد^(٢).

وبالإضافة إلى ذلك نستطيع أن نميز في بلاد الرافدين بين نوعين من الأراضي التي كانت تزرع، وهي الحقل لزرع الحبوب وما شابهها وأداة الحقل الرئيسة المحراث، والبستان لزرع الأشجار المثمرة وأدوات البستان المسحاة والفأس^(٣).

ومن بين المزروعات يأتي القمح في المرتبة الأولى ثم الشعير. كانت الحقول تُعطي في الظروف العادية محاصيل وفيرة تكفي حاجات السكان ويزيد منها أيضاً، حيث كان يذهب قسم منها إلى مخازن القصر والمعابد، على شكل فريضة عينية، ويبيع الباقي في السوق. وكانت الحبوب تشكل القيمة الأولى في التداول الزراعي أيضاً^(٤). وعرف الرافديون القدماء القطن منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد الذي جاءهم من مصدره الأصلي في بلاد الهند، كما زرعوا السمسم، وكان القصب ينمو تلقائياً في منطقة الأهوار منذ أقدم الأزمنة وقد شكل عنصراً مهماً في الاقتصاد فقد كان غذاء للماشية ويستخدم أيضاً في بناء البيوت وصنع الحُصُر^(٥).

١ - دياكوف ، المرجع السابق ، ص ٩٩ .

٢ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٩٠ .

٣ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤٢١ .

٤ - Mieroop, M .V., op . cit, p 163 .

٥ - الأحمد ، المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

وكانت النخلة أقدم شجرة وأهم شجرة في تاريخ بلاد الرافدين. وجرت العادة أن يزرعوا الفراغات التي بين النخيل بالأشجار المثمرة، كالتفاح والتين والكرم والرمان واللوز والكمثرى والفسق وغيرها^(١).

- الري : نهرا الفرات ودجلة هما عصب الحياة في بلاد الرافدين، فكما قال هيرودوت مصر هبة النيل، يمكننا القول إن بلاد الرافدين هبة نهريها العظيمين وروافدهما. فالري كان الدعامة الأساسية في حياة بلاد الرافدين الاقتصادية. وقد طغت أخبار شق الأنهار والجداول على غيرها من أخبار الملوك وأعمالهم منذ أقدم العصور وكان حفر نهر جديد حدثاً مهماً يؤرخون به الحوادث^(٢).

ونلاحظ مدى اهتمام الملوك بالري من إطلاق الكثير منهم أسماء القنوات التي شقوها على بعض سنوات حكمهم. وفي عصر مملكة بابل الأولى كان هناك موظف يعينه الملك للإشراف على القنوات له سلطات واسعة، ومن رسائل حمورابي لحكامه نلاحظ مدى اهتمامه بتطهير القنوات^(٣).

ومن وسائل الري التي عرفها الرافديون القدامى لإرواء أراضيهم هي الدالية، وهي آلة ري بسيطة تتكون من عمود خشبي ينتصب على مسند فإذا ارتفع رأس من رؤوس العمود نزل الرأس الثاني وهكذا^(٤). والناعور المائي، الذي يعمل بقوة تيار ماء النهر وهو دولاب خشبي كبير يستند على دعامتين متينتين مشيدة عادة من الحجارة وتوضع سلسلة من جرار فخارية صغيرة منتظمة وتربط بحبال قوية على طول دائرة الدولاب الخشبي الخارجية^(٤).

أما بالنسبة للثروة الحيوانية في بلاد الرافدين القديم فقد كانت تشكل جزءاً مهماً في اقتصادهم فبالإضافة إلى تأمينها الغذاء للسكان كان لها أهمية في الشؤون الزراعية والنقل والمواصلات. لقد عرف الرافديون القدماء عدداً من الحيوانات، مثل الجاموس الذي كان موجوداً منذ العصر السومري القديم الذي دجن في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد مع الثور الأحذب، والماعز والأغنام والأبقار والحمير. وقد ورد ذكر الحصان أيضاً في عقد من العصر البابلي القديم . وقد حمت القوانين البابلية القديمة الحيوانات، حيث

^١ - باقر ، المرجع السابق ، ص ٤٢١ .

^٢ - المرجع نفسه ، ص ٤٣١ - ٤٣٣ .

^٣ - الأحمد ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

^٤ - المرجع نفسه ، ص ١٨٢ .

فرض الملك لبث-عشتار في قانونه الغرامات على من يلحق الضرر بالثيران المؤجرة للعمل الزراعي. وحددت قوانين أشنونا و حمورابي أجور الثيران والحمير وغيرها^(١).

٢ - الصناعة (الحرف) :

لا توجد صناعة في العصر البابلي القديم بالمفهوم العام السائد في العصر الحاضر وإنما كانت فيه صناعات يدوية بسيطة، ونسميها حرفة أو مهنة، حيث تطورت هذه الحرف بشكل تدريجي مع اكتشاف المعادن، فمع بداية الألف الثالث قبل الميلاد تم اكتشاف البرونز وهو ناتج من خلط مادة القصدير مع النحاس. وبذلك تمكن الحرفي من إنتاج مصنوعات برونزية جيدة بحسب ما يتوفر لديه من الخبرة والأدوات. ولقد ظهر في المدن حرفيون يعيشون من نتاج حرفتهم، فقد كان لهم في ساحة السوق حانوت يأخذون الطلبات من الزبائن ويصنعونها، وقد تطورت الحرف وبخاصة البرونزية. وإلى جانب أولئك الحرفيين كان هناك من يعمل في ورشات خاصة لأفراد خاصين^(٢). فقد كان يوجد في بابل ورشات حرفية ملحقة بالمعابد والقصور لتلبية احتياجات الملك وأسرته والكهنة من المصنوعات المختلفة. ويشير حمورابي في المادة ٢٧٤ من قانونه في تحديد الأجور اليومية إلى أصحاب حرف مختلفة^(٣).

ومن الحرفيين البنائون والمعماريون وقاطعوا الختم وصانعوا السلال، وصانعوا الأقواس والخزافون " الفاخوريون" والنحاتون والنجارون وصانعوا القوارب. ومن الحرف البارزة، النسيج وقصارة الأقمشة والصياغة وصناعة الأحذية. ومن الطبقات الحرفية التجار ومشرفات الحانة والبغايا والأطباء والحلاقون، والكاهنات والحكام والكتاب والبحارة والجنود الذين يتنقلون بين حرف متنوعة. وكان أغلب الحرفيين يملكون أراضي زراعية، لكنهم كانوا يكلفون شخصاً ما بزراعتها وينصرفون لحرفتهم وبذلك يوفرون مصدر دخل إضافي لهم. أما الصناعة التي كانت الدعامة الاقتصادية القوية في بلاد الرافدين بشكل كامل فهي النسيج، فالمنسوجات كانت مرغوبة عبر الشرق القديم بكامله من بحر إيجه إلى بلاد الرافدين^(٤).

١ - المرجع نفسه ، ص ١٩٢ .

٢ - دياكوف ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

٣ - مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، ص ٩١ .

٤ - Warburton. D.A., and others, Working, A companion to the Ancient near east, Daniel C. Snell, Blackwell publishing, oxford 2005 . pp170 – 171 .

٣ - التجارة :

كانت التجارة ركناً هاماً من أركان الاقتصاد البابلي القديم. فقد كانت الصفقات التجارية تعقد في بلاد بابل من قبل التجار وممثليهم. ويسمى التاجر في اللغة الأكادية تامكاروم (tamkaru (m) فلقد قام التامكاروم بدور بارز في الحياة الاقتصادية في بلاد بابل في العصر البابلي القديم. والمصدر الرئيسي لدراسة النشاطات المتعلقة بـ (التجار/ التجارة) في هذه الفترة يأتي من قانون حمورابي والنصوص البابلية القديمة من مدينتي لارسا وسيبار البابليتين. من خلال ذلك يظهر التامكاروم، كتاجر متجول يبيع البضائع بنفسه من خلال جولات تجارية ورحلات إلى الأسواق المختلفة، جاء ذلك في المواد (٣٢ و ٢٨٠ و ٢٨١) من قانون حمورابي. وكمتعهد تجاري يبيع بضائعه عن طريق ممثلين تجاريين يعملون في خدمته وترتبطهم به علاقات منظمة. ويتضمن قانون حمورابي عدة مواد تنظم العلاقة بين التامكاروم والممثل التجاري (شامالوم) والمواد هي من (٩٩-١٠٧). وكان التاجر أيضاً يستخدم أشخاصاً آخرين لتسيير أعماله التجارية بالإضافة إلى الشامالوم. بالإضافة إلى ذلك استخدم التامكاروم في تجارته أشخاصاً يدعون صوخارو suharu كانوا يستخدمون في الحمل والنقل وبصفة السعاة .

كما عمل التامكاروم كمقدم للقروض الربوية (دائن)، التي كانت قروضاً عينية ونقدية. وقد كان تقديم القروض يمثل الدرجة العليا في ممارسة الأعمال التجارية، حيث وصل التامكاروم إلى هذه الدرجة بعد وقت طويل من تطور المجتمع، فعمله كتاجر متجول كان الخطوة الأولى في تطور نشاطاته. فمن خلال الوثائق السومرية القديمة كان يظهر كتاجر فقط ، وعندما بدأت الأنشطة الخاصة بالازدهار بعد بداية سلالة أور الثالثة كان التامكاروم ناشطاً في تقديم القروض. حيث يرد في مواد قانون حمورابي العديد من الفقرات التي تتعلق بالقروض وما يتعلق بها من تنظيم العلاقة بين المدين والدائن (التامكاروم) وغيرها .

بالإضافة إلى قانون حمورابي تظهر عدة رسائل بابلية قديمة تفيد أن التامكاروم كان يقرض الفضة والشعير. والتاجر كان يعمل بتكليف من القصر، وبشكل أساسي كتاجر خارجي، ويعمل بالتجارة الخاصة لنفسه أيضاً، كما يبدو ذلك من عدة مواد من قانون حمورابي تشير إلى مكانة التاجر كرجل أعمال مستقل وليس كموظف حكومي^(١).

^١ - مرعي ، عيد ، التاجر ونشاطاته في العصر البابلي القديم ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٢٣ - ٢٤ ، جامعة دمشق ، ١٩٨٦ . من ص ١٣٨ حتى ص ١٤٥ .

وفي مجال التجارة الخارجية شكلت مواطن المواد الأولية من معادن وأخشاب وأحجار والتي يفتقر إليها بلاد الرافدين مراكز رئيسة في الاتصالات التجارية الخارجية. ومن المعروف أن بعض المواد المذكورة في سجلات التجارة الخارجية تتوفر في أكثر من مصدر، فالنحاس مثلاً من المعادن التي استوردها الرافديون من الأناضول ومن منطقة الخليج العربي التي تحتل مكان الصدارة والقدم في الاتصالات التجارية لبلاد الرافدين القديمة، فقد هيأت سواحل الخليج الغربية طريقاً جيداً أمام وسائل النقل النهرية، والراجح أن افتقار منطقة الخليج العربي إلى المنتجات الزراعية أو ما يصنع منها، كان عاملاً مشجعاً يهيئ أسباب التبادل التجاري مع بلاد الرافدين. فقد قام الرافديون بحملات استعمارية واسعة مع مناطق الخليج العربي منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وقد استمرت هذه الحملات خلال فترة العصر البابلي القديم، وأصبح مصطلح (Alik Tilmum ki) أي المسافر إلى ديلمون (البحرين حالياً) مرادفاً للفظه تاجر عند الرافديين القدماء. كما استورد الرافديون من الخليج العربي أو عبر مراكزه التجارية، النحاس والأخشاب والأحجار، وهي المواد الثلاثة الرئيسية التي تفتقر إليها الأرض الرافدية، بالإضافة إلى استيراد السلع والمواد الكمالية مثل العاج والذهب واللازورد وأنواع أخرى من الأحجار الكريمة، وبعض أنواع الحيوانات والطيور، ومادة سميت بعيون السمك (اللؤلؤ).

أما الصادرات الرافدية، فيأتي في مقدمتها المنسوجات والملابس والزيوت النباتية وبخاصة السمس، والسمن الحيواني والشعير والجلود والصناعات الجلدية، فعن طريق هذه المواد الأولية والمصنعة - وهي مواد يزدهر إنتاجها في مناطق بلاد الرافدين المختلفة - نجح الرافديون في تغطية قيمة الواردات وبخاصة الكميات الكبيرة من النحاس والأخشاب والمواد الأخرى.

وتحتل بلاد الشام المرتبة الثانية من حيث الأهمية في تجارة بلاد الرافدين الخارجية، فعلى جبالها تنمو أشجار الأرز، وهي الأشجار ذات الشهرة التاريخية لصلابة أخشابها واستقامة عودها، حتى إن الرافديين أطلقوا على الجبال اللبنانية اسم جبال الأرز كما أطلقوا على جبال طوروس الفضة. ويرجع اهتمام الرافديين بهذه المناطق من بلاد الشام إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد (العصر الأكدي). وكان القصدير من المواد التي أكثر الرافديون من استيرادها من إيران وتناوبت آشور وماري الاهتمام باستيرادها من الأناضول^(١).

^١ - الهاشمي ، المرجع السابق ، من ص ١٩٨ حتى ص ٢١٠.

- وسائل النقل وطرق المواصلات :

تعتمد أركان الاقتصاد الثلاث زراعة وصناعة "حرفة" وتجارة على مر العصور على توفر طرق المواصلات ووسائلها لتسهيل عملية نقل المواد الخام والبضائع والمنتجات. وأول ما نلاحظه في الطرق التجارية في بلاد الرافدين هو أهمية نهري دجلة والفرات والقنوات المتفرعة عنهما في هذا المجال. وبديل على ذلك وقوع معظم المدن سواء في بابل أو آشور على أحد هذين النهرين أو على روافدهما. فالقوافل التجارية كانت تسير إما عبر النهرين وبخاصة عند الانتقال من الشمال إلى الجنوب، أو بمحاذاتهما^(١) عند انتقالها من الجنوب إلى الشمال وذلك لصعوبة الملاحة بعكس التيار. وكانت الطرق التجارية تبدأ غالباً من مدينة أور جنوب العراق ومنها تنطلق شمالاً إلى وسط بلاد الرافدين حيث تقع مدينة بابل، ومن مدينة بابل تتفرع إما شرقاً باتجاه بلاد عيلام وإما شمالاً، ومن مدينة بابل كانت الطرق تسير باتجاه دجلة ثم تأخذ طريقاً على طول النهر شمالاً إلى آشور ومن ثم إلى نينوى فنصيبين^(٢) فحران^(٣)، ومن مدينة حران تتجه إلى إيمار أو إلى كركميش^(٤) (أي مدن الموانئ على نهر الفرات) ومنها تتابع إلى الطرق التقليدية عبر سورية، وإما تتجه من حران عبر أعالي الفرات باتجاه الأناضول حيث كانت تتواجد المراكز التجارية الآشورية منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. وكانت الطريق تسير من نينوى عبر أعالي بلاد الرافدين باتجاه مناطق الهضبة الأرمنية الحالية ومنها إلى جنوب القفقاس، أو من نينوى باتجاه مناطق الجزيرة السورية العليا. أما شرقاً باتجاه بلاد عيلام فقد كانت الطرق تتخذ من مجاري الأنهار الكبرى المنحدرة من جبال زاغروس باتجاه بلاد الرافدين طريقاً لها. وأهم هذه المجاري مجرى نهر ديالى والزابيين الكبير والصغير (الأعلى والأدنى). والطريق الطبيعي بين بلاد الرافدين وسواحل البحر المتوسط يمر عبر أراضي

١ - قابلو ، جباغ ، الطرق التجارية ووسائل النقل في بلدان الشرق العربي القديم خلال الألفين الثاني و الأول ق . م ، فعاليات الأسبوع الثقافي الرابع لقسم التاريخ ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة دمشق ٦ - ٢٠ آذار ١٩٩٩ م ، مطبعة الداودي ، ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م . ص ٤٥ .

٢ - مدينة نصيبين : هي من الأسماء المشهورة في سورية ، وهناك ستة أماكن تقريباً تحمل نفس الاسم ، ولكن هذه المدينة تقع في شمال سورية بالقرب من مدينة القامشلي على الحدود التركية . انظر : الحلو ، عبد الله ، تحقيقات تاريخية ولغوية في الأسماء الجغرافية السورية ، ط ١ ، دار بيسان ، بيروت ١٩٩٩ م ، ص ٥٤١ .

٣ - مدينة حران : مدينة قديمة يعرف موقعها الحالي بنفس الاسم ، تقع قرب منابع نهر البليخ في تركيا بالقرب من الحدود السورية . انظر : مرعي ، عيد ، حران في تاريخ الشرق القديم ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العددان ١٠٧ - ١٠٨ - ٢٠٠٩ م ، ص ٣ .

٤ - مدينة كركميش : تعرف حالياً بمدينة جرابلس عند دخول نهر الفرات إلى سورية ، وهي مدينة قديمة تقع على الضفة اليمنى للفرات ، انظر : مرعي ، رحلة في عالم الآثار ، ص ٢٤٨ .

شمال سورية باتجاه إيمار ومنها إلى حلب ثم يتجه جنوباً نحو قطنة فدمشق أو عبر سهل العمق إلى ألالاخ^(١) وأوجاريت^(٢) غرباً^(٣).

وأما وسائل النقل فقد استخدمت القوافل التجارية ووسائل تتناسب مع الطرق التي تسلكها، فقد كانت البغال والحمير تشكل وسائل النقل البرية الرئيسة خصوصاً في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، أي إلى تدجين الجمال عند نهاية الألف الثانية قبل الميلاد.

وأما في الطرق النهرية فقد اعتمدوا على القوارب ذات الحمولات الصغيرة والمتوسطة، وكانت هناك السفن الصغيرة المصنوعة من القصب والقار والتي كان لها دعائم أمامية وخلفية عالية زخرفت برؤوس حيوانية مختلفة وترتفع الصارية في منتصف السفينة. واستخدموا أيضاً قوارب صغيرة مدورة تشبه السلال وتسمى القفة، صنعت من أغصان الصفصاف والقصب المغطى بالجلد والمطلي بالقار. وأما نقل البضائع الثقيلة فقد كان الاعتماد فيه على طوف يسمى (كالكو) يتكون من ألواح خشبية مرصوفة فوق عدد من القرب المنفوخة المصنوعة من جلد الماعز ويسير هذا الطوف بقوة الدفع^(٤).

وهكذا نجد أن الطرق التجارية البرية والنهرية قد لعبت دوراً فعالاً في ربط بلاد الرافدين بالمناطق الأخرى القريبة والبعيدة وساعدت على استيراد وتصدير البضائع وعززت الصلات بين أجزاء هذه المنطقة، وساهمت في نقل المؤثرات الحضارية إلى مناطق مختلفة من الشرق الأدنى القديم.

١ - مدينة ألالاخ : يعرف موقعها الحالي باسم تل عطشانة الذي يقع على ضفة نهر العاصي شرق أنطاكية بنحو ٢٠ كم. انظر : المرجع نفسه ، ص ١١٢ .

٢ - مدينة أوجاريت : مدينة سورية قديمة ، يعرف موقعها الحالي باسم رأس شمرا على بعد نحو ١١ كم شمالي مدينة اللاذقية . انظر : دانيال ، ج ١ ، المرجع السابق ، ص ٩١ .

٣ - قابلو ، المرجع السابق ، ص ٤٦ .

٤ - المرجع نفسه ، ص ٥٤ .

الفصل الثاني - مفهوم العبودية و مصادرها

أولاً - مفهوم العبودية :

١ - التعريف المعجمي للعبودية (الدلالة اللغوية) .

٢ - الدلالة الاصطلاحية للعبودية :

أ - الجانب القانوني .

ب - الجانب الاجتماعي .

ج - الجانب الاقتصادي .

د - الجانب الديني .

٣ - عوامل نشوء العبودية .

ثانياً - مصادر العبودية :

١ - أسرى الحرب .

أ - رسائل إلى زمري ليم بخصوص أسرى حرب :

- رسالة من يمصوم .

- رسالة من ياريم - أدو .

- رسائل من ياسيم - إيل .

- رسالة من إدياتوم .

- رسالة من زمري - أدو .

ب - وضع الأسير القانوني .

٢ - عبودية الدَّيْن :

أ - الرهينة من أجل الدين .

ب - وضع الرهينة القانوني .

ج - الكفالة في الدين .

٣ - عبودية المجاعة .

٤ - العبودية كعقوبة على :

أ - نكران أبناء التبني والديهم .

ب - الزوجة التي لا تحترم الروابط الزوجية .

ج - ارتكاب جرائم معينة .

٥ - العبيد عن طريق التجارة .

أ - مشاكل تجارة العبيد .

ب - أسعار العبيد .

الفصل الثاني

مفهوم العبودية ومصادرها

أولاً - مفهوم العبودية :

١ - التعريف المعجمي للعبودية (الدلالة اللغوية) :

لقد عَرَفَ الرافديون القدماء مفهوم العبودية منذ أقدم العصور ، حيث تشير الكتابة الصورية التي استخدمت للدلالة على العبد المملوك أو الأمة المملوكة إلى أن العبودية كانت معروفة منذ بداية استخدام الكتابة الصورية وسيلة للتدوين في أواسط الألف الرابع قبل الميلاد ^(١) .

حيث عبر السومريون عن العبد بكلمة (نيتا - كور Nita - Kur) تعني (رجل بلد آخر) أو (رجل البلد الجبلي) ^(٢) ، ويمكن مقارنة كلمة kur باللغة الأكادية بـ matu, Sadu, and ersetu ماتو وشادو وإيرصيتوم، وتعني جبلي ^(٣) . وعبر السومريون عن الأمة بعلامتين (Kur , MUNUS) : تشير الأولى منهما إلى الجنس وهي مونوس (MUNUS) بمعنى امرأة . والثانية كور (KUR) بمعنى جبل . وقد ترجمت هذه العلامة من قبل ثورو دانجن Thureau - Dangen الذي افترض أن العلامة (kur) بشكل عام تعني جبل وهي تعود لبلد جبلي، وبالاستناد إلى هذا الافتراض، استنتج ميندلسون Mendelsohn أن السومريين القدامى حصلوا على عبيدهم من مناطق أجنبية، جبليّة ^(٤) .

^١ - ثلجي ، أحمد ، البنية الاجتماعية في العراق القديم من خلال التشريعات (العهد البابلي نموذجاً) ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، جامعة غرداية ، الجزائر ، العدد ١٠ ، ٢٠١٠ ، ص ١٦٢ .

^٢ - Vandorpe , L , The name is slave ? The slave onomastic of old Babylonian Sippar, Academiejaar , universiteit Gent , 2009 – 2010 . p6.

^٣ - Black' J.,and others, A concise Dictionary of Akkadian, 2nd corrected printing , Harrassowitz Verlag . Wiesbaden , 2000 , p79 -204 - 345 .

^٤ - Vandorpe , L., op. cit , p 7.

و في النصوص المسمارية السومرية وردت العلامة التي تعبر عن الأمة ، بعدة صيغ ولكل واحدة من هذه الصيغ معنى خاص :

- الصيغة الأولى : (كيمي ٢ GEME) : تعني أمة فقط .

- الصيغة الثانية : (ساك كيمي ٢ GEME SAG) : تعني (أمة واحدة أو رأس من الإماء) حيث تسبقها العلامة الدالة (ساك SAG) التي تعني رأس. ويقابلها في الأكادية (resu amtu ريشو أمت) .

- الصيغة الثالثة : (سال كيمي ٢ SAL GEME) : سبقت بالعلامة الدالة سال (SAL) التي تدل على الأنثى .

- الصيغة الرابعة : (سال أراد SAL ARAD) : استخدمت هذه الصيغة العلامة الدالة مع علامة العبد (أراد ARAD) فيصبح معناها أنثى العبد ^(١) . ويقابلها في الأكادية (موكورتو واردم mukurtu wardum) أنثى العبد ^(٢) .

فالكلمة الأكادية (واردم WARDUM) مشتقة من الجذر نفسه للكلمة السومرية اللاحقة للعبد (أراد) ، وكلمة رجل الأكادية (إير Ir) والمرأة (كيمي GEME) ^(٣) .

وفي اللغة الأكادية استخدمت مفردة مشابهة للغة العربية من حيث اللفظ والمعنى فكلمة أمت amtu في اللغة الأكادية تقابل أمة في اللغة العربية أي المرأة المملوكة أيضاً ^(٤) .

والمرأة المملوكة في اللغة العربية بخلاف الحرة . وجمع الأمة أموات وإماء و أم و إماء وأموان. ويقال استأتم أمة غير أمتك ، بتسكين الهمزة ، أي اتخذ ، وتأمت أمة . و تأمت أمة اتخذها ، وأماها

^١ - سليمان ، كروان عامر ، العقود ذات العلاقة بالإماء في العصر البابلي القديم ، مجلة القادسية في الآداب و العلوم التربوية، مج ١٠ ، العددان ١ - ٢ ، ٢٠١١ م . ص ١٠٤ .

^٢ - Borger , R., Assyrische – baby Ionische , zeichenliste , Neukirchener Verlag – Neukirchen – Vluyn, 1986. P554.

^٣ - snell , D ., Slavery in the ancient Near East , The Cambridge world history of slavery, Volume 1 , The Ancient Mediterranean world, Cambridge University Press, 2011.p 7.

^٤ - سليمان ، كروان عامر ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

جعلها أمة . و أَمَتِ المرأة و أُمِيَتْ و أَمُوتَ : صارت أمة . و المفردة مشتقة من أَمَتَ و تأمَّت بمعنى صارت أمة ، فيقال كانت حرة فتأمَّت^(١) .

أما العبد الذكر في اللغة العربية فهو بعيد في اللفظ عن اللغة الأكادية، فالعبدُ: هو الرجل المملوك خلاف الحر، والجمع عبيدٌ وَعَبْدٌ وَأَعْبَدٌ و عُبْدَانٌ، وَعِبَادٌ وَعُبدٌ. ومن الجمع أيضاً عِبْدَانٌ بالكسر^(٢) .

ويقال : فلان عبد بين العبودية و العُبودية و العَبْدِيَّة ، وأصل العُبودية الخضوع و التذلل. والعبدى، مقصور، والعبداء ممدود، والمعبوداء بالمد، والمعبودة أسماء الجمع .

قال الليث : العبدى جماعة العبيد الذين وُلدوا في العُبودية. و يقول : وأَعْبَدَهُ عبداً مَلَكَهُ إِيَّاهُ، قال الأزهرى، والمعروف عند أهل اللغة أَعْبَدْتُ فلاناً، أي استعبدته. و تَعَبَّدَ الرجل و عَبَّدَهُ وَأَعْبَدَهُ : صَيَّرَهُ كالعبد . وَعَبَّدَهُ و اَعْتَبَدَهُ و اسْتَعْبَدَهُ : اتخذهُ عبداً .

عن اللحياني، قال رُوْبَةُ : يَرْضَوْنَ بالتعبيد و التَّأْمِي ، أراد : والتأمية . يقال : تَعَبَّدْتُ فلاناً ، أي اتخذته عبداً ، و تأمَّيتُ فلانة ، أي اتخذتها أمةً . و عَبَّدَ الرجل عُبودةً و عُبوديةً و عُبْدَ : مَلِكٌ هو و آباؤه من قبل . و التعبيد : الاستعباد ، وهو أن يتخذهُ عبداً ، وكذلك الاعتباد^(٣) .

٢ - الدلالة الاصطلاحية للعبودية :

لقد أشار وسترمان Westerma إلى أنه لم يكن هناك مصطلح محدد للعبد في اللغات السامية، ويستند في ذلك إلى المصطلح التوراتي (عبد) والذي كان يعني العبد بمفهومه الحقيقي أو أي شخص تابع أو خادم^(٤) . ولم يستخدم مصطلح عبد ليشير فقط إلى شخص ملك في القانون من قبل آخر ، بل استخدم ليشير إلى أي شخص تابع في السلم الاجتماعي . وطبيعة المصطلح يمكن أن تكون مبهمة في القوة التراتبية لمجتمعات الشرق القديم، فتابعو الملك سموا عبيداً بالرغم من أنهم كانوا مواطنين أحراراً. والملك

^١ - أبن منظور ، لسان العرب ، باب الألف ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ب . ت ، ص ١٢١ .

^٢ - المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات و إحياء التراث ، ط ٤ ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٥٧٩ .

^٣ - ابن منظور ، المرجع السابق ، ص ٢٧٧٦ – ٢٧٧٧ .

^٤ - Dandamaev , M .A. , Rabstvo v vavilonii , VII – IV vv. DO N.E. (626- 331 gg) , IZDATELCTVO "NAUKA" . MOCKVA , 1974 , p 46.

نفسه كان يصف نفسه عبداً للآلهة. وكان المسئول أو القائد العسكري أو الموظف الأدنى مرتبة إذا خاطب الملك أو الحاكم يشير إلى نفسه بشكل مهذب كعبد أو خادم^(١).

وفي العصر البابلي القديم كان يشار إلى العبد بكلمة سوبار subur لارتباطهم بالبلد الذي يدعى سوبارتو Subartu^(٢) في شمال بلاد الرافدين، وكلمة سوبار تعني غلام، فمن خلال بعض الرسائل يظهر بوضوح أن المقصود هو العبد، حيث جاء في إحدى الرسائل (خذ غلماي على طول وبيعهم)، وفي رسالة أخرى (فضة لسعر ثور و غلام)، وفي رسالة نصيحة (لا يوجد غلام جدير بالثقة)^(٣).

يمكننا أن نتصور أن أي مفهوم للعبودية يتضمن عدة جوانب، قانونية و اجتماعية واقتصادية ودينية :

أ- الجانب القانوني : العبودية، خلاف الحرية. وهي نظام ذو قواعد لاستعباد الأشخاص، يقوم على امتلاك شخص لآخر بصورة قانونية وهو مجبر على طاعته، واعتباره جزءاً من ثروته وممتلكاته^(٤). فالأنظمة القانونية المتعارف عليها في الشرق القديم صنفت الأشخاص الذين ملكوا من قبل أشخاص آخرين كنوع من الملكية الخاصة، وتبعاً للحقوق الطبيعية لهذه الملكية استطاع السيد تقييد حرية هذا الشخص وعزله واستغلال جهده البدني. وقد كانت العلاقة بين السيد والعبد تخضع للقوانين ولمؤسسات العدالة الاجتماعية التي كان يمثلها الملك أو موظفوه، ولم تنكر الطبيعة البشرية للعبد، فمعظم الملوك ادعوا أنهم أقاموا العدالة ورفعوا الظلم عن الفقراء. ولذا نجد أن حقوق العبيد لم تكن متساوية، فهي تختلف من ملك إلى ملك ومن عصر إلى آخر^(٥).

لكن بشكل عام كان العبيد مرتبطين قانونياً بالخضوع والانقياد والتبعية والاستعباد والتذلل. وهذا لا يعني أن الأشخاص المستعبدين ليس لهم حقوق، لأن الممارسات الاجتماعية والدينية والفكرية كانت

¹ - Westbrook . R . , Slave and master in Ancient near eastern law , issue 4 symposium on Ancient law , Vol . 70 , Chicago – kent law review , June 1995 . p 1634 .

^٢ - سوبارتو : أطلقت التسمية في المصادر الكتابية القديمة منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد على الحوريين ، ومناطق استيطانهم في أعالي نهر دجلة باتجاه الشرق والغرب . انظر : فيلهلم ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

³ - Snell , D . , op . cit , p 8.

^٤ - سليم ، شاكراً مصطفى ، قاموس الانثروبولوجيا ، إنكليزي - عربي ، ط ١ ، جامعة الكويت ، ١٩٨١ ، ص ٨٨٦ .

⁵ - Westbrook . R . , op . cit , p 1674 .

تضمن بعض الحماية للعبيد. وفي الواقع كان العبد يعامل اجتماعياً ضمن الحدود، دون إنكار لطبيعته البشرية، فهو يصبح حراً بعد انتهاء فترة الاستعباد^(١).

يفترض كلاً من درايفر Driver ومايلز Mails أن مفهوم العبودية الذي تمسك به الحقوقيون الرومان وحُفظ حتى أيامنا الحالية، كان غريباً بشكل كامل عن القوانين البابلية والتوراتية. وبحسب رأي هذين العالمين - فالعبد في بابل بخلاف المجتمع الروماني أيام الحروب التوسعية، لم يعتبر متاعاً بل حافظ على شخصيته، وامتلاك عائلة، ومالكه لم يكن يملك عليه حق الموت أو الحياة.

ويرى إيلرس Elers، أن كبار الشخصيات في الإدارة الأخمينية كانوا يملكون مثل هذا الحق فيما يتعلق بالأشخاص التابعين لهم ، فمثلاً كان كل سكان الساتراوية (تسمية الولاية في العصر الأخميني ٥٩٥ - ٣٣١ ق . م) كانوا يعدون عبيداً للساتراب (الوالي)، والساتراب نفسه كان يعتبر عبداً للملك^(٢).

ومهما يكن، فإن العبيد في العصر البابلي القديم ذكوراً وإناثاً كانوا يُعدون من الناحية القانونية ملكاً خاصاً لمالكهم وله الصلاحيات المطلقة في التصرف بهم دون صلاحيات الموت والحياة عليهم ، وكان يحق له أن يبيعه أو يؤجرهم أو يوهبهم أو يرهنهم مقابل دين، وكانوا يعاملون كأية بضاعة أو عقار يمتلكه صاحبه، لذا كانت تبرم العقود و تحرر الوثائق لتثبيت تلك الصلاحية^(٣) .

ب- الجانب الاجتماعي : يرى ميندلسون Mendelsohn : أن العبد والسيد كانا يقفان على قدم المساواة من حيث لون البشرة و الدين و اللغة. ومعظم العبيد كانوا من قبل احراراً^(٤).

وربط الباحث أورلاندو باتيرسون Orlando Patterson في دراسته للعبودية في الشرق القديم بين الخاصية الاجتماعية والخاصية الاقتصادية، فذهب إلى أن العبودية هي موت اجتماعي، فالعبودية مستمرة، فطرية، وسيطرة شديدة عزلت بالولادة، بشكل عام أشخاصاً ذميمين(موصومين بالعار) تجردوا من الإرث والماضي. فكرة الموت الاجتماعي، تلغي استخدام العبيد في الأعمال الاقتصادية، وقد عرّف

¹ – Culbertson , L ., and others , Slaves and households in the near east , Held at the Oriental Institute of the university of Chicago 5 – 6 March 2010 , p 10 .

² - Dandamaev , M . A ., op . cit , p 45 .

^٣ - سليمان ، كروان عامر ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

⁴ - Dandamaev , M . A ., op . cit , Pp 44 - 46 .

باتيرسون العبودية بأنها ليست كياناً مستقراً ، لكنها عملية تفاعل معقدة، مثقلة بالتوتر والتناقض في كل حركة من عواملها التأسيسية. وقد استنتج باتيرسون مفهوم الموت الاجتماعي من خلال مقارنته للعبودية في العصر الحديث. وقد كان لدراسته فائدة للعلماء الذين درسوا العبودية في مجتمعات تاريخية مختلفة، لأنها حررت المفهوم من قيود اللغة القانونية التي لا يوجد فيها تعريف واضح للعبودية. وقد واجه مفهوم الموت الاجتماعي الكثير من النقد. فكثير من الألفاظ لخصت المفهوم بشكل معنوي أو عممت طبيعته أو أعطت ملاحظات غير ثابتة له، عندما درست بيانات تاريخية أو سياسية معينة، منها العصر الحديث. وقد تمكن الأشخاص المستعبدون في بيئات الشرق القديم من تحسين أوضاعهم بشكل تدريجي ضمن قيود العبودية، وحصلوا على حريتهم^(١).

كما لاحظ كوبينتوف Kobintoff أن الأشخاص المستعبدين كانوا مشتتين في جميع اتجاهات هذا المفهوم بطريقة اتباع لعائلاتهم وانتماءاتهم وروابطهم وأصولهم. كما ذكر توليندانو Tolindano في مكان آخر، أن العبودية كيان اجتماعي. وافترض أنها جزء من كيان موحد مترابط . وفي مقارنته بين العبد والحر يرى أن كليهما عبد لكن بدرجات عبودية مختلفة. وأن العبودية لم تكن ثابتة بل تتغير باستمرار كما سماها اينغلوند Ingland (ميزان منزلق) . فالعبيد كانوا في الطبقة الأدنى للمجتمع^(٢) .

وقد كان يمكن تمييز العبودية كطبقة اجتماعية في جميع السياقات، وهذا ليس بالضرورة بسبب العرق، فالعديد من العبيد نشئوا ضمن السكان المحليين. ولم تكن العبودية حالة مستمرة دائماً، فحالات الاستعباد كانت محددة للظروف التي كانت مؤسسة تحت الاستعباد^(٣) .

حتى إن شكل العبودية قد تغير في الفترة التاريخية نفسها في البلد الواحد. وإلى جانب ذلك، وتفاوتت أوضاع العبيد إلى حد كبير في نفس المجتمع و في نفس الفترة التاريخية. وحالات الاستعباد يمكن أن تكون مختلفة بين العبيد حتى ضمن الأسرة الواحدة وفقاً لظروف معينة. فبعضهم تعرض لحالات استغلال كبيرة، وبعضهم كان في وضع أفضل إلى حد ما^(٤) .

¹ - Culbertson . L ., op . cit , p 9 .

² - Ibid ., p 13 .

³ - Ibid ., p 10 .

⁴ - Dandamaev , M . A ., op . cit , p 44 .

ويَعُدُّ المختص في التاريخ الإغريقي القديم فينلي Finley أن النظرة التقليدية للعبد في الشرق القديم، من حيث إنه لا يملك الحرية و الحقوق الشخصية، نظرة خاطئة. ويرى أنه يمكن التحول في الشرق القديم واليونان وروما القديمة ، من إحدى الحالتين إلى الأخرى و بشكل غير واضح ، ولذلك من غير المفيد السؤال : من أين يمر الخط الفاصل بين الحرية و العبودية ؟ ^(١) .

ويرى بعض الباحثين أنه قد ساد في الشرق القديم نوع من العبودية العشوائية أو الفوضوية (المقصود هنا أن كل الناس كانوا عبيداً للملك)، ولذلك لا يوجد في هذا الشرق القديم طبقة أحرار. إن هذا التقسيم صحيح إذا نظرنا إليه من منطلق أنه في كثير من بلدان الشرق القديم، بما في ذلك بابل، عد الرعية عبيداً للملك و الملك عبداً للإله. مثلاً ، كان بإمكان حمورابي أن يعد أي مواطن في دولته عبداً له. وإذا نظرنا إلى الشرق القديم بعيون الإغريق والرومان، يمكن القول، إنه كانت هناك عبودية فوضوية أو عشوائية، ولكن مثل هذا المنهج قليلاً ما يُمكننا من فهم البنية الاجتماعية للمجتمع الشرقي وقد حدد بعض الباحثين مفهوم العبد والعبودية بالمفهوم الشرقي بعدة نقاط أهمها: - العبودية في الشرق القديم كانت نتيجة للفقر بشكل عام. - كان العبد يعمل جنباً إلى جنب مع سيده، ولذلك كان الانتقال من حالة الحرية إلى حالة العبودية وبالعكس ظاهرة طبيعية: فالإنسان يمكن أن يباع كعبد، وفي اليوم التالي يُمنح الحرية. - العبد كان غالباً من سلالة سيده نفسها، وأحياناً من الجنسية نفسها، يتكلمون اللغة نفسها ويمارسون الدين نفسه. وكان يعد أحد أفراد العائلة. ويمكن أن يصبح مواطن حراً و يرتفع إلى وظائف عليا في الدولة. العبودية لم تمنع ترقيته ، ولم تختتم عليه أي وصمة عار. وكان في بعض الأحيان صانعاً ماهراً وأحياناً يمتلك معرفة أدبية. وبالنسبة لنا فإن مشكلة الطبقات الاجتماعية في بابل لم تكن صعبة أو عصية على فهمنا، على الأقل بالنسبة للألفين الثاني والأول قبل الميلاد. فمن الممكن تمييز فئتين: أحرار كاملو الحقوق، وعبيد بالمعنى الكلاسيكي لهذه الكلمة (أي بالمفهوم الإغريقي والروماني) وهما متناقضتان بشكل واضح في النصوص القانونية. فالأحرار كاملو الحقوق، كانوا أعضاء في المجتمع المحلي وأعضاء في المجلس الشعبي، وكانت لهم ميزات محددة ، وكانوا غير تابعين من الناحية الاقتصادية لغيرهم بالإكراه. وأما العبيد، فقد كانوا متاعاً لمالكهم. وكان عليهم واجبات يؤدونها نحوهم دون أن تكون لهم حقوق ^(٢).

إذاً العبودية كانت ممارسة بشكل ثابت وقاسٍ لكنها ليست مستمرة ، وفي العصر البابلي القديم كان العبيد يشكلون طبقة اجتماعية ثابتة وفعالة، ويمكن للعبد امتلاك بعض الممتلكات التي يستطيع عن

¹ - Ibid ., p 45

²-Ibid .,p p 49- 50.

طريقها شراء حريته، وفي حال موت العبد تنتقل أملاكه إلى سيده. ولم يكن العبيد في بابل طبقة منغلقة، وذلك لأن الأشخاص الأحرار يمكن أن يصبحوا عبيداً ضمن شروط نصت عليها القوانين البابلية القديمة وبالعكس يمكن أن يصبح العبيد أحراراً^(١).

ج - الجانب الاقتصادي : جرى التوافق في المؤلفات السوفيتية على أن العبد هو الشخص الذي لا يملك أدوات الإنتاج وهو لذلك مضطر للعمل بالإكراه نتيجة الحاجة، إن هذا التعريف يمكن أن يتناسب مع حالة العبيد في العصور الكلاسيكية، ولكن عند البحث في المجتمعات الشرقية القديمة، يمكن إهمال بعض عناصر هذا التعريف. فالعبد ليس بالضرورة أن يكون متاعاً لمجرد أنه لا يملك أداة للإنتاج وأنه مضطر للعمل عند غيره. فمثلاً الباحث السوفيتي ستروفه في عمله المهم عن المجتمع السومري، اعتبر الفئة التي تحمل لقب غوروش^(٢) من العبيد. ولكن مثل هذه المقاربة التي وسعت وأعدت تحديد مفهوم العبودية، واجهت اعتراضاً عليها من كثير من الباحثين. فمثلاً دياكونوف Diakonoff وتيومنيف Teomnef يعتبران أن الغوروش من الأحرار. وكذلك نظر الباحث الأمريكي جلب Gelb إلى هذه الفئة على أنها من أنصاف الأحرار. ويذكر زلين Zelen من هم العبيد من وجهة نظره، فيقول: (الناس الذين ينتمون لطبقة العبيد، أي الذين يعدمهم كذلك القانون المعمول به، هم الذين يعتبرون ملكية شخصية خاصة لأناس آخرين، كمجموعة أو حتى للمعبد، ولكنهم ليسوا بالضرورة متاعاً، وليس بالضرورة لا يملكون أدوات إنتاج وليس بالضرورة أن يكونوا معرضين لظلم شديد)^(٣).

وترى لورا كولبيرتسون، أنه لم يكن للعبيد دور أساسي في دائرة الإنتاج في حضارات الشرق القديم. ولا مكان في الشرق القديم جعل من العبيد الطبقة الرئيسية للعمال. وهذا الأمر ينطبق أيضاً على المجتمعات البابلية الحديثة في الألف الأول قبل الميلاد، عندما أصبحت العبودية أكثر أهمية من العصور المبكرة في تاريخ الشرق القديم. بشكل عام، أخذ عمل العبيد مكاناً أساسياً في العائلات الخاصة إلى حد ما في مؤسسات القصر أو المعبد^(٤).

^١ - ساغر، هاري، عظمة بابل، ط ١، ترجمة خالد اسعد عيسى، واحمد غسان سبانو، دار رسلان، دمشق، ٢٠١١م، ص ١٨٩.

^٢ - الغوروش : فئة من العمال كانوا يتقاضون مؤونة عينية ، ويتعرضون للاستغلال ، مع أنهم ليسوا عبيداً من الناحية القانونية . وهذه الفئة كانت محرومة من امتلاك وسائل الإنتاج ، كانت هذه الفئة موجودة منذ عصر السلالات الباكورة ، ولكنها اختفت مع بداية العصر البابلي القديم . انظر : غولايف ، المدن الأولى ، ترجمة طارق معصراني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٩م ، ص ١٠٩ .

^٣ - Dandamaev . M . A ., op . cit , p 47- 48 .

^٤ - Culbertson , L ., op . cit , p 21 .

ويتفق دارسو تاريخ بلاد الرافدين على القول : إن وضع العبيد في بلاد الرافدين القديم كان مختلفاً عما كان في العصر الإغريقي والروماني. إذ يؤكد الدارسون أنه بقي للعبيد الكثير من الحقوق التي لم يعرفها عبيد الإغريق والرومان، وخاصةً أن العبيد في بلاد الرافدين لم يُستخدموا إلا كخدم في البيوت والقصور وأعمال الورش التابعة للمعابد. ولذلك ذكر كثير من المؤرخين هؤلاء كانوا أشبه بأنصاف العبيد أو أنهم كانوا ذوي طبيعة شبه عبودية ^(١). إذ كان وضعهم مميزاً عن باقي العبيد في المجتمعات والدول الأخرى، فقد تمتع العبد في بلاد الرافدين القديم بحقوق هامة ، فقد كان يستطيع القيام بالأعمال التجارية المختلفة ويسمح له باستدانة الأموال من أجل شراء حريته. وكان يستطيع استئجار الأراضي ومزاولة المهن المختلفة إلى جانب حق تملك الأراضي والبيوت، حتى إنهم تمتعوا بحق استخدام مواطنين أحراراً كعمال لديهم. هذا الوضع الحقوقي والاقتصادي المميز أبقى للعبيد الصفة الإنسانية بدل صفة المتاع التي أصبحت لهم في العصور الإغريقية والرومانية ^(٢). فقد كان العبيد يعملون بالقوة والإكراه وكان شعورهم بفقدان شخصيتهم الإنسانية وكرامتهم يثير فيهم الكراهية والحقد، وهذا ما أضر بالإنتاج الزراعي في روما ونظائرها من الدول الأخرى ^(٣).

ومع تطور مجتمعات الشرق القديمة، ظهرت إلى جانب الملكية العامة ، الملكيات الخاصة لبعض الفئات المتميزة حتى أصبحت الملكية جميعها فيما بعد لصاحب السلطة العليا، أو ملكاً للآلهة التي تودعها الملوك. وهؤلاء يمنحون بعضها إلى الفئات ذات الحظوة لديهم. ثم ظهرت في المراحل اللاحقة الملكية الخاصة للأرض بدلالة مقدرة بعض الأشخاص على شراء القرى والمزارع حتى إن النساء والعبيد ملكوا هذا الحق في البيع والشراء ^(٤). العلاقة بين العبيد والحكومة كانت نوعاً من أنواع الاضطهاد والاستغلال للأسرى الأجانب في العمل، وقد كان من أوجه الخير للعبودية أنها كانت أداة بناء وعمران، فالمدن الشرقية القديمة بمعابدها وقلاعها وحصونها بنيت بأيدي العبيد من أسرى الحرب ^(٥).

^١ - عبد الحي ، عمر محمد صبحي ، الفكر السياسي و أساطير الشرق الأدنى القديم ، بلاد ما بين النهرين و مصر القديمة ، ط ١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٨ م . ص ١٣٣ .

^٢ - المرجع نفسه ، ص ١٣٤ .

^٣ - الترماني ، عبد السلام ، الرّق ماضيه و حاضره ، عالم المعرفة العدد ٢٣ ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب - الكويت ، ١٩٧٩ م . ص ١٧ .

^٤ - عبد الحي ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

^٥ - Culbertson , L. , op . cit . p 11 .

وفي إطار العلاقات الاقتصادية، لم يؤدّ العبيد أبداً أعمال العبودية في المنشآت التابعة للملك أو المعبد أو كبار الموظفين، وذلك في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد. فقد شارك المواطنون الأحرار في تنفيذ واجبات (التزامات) حكومية أو شعبية مثل (شق قنوات الري أو إصلاحها، شق الطرق وما إلى ذلك. ولكن مثل هذه الواجبات لم تحمل أبداً خصائص العبودية، على اعتبار أن الأحرار " ومنهم الموظفون الحكوميون، والعاملون في المعابد و الكتبة ") قد شاركوا في هذه الأعمال، وليس العبيد فقط. وهذه الواجبات وجدت أيضاً في العصور الكلاسيكية، ولذلك لا يجب النظر إليها على أنها شرقية بحتة، وليست أحد وجوه العمل العبودي ^(١).

ويتبين أن عمل السخرة (الذي يقوم على الإلزام بالقيام بعمل غير مأجور لزمان معين أو لإنجاز عمل محدد) كان سائداً في بلاد الرافدين القديم، وكان هذا الإلزام أو عمل السخرة، يشمل جميع المواطنين في تنفيذ الأعمال العامة وخاصة المتعلقة بحفر القنوات وتنظيفها أو بزراعة قسم من الأراضي المكرسة للآلهة. وكانت أعمال السخرة هذه هي التي سمحت بتأمين إقامة السدود والتأمين النسبي من غدر الفيضانات المدمرة وحفر القنوات، وبالتالي التوسع في استخدام الأراضي المستصلحة. وهذا الإلزام هو الذي كان يميز بين الطبقة الخاصة من الناس التي كانت تعفى من الخضوع له وبين الطبقة العامة التي كانت تتحمل كامل أعبائه. وبالنظر إلى أعمال السخرة هذه والتوجيه والتنظيم المحكم من قبل المهيمنين، ساد الاعتقاد عند الكثيرين أن المجتمع الرافدي القديم يمكن وصفه بمجتمع العبودية العامة. في حين وصفه آخرون ومن المنطلقات ذاتها بأنه نظام اشتراكي ^(٢).

في الشرق القديم كان للعبد شخصيته وذلك في كل العصور بما في ذلك العصر البابلي القديم والعصر الكاشي ١٥٩٥-١١٥٧ ق.م وفي عصر الدولة الآشورية الحديثة ٩١١ - ٦٠٩ ق.م والعصر البابلي الحديث (الكلدانيون) ٦٢٥-٥٣٩ ق.م والعصر الأخميني ٥٩٥-٣٣١ ق.م، كان بإمكان العبد أن يمتلك أراضي خاصة وعبيداً خاصين به. وقد ميّز فينلي اقتصاد الشرق القديم، كهيئة مؤسساتية منظمة، متحكمة من قبل المعابد والقصور، التي احتكرت كل شيء يسمى إنتاجاً صناعياً، ونظمت الحياة

¹ - Dandamaev . M . A ., op . cit , pP 49 - 50.

^٢ - عبد الحي ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

الاقتصادية والعسكرية والسياسية والدينية للمجتمع من خلال شخص واحد، محكوم بأسلوب اقتصادي مستبد في بلاد الرافدين ^(١).

هناك آراء قليلة تؤيد النظرية الاقتصادية، كما اختلف بعض الباحثين في صحة هذه النظرية .

د - الجانب الديني : لقد كانت الحكايات الأسطورية في بلاد الرافدين تذهب إلى أن غاية الآلهة من خلق الإنسان للقيام بخدمتها ، بمعنى أنه كان يتوجب على الإنسان الرافدي القديم القيام بالعمل الشاق على مدار الأيام وتقديم فائض إنتاجه للمعابد أو للمقامات الدينية باعتبارها مقراً للآلهة، التي لم تخلق الإنسان إلا ليقوم بخدمتها. أي أن الأساطير جاءت لتبرر خضوع الجميع لسلطة كهنة المعابد باعتبارهم مفوضين من الآلهة لتسيير شؤون الناس الذين يتوجب عليهم خدمة الآلهة. ولكن خدمة الآلهة لا تقوم إلا بموجب إيجاد التعاون بين جميع الأفراد كما هو الحال في عالم الآلهة . ذلك أن الآلهة التي تكلف الملوك بالنيابة عنها في حكم بني البشر، إنما تهدف إلى الحصول على أكبر قدر من الخيرات لها ولخدمها من بني البشر، أي أن هدف الحاكم هو تأمين الخير للجميع من الآلهة والبشر ^(٢).

ولقد جرى تباين كبير في وجهات النظر حول طبيعة العمل البشري في بلاد الرافدين. فبعضهم كان يرى أن العمل العبودي كان يهيمن على عملية الإنتاج لكثرة استخدام العبيد في كافة القطاعات الاقتصادية. في حين يرى آخرون أن استخدام العبيد كان محدوداً و قليل الأهمية، وبالتالي لا يجوز القبول بظاهرة العبودية المعممة كمعيار أساس لاستخدام العبيد ^(٣).

نجد أن الكثير من ملوك الشرق القديم قد ربطوا أسمائهم بأسماء الآلهة التي كانوا يعبدونها تقريباً منها وإرضاء لها، مثل واراد- سين الذي يعني عبد الإله سين ^(٤)، وكذلك الملك عبيد- إيلي الذي يعني عبد

^١ - Culbertson , L ., op . cit , p 8 .

^٢ - عبد الحي ، المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

^٣ - المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .

^٤ - الإله سين Sin : إله القمر ، في بلاد الرافدين (بابل - أكاد) ، مشتق من النموذج السومري الاقدم نانا Nanna ، قرينته نينجال Ningal . مراكز عبادته المميزة في مدن أور، حران ، والنيرب . انظر : Jordan . M. , Dictionary of Gods and Goddesses , second edition , New york 2004 . P 285.

الإله، وعبدو عشتار يعني عبد الإلهة عشتار^(١)، وهناك العديد من الأسماء الأخرى لأمجال لذكرها الآن^(٢).

فالإنسان خلق ليكون عبداً للإلهة. إنه خادمهم، وللخادم المجتهد المطيع أن يلجأ إلى سيده في طلب الحماية. وله أيضاً أن يتوقع الترقية والمكافأة من سيده. أما الخادم الكسول اللامطيع فلا أمل له في شيء من ذلك. فطريق الطاعة والخدمة والعبادة هو طريق التمتع بالحماية، وهو كذلك الطريق إلى النجاح في الدنيا وأسمى القيم في الحياة البابلية: الصحة والعمر الطويل، والمركز المرموق في المجتمع، والأبناء الكثر والثراء^(٣).

٣ - عوامل نشوء العبودية :

لم تكن ظاهرة العبودية معروفة لدى الجماعات البدائية في العصر الحجري التي كانت تعتمد في تأمين قوتها اليومي على الصيد وجمع الثمار الطبيعية ، فقد كان يشيع بينها العمل الجماعي المشترك في تحصيل غذائها. ولكن عندما بدأ الإنسان بتدجين بعض الحيوانات (كالأغنام والماعز والبقر والخنزير) التي أصبحت تؤمن له الغذاء الكافي، وحين بدأ بزراعة الأرض والاستقرار عليها (١٢٠٠٠ - ١٠٠٠٠ ق.م) أصبح له موطن ثابت، فأنشأ المدينة^(٤) واختار لها مكاناً على ضفاف الأنهار ، ليستفيد منها في ري الأرض و استخراج حبها. وينشوء المدينة ظهرت الملكية الفردية متمثلة بملكية الأسرة وأصبح العمل ضرورياً لتنمية الملكية. وقد كانت الأسرة في البداية تنتج لنفسها وتصنع ما تحتاج إليه، فلما تطورت حياة المدينة بعد اتساعها ونموها، لم تعد الأسرة تنتج لنفسها فقط، بل أخذت تنتج لغيرها، فزادت الحاجة إلى العمل و إلى تنظيمه^(٥). فمع ظهور الزراعة وتربية المواشي نما منتج إضافي لدى السكان،

^١ - الإلهة عشتار Istar : إلهة الخصب والحب و الحرب في بلاد الرافدين . تقابلها إنانا Inana عند السومريين . مراكز عبادتها كانت منتشرة في جميع انحاء بلاد الرافدين وخصوصاً في بابل و نينوى و ماري . انظر : Ibid ., p 142

^٢ - Yamauchi, E., Slaves of God, Bulletin of the evangelical , society, Rutgers university , New Brunswick , 1960 . p 31 .

^٣ - فرانكفورت جون ، هـ ، ولسن ، و جاكوبسن ، فرانكفورت توركيلا ، ما قبل الفلسفة ، الانسان في مغامرته الفكرية الأولى ، ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ١٩٨٠ م . ص ٢٤٢ .

^٤ - يرى معظم الباحثين أن المدن الأولى ظهرت فيما بين سنتي ٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق . م . انظر : غولايف ، المرجع السابق ، ص ٧ .

^٥ - الترماني ، المرجع السابق ، ص ١٦ .

كان له دور حاسم في التطور اللاحق للمجتمع البشري في ظهور طبقات اجتماعية وإلى اتساع نطاق العمل^(١).

وبهذا أصبحت الحاجة إلى أيدي عاملة جديدة لإنجاز تلك الأعمال التي زاد إنتاجها وخصوصاً في المجتمعات الزراعية ذات الحضارة المتقدمة فأدى ذلك إلى انتشار ظاهرة العبودية^(٢)، التي ظهرت في العديد من المجتمعات حول العالم وفي عدة أشكال، ونحن نعلم أن العبودية كانت ظاهرة متعارفاً عليها في جميع الحضارات الرئيسية القديمة في الشرق القديم ومنها العصر البابلي القديم^(٣).

وقد أدى نشوء ظاهرة العبودية في المدينة إلى انقسام المجتمع المدني إلى طبقتين رئيسيتين: طبقة الأحرار المالكين وطبقة العبيد المملوكين. وقد أدى تسخير العبيد الأسرى (الذين نتجوا من صراع المدن مع بعضها البعض) في استثمار رؤوس الأموال إلى توطيد الملكية الفردية، فأصبحت الثروة قوة اجتماعية وعلى أساسها انقسمت طبقة الأحرار إلى أقوياء يملكون وفقراء لا يملكون، فاضطر الأشخاص الذين استحكم فيهم الفقر وباتوا جوعاً إلى بيع أحد أفراد عائلتهم أو بيع أنفسهم لأشخاص أثرياء فيستعبدوهم، ومثلهم المدينون الذين عجزوا عن تسديد ديونهم، فقد قضى قانون المدينة أن يستعبدهم الدائنون. كما قضى قانون المدينة استبعاد مرتكبي الجرائم التي تخل بنظامها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي^(٤).

ثانياً - مصادر العبودية :

يمكننا تحديد مصادر العبودية في العصر البابلي القديم بأسرى الحرب ، والاستعباد بسبب الدين ، وعبودية المجاعة ، والعبودية كعقوبة ، وعندما ازدادت الحاجة إلى العبيد أضيف إليها مصدر آخر وهو التجارة . وسندرس هذه المصادر بالتفصيل :

١ - أسرى الحرب :

يعدُّ أسرى الحروب مصدراً رئيساً للعبيد في بلاد الرافدين ، وذلك منذ العصور التاريخية المبكرة . وخصوصاً بعد ازدياد الحروب العسكرية وما نتج عنها من الأسرى أثناء المعارك، فقد كان قدر معظم

١ - غولايف ، المرجع السابق ، ص ٣١ .

٢ - سليم ، المرجع السابق ، ص ٨٨٦ .

٣ - Vandorpe , L ., op . cit , p 6 .

٤ - الترماني ، المرجع السابق ، ص ١٦ .

أولئك الذين يؤسرون في أرض المعركة هو الاستعباد. وكانوا يُجلبون مع عتادهم كغنيمة حرب من قبل الملوك المنتصرين، ويتم توزيعهم بشكل حصص على القصر والمعبد و الجنود المشاركين في المعركة كعبيد. وكان يتم استخدامهم في العمل، فأصبحوا أدوات إنتاج، ومورداً اقتصادياً مريحاً^(١).

وقد عمل الحكام والقادة على تسخير هؤلاء الأسرى في الأعمال العامة كتعبيد الطرق وحفر القنوات وبناء المعابد والقصور والحصون، وإن كانوا من أصحاب المهن والحرف كانوا يستخدمون في المعامل التابعة للقصر كالنسيج وتخمير البيرة، واستفادوا منهم أيضاً في الأعمال الزراعية واستفادوا من تأجيرهم خاصة في أيام الحصاد^(٢).

وقد عملوا تحت رقابة وإشراف، ففي عصر حمورابي كان من واجبات (الناجيروم ndgirum موظف الشرطة) الإشراف على العبيد من الأسرى أيضاً، الذين كانوا يوضعون في معسكرات تشبه الثكنات العسكرية. فقد جاء في نصوص من العصر البابلي القديم ذكر بيت الأسر والموظف المسؤول عن إدارته يدعى وكيل الأسر wakil asiri. ويُعتقد أن تلك البيوت ما هي إلا سجون حكومية ضمت أسرى الحرب. ومن قوائم تموينات مخصصات لبيوت الأسرى يبدو أنهم كانوا يتناولون في طعامهم اللحوم والخبز. كما يبدو من بعض قوائم التموين تلك أن الأسرى كانوا يسجلون فيها بحسب أسمائهم، وأعمارهم، وكانت تسجل حسب الأصول في سجلات العبد ومكانة الأسير السابقة أو المهنة و اسم مدينته الأصلية^(٣).

كما أن عدد العبيد كان قليلاً في بداية العصر البابلي القديم ثم أصبح يزداد تدريجياً مع ازدياد الحروب والمعارك العسكرية. حيث كانت نسبة الإماء أكثر من نسبة العبيد الذكور والتي تصل إلى ثلثي العدد الكلي، وذلك نظراً لفائدة الإماء في القيام بالأعمال المنزلية والصناعات اليدوية، كما كان يمكن للرجال أن يتخذوا منهن زوجات أو محظيات^(٤).

أ - رسائل إلى زمري ليم بخصوص أسرى حرب : هناك عدة رسائل وصلت إلى ملك ماري زمري - ليم من قبل قواده و رسله وموفديه إلى الدول المجاورة لمملكة ماري ومن المناطق التابعة له . وقد اخترنا منها ما يتعلق بأسرى الحرب فقط .

^١ - سليم ، المرجع السابق ، ص ٨٨٦ .

^٢ - تلحي ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

^٣ - Mendelsohn , I ., Slavery in the ancient near east, university of oxford, 1949 . p 92.

^٤ - تلحي ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

- رسالة من يمصوم **Yamsum** : يمصوم هو مندوب ماري في مدينة إلان - صوراً ^(١) Ilan-sura في سنة حكم زمري - ليم التاسعة . أرسل إلى سيده عدة رسائل وما يهمنها منها الرسالة رقم ٣٤٢ D.C ، يخبر فيها سيده زمري - ليم عن قيام مدينتي نمخا ^(٢) Namha وإيكالاتوم باستهلاك الحبوب ولم يبق لديهم ما يقدمونه لإطعام الجنود. ويتابع في سرد الأخبار لسيده زمري - ليم ويذكر أن الجنود الذين حملوا الحبوب من كرانا ^(٣) Kranal إلى إيكالاتوم قد اعترضتهم جنود الملك الآشوري إشمي - داجان بن شمشي - أدد المدعوم من أشنونا ، فأخذوا منهم الحبوب واعتقلوهم كأسرى حرب من مدينة راصو حتى شا هادنييم على ضفاف نهر دجلة، حيث يقول: (أيضاً : من مدينة راصو **Rasu** حتى شا خادنييم **Sa Hadnim** على ضفاف دجلة، هم جعلوهم أسرى حرب. وأسراهم الحرب هم جلبوهم إلى إيكالاتوم. هذا يجب أن يعرفه سيدي) ^(٤).

بعد أن أخذ إشمي - داجان الأسرى نقلهم إلى مدينة إيكالاتوم حيث كان يقيم والده شمشي - أدد. أولئك الأسرى شكلوا مغنماً كبيراً لشمشي - أدد ، فقد كان يستخدمهم للضغط على زمري - ليم من أجل الحصول على بعض المكاسب السياسية أو الاقتصادية أو يبادلهم بأسرى آشوريين لدى ماري، لاسيما ونحن نعلم أن ماري وآشور كانتا عدوتين تقليديتين في المنطقة ولم تتقطع الحروب أو المناوشات بينهما. أو يتخذهم عبيداً .

- رسالة من ياريم - أددو **Yarim - Addu** : ياريم - أددو هو حاكم مدينة خوربان ^(٥) Hurban من قبل الملك زمري - ليم ، كتب إلى سيده عدة رسائل أيضاً وما يهمنها الرسالة رقم A . C 363 D .

^١ - إلان صوراً : تقع حول سفوح طور عابدين، وتقع أطلالها اليوم في تل شورا، بالقرب من مدينة شوباط إنليل. انظر : عبد الله ، المرجع السابق، ص ٢٣.

^٢ - نمخا : كان جبل سنجار مكتظاً بالمواقع والسكن من قبل بني سمال ، وخصوصاً في عهد زمري ليم ، و نمخا واحدة منها ، كانت عاصمتها كردا في منطقة جبل اشكفت في المستنقع الأعلى لوادي الثرثار . انظر : المرجع نفسه، ص ٢٣.

^٣ - كرانا : هي تل الرماح حديثاً ، الذي يقع على بعد نحو ١٣ كم جنوب تل عفر بالقرب من الحدود السورية - العراقية . وفي العصر الآشوري الحديث تم استيطان تل الرماح جزئياً وأطلق عليه اسم آشوري حديث هو زماخو . انظر : حنون ، مدن قديمة ومواقع أثرية ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

^٤ - Heimpel , W ., Letters to the King of Mary , a new translation , with historical introduction , notes , and commentary , Mesopotamian Civilizations , 12 , Eisenbrauns , Winona Lake , Indiana , 2003 , p 309 .

^٥ - خوربان : مدينة في منطقة سوخو بين خارادا و ترقا. وربما تحدد بخربة الدينية حالياً على الضفة اليمنى لنهر الفرات، بالقرب من مدينة صبروم (تل أبو الحسن حالياً) على الضفة اليسرى لنهر الفرات، شمال مدينة ماري على بعد ١٠ كم، انظر : Parpola .S, and Michael . P ., the Helsinki atlas of the near east in the new - Assyrian period, Helsinki , 2001, p9.

(8681+ 4511 ، يخبره فيها عن استعدادات حمورابي البابلي لمواجهة الجيوش العيلامية، التي عسكرت عند مدينة أوبي Upi^(١))، وقد أعلن حمورابي النفي العام في مملكته وطلب الجنود من التجار وكل رجل ذكر يستطيع حمل السلاح ومنهم العبيد بعد تحريرهم ، حيث يقول: (فقد طلب (حمورابي من) جمهور التجار، وجميع الذكور، وذهب حتى تحرير العبيد، مما يملكه). وعلى الجانب السياسي قام حمورابي باعتقال المندوبين العيلاميين في مملكته مع عبيدهم وأملاكهم كأسرى حرب ووضعه في القصر، فيقول: (فقد قيدوا بالحديد المندوبين العيلاميين، وأخذوا عبيدهم وأملاكهم وحميرهم للقصر. فليعلم مولاي)^(٢).

والشيء المثير للاهتمام هنا هو ذكر مشاركة العبيد في القتال، فلم نسمع عن مشاركتهم من قبل ، وربما كان هذا النص هو الوحيد الذي يرد فيه ذكرهم في القتال في هذا العصر .

- رسائل من ياسيم - إيل Yasim - El^(٣): كتب العديد من الرسائل إلى سيده زمري - ليم بخصوص أسرى الحرب، ففي الرسالة رقم ٤٠٨ F.J التي كتبها عندما كان مندوب ماري في مدينة أنداريج^(٤)، يخبر زمري - ليم فيها عن انضمام جنوده لمساعدة أتامروم^(٥) في حصار مدينة أشخوم Asihum^(٦)، وشرح له عن وضع الجنود وعن الأسرى الذين غنموهم من هذه الحملة ، فيقول: (أتامروم أتامروم قد قبض على ٢٠٠ أسير حرب في حملته، وهو وزع أسرى الحرب أولئك بحصص على حلفائه. شكل أسرى الحرب أولئك حصصاً للجنود. الأشنونيين، البابليين، والحلفاء وزعهم على جنودهم. وعشرة قدور، المراقب سلمني حصتي من أسرى الحرب. أنا وزعت تلك القدور على الجنود. أنا

^١ - أوبي : مدينة على الضفة الشرقية من نهر دجلة قريبة من فم ديالا . انظر : Heimpel , W ., op . cit , p 627.

^٢ - عبد الله ، المرجع السابق ، ص ٤٣ .

^٣ - ياسيم إيل : كان ينتمي اجتماعياً إلى طبقة الحكام و النبلاء في قصر ماري ، كما رافق زمري - ليم في رحلاته أكثر من مرة خارج ماري وخاصة إلى أوجاريت. كتب ياسيم إيل نحو أربعين رسالة لزمري - ليم ولغيره من الحكام . وتدور أحداث هذه الرسائل في مدن أنداريج و كردا و كرانا في شمال الجزيرة وجبل سنجار . وتساعدنا هذه الرسائل على فهم العلاقات السياسية و التعقيدات بين زمري - ليم و حمورابي صاحب كردا ، والدور الذي لعبه ياسيم إيل تجاه الغزو العيلامي من جهة إيران . و يتضح من هذه الرسائل أن ياسيم إيل كان يتمتع بموهبة القيادة العسكرية والقيام بالمهام الخاصة إلى جانب المهام الدبلوماسية . انظر : المرجع نفسه ، ص ٧١.

^٤ - أنداريج : مدينة ملكية و عاصمة يموت بعل ، ملوكها قارني ليم ، ثم أتامروم ، ثم خمديا . ربما تحدد بتل خوشي حالياً . انظر : Heimpel , W ., op . cit , p 606

^٥ - أتامروم : هو ملك أنداريج ، ابن و اراد سين ، تحالف مع أشنونا ، ثم عيلام ، ثم ماري وبابل مات في سنة ١١ من عهد زمري - ليم . انظر : Ibid ., p 530

^٦ - أشخوم : مدينة ملكية ، محطة ١٢ على الطريق إلى كانيش " كول تبه حالياً "، ملوكها ، هازيب - اولمي - Hazip Ulme . انظر : Ibid ., p 607

دعوت قادة المجموعات (العسكرية)، (النواب (صف الضباط)، والجنود حول أسرى الحرب، وأنا تكلمت معهم كالتالي: أنا قلت، أنتم تعلمون أن قصر سيدي لم يكتمل بناؤه. الآن، أنا سأخذ هؤلاء أسرى الحرب و أسوقهم إلى سيدي. هذه الكلمة أنا قلتها لهم وقد لقيت الاهتمام من جنود سيدي، وأنا أخذت أولئك أسرى الحرب من الجنود. بهذا أنا كتبت قائمة بأسماء ٥٩ موظف على اللوح، وعهدت بهم إلى يد قيشتي - إيلابا Qisti - Ilaba و قيش - حمو Qis - Humu ، وأنا سقتهم إلى سيدي. وأنا جندت أربعة رجال في الخدمة كموظفين، وهم سيأخذون على طول كأسرى حرب. عندما أولئك الأربعة رجال يصلوا أمام سيدي، سيدي يجب أن يأخذ حذره، وهم (أولئك المسؤولون) يجب أن يرسلوا أولئك الرجال بسرعة ليعودوا إلي. هؤلاء هم أسرى حرب الذين سيستخدمون في خدمة القصر (١).

أتامروم قد اغتتم ٢٠٠ أسير حرب وقد قام بتقسيمهم بين حلفائه الذين ساعدوه في هذه المعركة، وكانوا أشنونيين وبابليين و جنود من ماري، وهناك أشخاص آخرون ربما كانوا من ممالك صغيرة تابعة له .

كان الأسرى بصورة عامة يصبحون ملكاً للملك. والملك بدوره يقوم بتوزيعهم على شكل حصص للقصر والمعبد والجنود المشاركين في الحملة، ومن الناحية الفرضية يعتبر الأسير عبداً كما أسلفنا. وهنا نجد أن أتامروم يقوم بتوزيع هذه الغنائم وأسرى الحرب بين حلفائه، ومنهم جنود زمري - ليم، ولذا نجد ياريم - أدو يجمع عناصر جيش ماري الذين شاركوا في الحملة ويطلب منهم التنازل عن حصصهم من العبيد للملك لإكمال بناء قصره. وعلى ما يبدو كان زمري - ليم قد قام ببناء قصره الشهير ولم يكتمل بناؤه بعد، ولذا كان بحاجة إلى العبيد لإكماله.

ويتابع ياسيم - إيل مهمته في إطلاع سيده على الأوضاع في منطقته، حيث يخبره في الرسالة رقم ٤١٣ F.J عن تمرد كوكوتانوم Kukkutanum الذي كان أحد قواد أشكور - أدو، وكان ينظم تمرداً على أشكور - أدو في مدينة قطارا^(٢)، ولكنه فشل وكانت نهايته الموت، وبعد ذلك يحاول ياسيم - إيل للمرة الثالثة إقناع أشكور - أدو أن يسافر إلى ماري. وفي هذه المرة أشكور - أدو اعتذر وبرر ذلك بسبب التهديدات المستمرة لأمن بلاده وقلة العبيد من الأسرى الذي يمكن أن يأخذهم معه كهدايا لزمري - ليم . حيث يقول: (أنا تكلمت معه (أشكور - أدو) عن العبيد ليعطيهم لسيدي، وهو أجابني كالتالي: كيف

¹ - Ibid ., p 349.

^٢ - قطارا : تقع بالقرب من تل الرماح (كرانا القديمة) ، ويقترح الآثاري البريطاني ديفيد أوتس أن تكون بقايا مدينة قطارا القديمة في أحد الموقعين الأثريين الآتين : تل حيال ، جنوب سنجار ، وتل حويش ، و هو موقع مدينة قديمة مسورة على بعد نحو ١٥ كم جنوب سنجار ، ويقترح ناثل حنون أن تل حويش هو الأكثر ملائمة لقطارا و يبين سبب ذلك . انظر : حنون ، مدن قديمة ومواقع أثرية، ص ١١٣ - ١١٤ .

يمكن أن أوصل العبيد ؟ [.....] فارغ اليدين [.....] مع [.....] ؟ عندما أنا اذهب [.....] وكثير لسيدي. الآن، حتى أنا [.....] هذه المساعدة، [.....] . وأنا شجعتة على الذهاب إلى سيدي. إذا هو لم يقد بواجب المساعدة لسيدي بسبب نقص الممتلكات ولم يذهب إلى سيدي، أنا يمكن أن أترك جنود الحامية التي سيدي كلفه بها وأخذ قيادة بقية جنودي وأغادر لأجل سيدي. لكن بسبب ما كتب لي سيدي مرة، مرتين كالتالي: أنت تفعل ما هو يقول، لذلك، أنا نبهته في هذه المسألة (١).

يبدو أن زمري - ليم كان بحاجة شديدة للعبيد ، ولهذا نجد قواده ومندوبيه يلحون في الحصول على العبيد من أجل إرسالهم إليه، وربما كانت حاجته إليهم لإكمال بناء قصره كما أسلفنا .

ويتابع ياسيم - إيل في الرسالة رقم (F. J (A . 431 + A . 4883)، التي يخبر زمري- ليم فيها عن قيام جيش من الإيكالاتيين بالهجوم على مدينة نسر Nusar إحدى المدن التابعة لكرانا والقريبة من قطارا وأخذ غنائم من الخراف. ثم يتابع في رسالته فيذكر أنه قد أرسل ٦٠ عبداً إلى ماري، ٣٠ منهم عبد بالغ و ٣٠ كانوا أطفالاً ، حيث يقول: (حالياً، فإن ثلاثين عبداً راشداً وثلاثين طفلاً عبداً، قد بعثت بهم إلى مولانا من أنداريج إلى ماري. ولا أدري إذا كان يجب تسليمهم إلى رئيس الخدمة أو إلى القصر لا أعلم) (٢). وهنا يتساءل ياسيم - إيل عن وضع العبيد الذين ربما كانوا أسرى حرب، وهم حصة القصر، هل سيسلمهم للقصر أو للموظف المسؤول عن غنائم الحرب من العبيد .

يتكون أسرى الحرب من صنفين، أولهما عسكري يشمل مختلف مراتب الجيش، والثاني مدني يتكون من سكان المدينة المغلوبة أو من عبيدهم. ولما كانت أعداد الأسرى كبيرة كان يجب اتخاذ الإجراءات التي تمكن من السيطرة عليهم وتوجيه طاقاتهم لخدمة اقتصاد الدولة. ومن تلك الإجراءات الاحتياطية كانت تجري عملية تسجيل الأسرى في قوائم يذكر فيها مرتبة الأسير العسكرية أو الإدارية السابقة أو مهنته ، وقد كان المسؤول عن ذلك موظفين إداريين تابعين للقصر (٣).

¹ - Heimpel , W ., op . cit , p 355 .

^٢ - عبد الله ، المرجع السابق ، ص ٩٩ .

^٣ - الرويح ، صالح حسين ، العبيد في العراق القديم ، ط١ ، مطبعة أوفسيت الميناء، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٣٩ .

ويتابع ياسيم - إيل سرد الأحداث على زمري - ليم في الرسالة رقم ٤٢٠ F.J ، ويخبره فيها عن تطور الأوضاع بين كوردا وإيكالاتوم، وعن نية إشمي - داجان الهجوم على معسكر السوخيين^(١) التابع لمملكة ماري، وعن قيام حمورابي صاحب كوردا باعتقال رسولي مملكة ماري في كوردا وأخذ أملاكهما مع عبيدهما كأسرى، فيقول: (أنا أرسلت كابي- إيلي Kapi-Ili، رجل ساغاراتوم^(٢))، إلى كوردا Kurda ليستقصي أخباراً عن حمورابي، وهو عاد لينقل كالتالي: هو جعل المبعوث آنا- شماش- تير Ana-Ter Samas و[.....] كيريب- شيريش Kirib-Seris يجلبون ممتلكاتهم إلى القصر ويختمون العبيد، الإماء، الثيران، الحمير، والخراف بعلامة القصر. آنا - شماش - تير قد وضع في السجن في كوردا. وهم اعتقلوا كيريب - شيريش ، وحمورابي أخذه إلى كسابا Kasapa^(٣). أنا لم أسمع بعد أخبار موتهم أو الصفح عنهم. عندما أعلم أخبارهم كاملة، سأكتب إلى سيدي^(٤).

يبدو أن حمورابي صاحب كوردا كان طموحاً يريد توسيع مملكته على حساب الدول المجاورة ، ولذا نجد في رسالة ياسيم - إيل رقم ٤٢١ F.J ، التي يخبر فيها زمري- ليم عن تطور الأحداث بين كوردا وأنداريج، وعن قيام حمورابي بمهاجمة إحدى المدن الحدودية التابعة لأنداريج وحمل منها أسرى حرب وحبوباً بعد أن عاث فيها فساداً، فيقول: (أنا أرسلت ثلاثة رجال للتجسس على حمورابي في كوردا. هم راقبوه ونقلوا التالي: هو خرج ودخل أداليا Adallaya في الليل. هو[.....] أداليا وشتت القرى في [.....]. أسرى الحرب من [.....] وحبوب القرى هو جلبها إلى أداليا. بعد إرسال لوحى هذا، عندما

١ - سوخو ، سوخي : منطقة تمتد على طول الفرات ،بين ماري وبابل ، وقد سميت هذه المنطقة بلاد سوخي منذ القرن ١٩ ق.م.، ويبدو أنها كانت موطناً لقبائل بدوية كانت تخضع لسيادة ملوك ماري، وقد كان أفرادها يُسَخَّرُونَ لأعمال حربية كما يبدو أنهم كانوا يثيرون المشاكل ويعارضون حكام سلالة بابل الأولى في النصف الثاني من القرن ١٧ ق.م.، سيطر الآشوريون على هذه المنطقة في عصر الدولة الآشورية الوسطى ، وقد أسس الآراميون فيها إمارة تدعى سوخي و التي بقيت حتى سقوط الدولة الآشورية على يدي التحالف الميدي الكلداني سنة ٦٠٩ ق.م . انظر: إسماعيل ، فاروق ، اللغة الآرامية القديمة، ط١، منشورات جامعة حلب ، ٢٠٠١م. ص ١٨.

٢ - ساغاراتوم : هي المدينة الثالثة في الأهمية بعد ماري وترقا ، تقع بالقرب من ملتقى الخابور مع الفرات ، وربما تحدد بتل الفدين حالياً ، الذي يقع على الضفة اليمنى لنهر الخابور على بعد نحو 25 كم من مصبه في الفرات ، والقرية القريبة من هذا التل تسمى اليوم الحرجية . انظر : Parpola . S ., op . cit , p 32 ، وكذلك انظر : Heimpe , W ., op . cit , p621 .

٣ - كسابا : مدينة آشورية قديمة ، تصل بين سنجار و طور عابدين . كانت مقراً لسكن ملوك كوردا . وفي العصر الآشوري الحديث أصبحت إحدى مدن منطقة كلزي ، و ربما يحدد موقعها اليوم بقصر شمامك أو تل سعداوة على بعد نحو ٢٨ كم إلى الجنوب الغربي من أربيل . انظر : حنون ، مدن قديمة ومواقع أثرية ، ص ٢٤٦ - ٢٦١ .

٤ - Heimpe , W ., op . cit , P 359 .

يعلمونني الخبر كاملاً، سأكتب إلى سيدي. وعندما أنا أعلم أين وقع نظره، أنا سأكتب إلى سيدي^(١). ربما كانت هناك قرى أخرى قد نهبها في حملته، ولكن لسوء الحظ أسماؤها مهشمة في النص .

وفي الرسالة رقم F.J ٤٣٦، يخبر ياسيم - إيل سيده زمري - ليم عن تحرير أسرى حرب كان قد غنمهم خمديا Himdiya^(٢) من مدينة أماز Amaz التي كانت إحدى المدن في أدمرص^(٣)، فيقول: (إلى سيدي أتحدث! خادمك ياسيم - إيل يقول، حول تحرير أسرى الحرب، (أعني) أولئك الذين ذكرت في رسالة عن مدينة أماز أن سيدي كتب إلى خمديا - حالما أنا سمعت لوح سيدي، تكلمت معه مطولاً، وهو أجنبي كالتالي: لمن أسرى الحرب من تلك المدينة التي أنا أخذت ؟ الجنود غنموا الجزء الأسفل من تلك المدينة، والقلعة لم يلمسها أحد. أسرى الحرب من تلك المدينة - أخ افتدى أخاً في الأرض. كما لبقية أسرى الحرب، أنا سأوضح أياً منهم الذين معي للآلهة الذين يرغب سيدي. عندما دخلت جنوده (خمديا)، هم [.....] . أنا رأيت (أسرى حرب) في أيدي البابليين وتحدثت إليه كالتالي: أنا قلت، لمن هؤلاء؟ أطلق سراح أسرى الحرب الذين مع البابليين! هو أجنبي كالتالي: هل صحيح أن آخذ أسرى الحرب من البابليين وأحررهم ؟ هذا هو أجنبي)^(٤).

هذه الرسالة تتحدث عن أسرى حرب قد اغتتموا من مدينة أماز التي كانت إحدى المدن التابعة لمنطقة أدمرص من قبل خمديا قائد القوات العسكرية في أنداريج، ويبدو تدخل زمري - ليم لتحرير الأسرى الذين ربما كان من بينهم أسرى يخصصون الأسيرة الحاكمة، ولكن خمديا يؤكد لياسيم - إيل أن القلعة لم يقترب منها أحد، ومن المعروف أن القلعة هي مكان لسكن الحاكم وأسرته وحاشيته وخدمه وعبيده، ثم يبين له أنه قام بتحرير بعض الأسرى الذين جاء إخوتهم لافقتائهم، ويخبر ياسيم - إيل أنه خصص حصّة من هؤلاء الأسرى كتقدمة للآلهة التي يرغب سيدي بتقديم هدايا لها ، فمن المعروف أنه كان للمعبّد حصّة من الغنائم وبخاصة العبيد. خمديا ربما كان يراوغ ياسيم - إيل لأنه لم يكن يرغب بتحرير الأسرى دون مقابل، وخصوصاً بعد العناء الذي تكبده حلفاؤه من الجنود البابليين ، فعندما وصل أنداريج طلب منه ياسيم -

¹ - Ibid ., p359 - 360 .

^٢ - خمديا : خليفة أتامروم كملك على أنداريج في السنة الثانية عشرة - الشهر الثاني من حكم زمري ليم . انظر : عبدالله ، المرجع السابق، ص ٥٦ .

^٣ - أدمرص : منطقة بين نهري الججغف و الخابور الأعلى . كانت سفوح طور عابدين حتى ججغف تحمل اسم (Maras مرص) و أدمرص أي جانب مرص . وتتجمع في هذه المنطقة الخصبة مجموعة قرى ومدن هي إلان صورا و أماز وأشنكوم و أوركيش و أشلاك و ترماني و شدخم وزلخان و خزكانوم وقاسا وكخات . انظر : المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

⁴ - Heimpe l , W., op . cit , p 368 .

إيل تحرير الأسرى، لكنه أجابه أنه من غير المعقول أن آخذ الأسرى الذين كانت حصاة حلفائه البابليين وأحررهم. كان يمكن تبادل الأسرى أو قبول افتدائهم بدلاً من استعبادهم، فالأجانب الذين أُسروا في الحرب كانوا غنيمة، يمكن التعامل معها بشكل مناسب كأسير حرب. فهم لم يكونوا عبيداً بالولادة، لكنهم كانوا دون حقوق ولذلك كانوا عبيداً ضمناً^(١). وفي بعض الأحيان كان الجنود يبيعون حصصهم من العبيد بعد الحملة العسكرية الناجحة، كما أن القصر كان يبيع الغنيمة الزائدة عن حاجته من العبيد أيضاً^(٢).

لقد وجد أنه من غير المعقول من الناحية العملية تحويل كافة الأسرى إلى عبيد واستثمارهم بشكل مباشر من قبل الأسياد. فهم أشخاص اقتلعوا من أوطانهم واقتيدوا إلى بيئة جديدة حاملين معهم حب وطنهم وحقداً دفيناً على أعدائهم المتسلطين. ولذلك لا يمكن أن يتوقع منهم إنتاجاً ذا قيمة في حالة الإمعان في إذلالتهم^(٣). ولذا كان من المفيد افتدائهم بمبلغ من المال، أو بيعهم كعبيد .

بعد انتهاء ياسيم - إيل من قضية خمديا، يستأنف الحديث في الرسالة نفسها عن قضية تجار آشوريين كانوا محتجزين في مدينة أنداريج بأمر من زمري- ليم ، قامت زوجة أتامروم بإطلاق سراحهم، بينما رفض أشكور- أدو تحريرهم بدون كتاب رسمي من زمري - ليم، وقد أجابت زوجة أتامروم ياسيم - إيل أن زوجها ليس في المدينة ويجب إطلاق سراح هؤلاء الأسرى، وبينت له خوفها من إثارة أشكور- أدو مشاكل مع إشمي - داجان الآشوري^(٤) .

لقد شاركت المرأة بدور بارز في إدارة الممالك البابلية القديمة على صعيد الجانب السياسي، الداخلي والخارجي، إذ كان دورها الاجتماعي سبباً مؤثراً في العلاقات الخارجية عن طريق إدارتهن للبلاد أو

¹ - Westbrook . R ., op. cit , P 1641.

² - Koppen , F. V ., the Geography of the slave trade and northern Mesopotamia in the late old Babylonian period , in : H. Hunger and R . Pruzsinsky (eds) , Mesopotamian Dark ages, Revisited ,CChem 6 , Vienna , 33 – 9 – 2004 .p 17 .

^٣ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٤١ .

⁴ - Heimpel , W ., op . cit , p 368.

لكونهن منحدرات من أصول ملكية، مما جعلهن يتمتعن بمكانة عالية لدى أزواجهن من الملوك وملوك الدول الأخرى.^(١)

ففي رسالة موجهة من زمري - ليم إلى زوجته شبيتو يخبرها فيها عن انتصاره في معركته ضد مدينة إيلوختوم Eluhtum^(٢)، ويطلب منها أن تأمر كبير الأموريين بتوزيع جميع الأسلحة والعبيد التي غنموها من هذه المدينة، حيث يقول: (ليوزع شا - وليفش Shawlish كبير الأموريين السلاح والعبيد كلهم العائدين لمدينة إيلوختوم، (الآن) قد وصلت أفرحي والقصر (أيضاً). نتيجة لمشاعر الملكة القلقة بشأن معارك الملك وقواته العسكرية توجب عليه أن يبشرها بكل نجاحاته العسكرية وليطمئن بلاده بأعماله البطولية الجديدة عن طريقها. وبعد إخبار الملك زوجته شبيتو عن هذا الانتصار نوعاً من الإعلام الملكي الذي تشنه مملكة كبيرة كمملكة ماري بإمرة الملك زمري ليم وكبار قادته ضد مدينة إيلوختوم وغيرها، الأمر الذي يتيح لهم نشر الذعر لدى المدن المتمردة أو التي تحت أنظار الملك^(٣)).

- رسالة من إدياتوم Iddiyatum: إدياتوم، هو مندوب ماري في مدينة كرانا، وقد كتب نحو عشرين رسالة إلى سيده زمري - ليم، وسنورد هنا رسالة واحدة تتعلق بأسرى الحرب. وهي الرسالة رقم ٥١٤ B.L، التي يخبر زمري ليم فيها عن قيام الآشوريين بالهجوم على مدينة نسر من مدينة إيكالاتوم، واغتنام ماشية، وقيامهم بأسر ثلاثين رجلاً وامرأة وأخذ خمسين رأس من الماشية وقتل رجلين وامرأة، في حين قام جنود نسريون بقتل جنديين من الآشوريين وجندي من أشنونا التي كانت تدعمهم وقد شاركت معهم في هذه المعركة، بينما هرب سبعون جندياً من مدينة نسر وقد لاحقهم الآشوريون وقتلوا منهم عشرين جندياً منهم الدليل إدال الذي كان مرشد جنود النسريين. يقول: (الأعداء هاجموا مدينة نسر. هم أسروا ٣٠ رجلاً وامرأة.] [خمسين رأساً من الماشية. هم قتلوا رجلين وامرأة. و.....] جنود مدينة نسر قتلوا اثنين إيكالاتيين و واحد أشنوني. ونجا سبعون جندي من مدينة نسر كانوا مطاردين. العدو قتل عشرين جندياً منهم دليلهم [.....] Adal إدال [.....] (٤).

^١ - الجبوري، سالم يحيى، و الراوي، هالة عبد الكريم، دور ملكات وأميرات مملكتي ماري و كرانا من خلال رسائل العصر البابلي القديم، مجلة دراسات تاريخية العددان ١٠٥ - ١٠٦، جامعة دمشق، ٢٠٠٩ م، ص ٢٠.

^٢ - إيلوختوم: مدينة في أدمرص، بالقرب من ماردين حديثاً. انظر: Heimpel, w., op. cit, p 609.

^٣ - الجبوري، سالم يحيى، المرجع السابق، ص ٤٢.

^٤ - Heimpel, W., op. cit, p 397.

يبدو أن مدينة نسر كانت تسبب قلقاً للآشوريين ، لذا نجدهم للمرة الثانية يقومون بمهاجمتها ، ويأخذون منها أسرى وماشية. ففي المرة الأولى كان في الرسالة رقم ٤١٤ ٢٦ المرسلة من قبل ياسيم - إيل إلى زمري - ليم ، وهنا المرة الثانية من قبل إدياتوم مندوب ماري في كرانا. والملاحظ في كلا الهجومين أن الآشوريين يغتزمون ماشية وأسرى، ونجد أن عدد الأسرى كان متقارباً، ففي المرة الأولى كان العدد ٣٠ عبداً بالغاً و ٣٠ عبداً شاباً، أما هذه المرة فنجد أن العدد كان ٣٠ رجلاً وامرأة. وربما كان العدد ٣٠ رقماً تقريبياً.

- رسالة من زمري - أدو **Zimri - Addu** : زمري - أدو، هو حاكم مدينة قطونان^(١) من قبل زمري - ليم . يخبر سيده في الرسالة رقم ١٤١ ٢٧ عن قيام جنوده بمشاركة جنود بابليين بقيادة حمورابي بمحاصرة مدينة خيريتوم **Hiritum**^(٢) التابعة للعلاميين، واغتنام البابليين أسرى حرب من مدينة أشنونا، حيث يقول: (الجنود البابلية قامت بالإغارة على أرض أشنونا وأحرقت الحبوب. هم حملوا أسرى حرب، ماشية، وخراف. حمورابي ذهب إلى سيبار ليقابلهم ويستلم أسرى حرب منهم. هو جعل الجنود يعودون ، قال : ارجعوا ! تابعوا على ضربتكم ! هم تراجعوا ، إيلان - شيمي **Ilan - Seme** تابع تقدمهم)^(٣) .

بينما كانت الجيوش البابلية وحلفاؤها يحاصرون مدينة هيريتوم، قام الجنود البابليون بإغارة خاطفة على مدينة أشنونا، عاثوا فيها فساداً، فقاموا بإحراق حبوبها، وأخذ أسرى حرب وماشية وخراف. وبعد ذلك ذهب حمورابي إلى سيبار ليستلم الأسرى، وأمر جنوده بالعودة لمتابعة الحصار بقيادة إيلان - شيمي .

ومن ضمن الصراعات العسكرية في المنطقة نجد أن مملكة أشنونا كانت تنثير القلاقل وتهدد زمري - ليم ملك ماري باستمرار، وأنه ازاء هذه التهديدات المباشرة من أشنونا رأى أن من صالحه أن يعقد تحالفاً مع حمورابي ملك بابل، وربما دعى تحالف هذين الملكين إلى قيام تحالف مماثل في المنطقة في شرقي دجلة تزعمته أشنونا وانضمت إليه عيلام^(٤) .

^١ - قطونان : تل الشمساني حالياً ، عقدة المواصلات الهامة في بلاد الجزيرة ، تقع بين تل عجاجه ومدينة الشدادة على بعد ٥٥ كم جنوبي الحسكة . انظر : أبو عساف ، علي ، الأراميون " تاريخاً ولغة وفناً " ، ط ١ ، دار أماني ، طرطوس ١٩٨٨ م ، ص ٢٩ .

^٢ - خيريتوم : مدينة على الضفة الشرقية لاييرينا **Irina** . أحد فروع نهر الفرات ، ربما يكون شط الحلة اليوم شرقي بابل . انظر : **Heimpel , W. , op . cit , p 612** .

^٣ - Ibid . , p 458 .

^٤ - محمد علي ، محمد عبد اللطيف ، سجلات ماري و ما تلقينه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري من حوالي ١٨٢٠ - ١٧٦٠ ق . م ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ م . ص ٧٩ .

هكذا نجد أن الحروب المستمرة التي قادتها بابل وماري وغيرهما من الممالك والمدن التابعة لهما خلفت العديد من أسرى الحرب الذين قسموا على شكل حصص بين الجنود والقصر والمعبد. وقد كان قسم منهم يفتدى بالمال ويطلق سراحه، فقد ذكر سمسو - إيلونا أنه أطلق سراح أسرى من منطقة أدمرص وأشنونا. ومنهم من يتم مبادلتهم بأسرى آخرين. أما الذين ليس لهم من يفتديهم فقد كان مصيرهم الاستعباد، فكانوا يُسخرون لأعمال مختلفة أو يتم بيع الزائد عن حاجة القصر إلى تجار العبيد. وفي عهد الملك عمي - صدوقا، الخليفة الرابع لعموري، كانت قيمة بعض العبيد الأسرى البيض الذين جلبوا من كردستان إلى بابل عالية الثمن تصل إلى نحو ٢١٣ ٢٠ شيقل^(١) للعبد الواحد . (٢)

ب - وضع الأسير القانوني: لقد رأت السلطة في عصر حمورابي ضرورة متابعة مصير جنودها الأسرى. وإصدار جملة من المواد القانونية، تحفظ حقوقهم وممتلكاتهم وزوجاتهم أثناء غيابهم في الأسر، ومنها ما يكفل افتدائهم وإعادتهم إلى بيوتهم، ودون شك تعكس هذه المواد توقعات الأسر وتحول جنود بابل إلى عبيد عند أسرهم من قبل الأعداء^(٣). جاء في المادة ٢٧ من قانون حمورابي: (إذا وقع ريدوم أو بائيروم في الأسر أثناء حملة الملك، وأعطى حقله وبستانه إلى رجل آخر، وقام هذا بواجباته الإقطاعية) (أي يدفع ما يترتب على الأرض من ضريبة) فإذا عاد (الريدوم أو البائيروم) ووصل إلى بلده، فيجب أن يعاد له حقله وبستانه، وعليه أن يقوم بأداء واجباته الإقطاعية). وتتابع المادة ٢٨: (إذا وقع (ريدوم أو بائيروم) في الأسر أثناء حملة الملك، وكان لديه ابن يستطيع أن يقوم بواجباته الإقطاعية، فيجب أن يُعطى الحقل والبستان له، وعليه أن يقوم بواجبات أبيه الإقطاعية). وتكملها المادة ٢٩: (إذا كان ابنه صغيراً لا يستطيع القيام بواجبات أبيه الإقطاعية، فيعطى ثلث الحقل والبستان إلى أمه، وعلى أمه أن تربيته حتى يصبح كبيراً) (٤).

نجد أن هذه المواد الثلاث تحافظ على ملكية الأسير البابلي خلال غيابه عن بيته، ومن هنا نلاحظ أن الأسير لا يمكن أن يقضي حياته في الأسر بل لابد أن يعود إلى بيته وإن طال غيابه، حيث يمكن افتدائه وإعادته إلى مدينته، وهذا ما أكدته المادة ٣٢ التي جاء فيها: (إذا افتدى تاجر ريدوم أو بائيروم وقع

^١ - الشيقل : كلمة أكادية تعني مثقال و كلاهما من جذر مشترك هو ش ق ل الأكادي و ث ق ل العربي ، و يعادل نحو ٨ غرام مع بعض الاختلاف من عصر لآخر . انظر : حنون ، نصوص مسمارية تاريخية و أدبية ، ص ٩٥ .

^٢ - Sayce . A . H , op . cit , p 70 .

^٣ - الرويج ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

^٤ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٥٩ - ٦٠ .

في الأسر خلال حملة عسكرية للملك، وجعله يصل مدينته، فيجب عليه (الريدم أو البائيروم)، إذا كان لديه في بيته فضة لدفع الفدية، أن يفندي نفسه، أما إذا لم يكن في بيته فضة لدفع الفدية، فيجب أن يُفندي من قبل معبد إله مدينته، وإذا لم يكن لدى معبد إله مدينته فضة لفديته، فعلى القصر أن يفنديه (أما حقله وبستانه وبيته فلا يُسمح بأن تدفع فدية عنه)^(١).

من بين المواد القانونية التي عالجت قضايا الجند نجد أن لهذه المادة من قانون حمورابي أهمية خاصة لأنها عالجت الأسباب الكفيلة بإطلاق سراح الأسير لأنه من المعروف أن أسرى الحرب كانوا عرضة للاسترقاق والبيع. ويظهر من محتوى هذه المادة أن جندياً وقع في الأسر عند العدو وأن تاجراً من بابل قد افتداه حيث اشتراه من سيده . وقد نصت المادة المشار إليها أن على الجندي بعد وصوله إلى مدينته أن يدفع من ماله الخاص للتاجر ثمن فديته، وإذا لم يكن عنده من المال ما يدفع للتاجر فعلى معبد مدينته تدبير الأمر ودفع الفدية، ومن المعروف أن المعبد كان يعد إحدى المؤسسات الاقتصادية إلى جانب مهامه الدينية الرئيسية. نصت هذه المادة على أنه إذا لم يجد المعبد المال اللازم لدفع الفدية كان على القصر الملكي في هذه الحالة أن يدفعها^(٢). الرسالة التالية رقم 32 YOS 2 تؤكد ذلك، مرسله من حمورابي إلى موظفيه من أجل تحرير أسير لدى الأعداء، يقول: (أخبر لوشتمار - زابابا **Lustammar-Zababa** وبيلانوم **Belanum**: حمورابي أرسل الرسالة التالية: فيما يتعلق بـ سين - آنا - دامار - ليصو **Sin - Ana - Dammar - Lisu** بن مانيوم **Maninum**، الذي قد أخذه العدو أسيراً: أودع عشرة شيقل من الفضة في معبد سين من أجل التاجر الذي يتعامل بهذه القضية، و (بهذا) يطلق سراحه)^(٣).

٢ - عبودية الدين :

كان الصراع قائماً بين الدائن والمدين في المجتمع الرافدي منذ القديم، فقد كانت الديون تتراكم لعدة أسباب أهمها: الضرائب الباهظة، والكوارث الطبيعية والحروب بين دويلات المدن، بالإضافة إلى الحظ العاثر وسوء التصرف وعدم المقدرة على التخطيط السليم والقيام بمشاريع ضخمة تفوق إمكانيات الشخص المالية. مما يضطره إلى الاستدانة وطلب القروض، ونتيجة لهذه القروض و تراكم الفوائد نشأ وضع اجتماعي بئس بين طبقات المجتمع الدنيا أدت إلى إغراقهم في الديون. فإذا عجز المدين عن سداد دينه

^١ - المرجع نفسه ، ص ٦٠ .

^٢ - الأسود ، حكمت بشير ، الرقم سبعة في حضارة بلاد الرافدين ، الدلالات والرموز ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٧ م . ص ١٤٧ - ١٤٨ .

^٣ - Oppenheim , A . L . , Letters from Mesopotamia , the university of Chicago , 1967.p 93.

وفق ما نص عليه العقد، وجد نفسه مضطراً لبيع أحد أفراد أسرته أو عبيده أو نفسه ضمن شروط محددة كعبيد للدائن عوضاً عن الديون والفوائد المترتبة عليه، فالدائن كان مخولاً بالاستيلاء على ملكية المدين، أو على أفراد عائلته أو على تابعين له كعبيده، لإجباره على دفع الدين كاملاً. لكنه لا يستطيع بيعهم، لأنه لا يملك الصلاحية المطلقة في التصرف بهم، فقد احتفظوا بحق فك الرهن عند تسديد المبلغ بشكل كامل^(١).

ومنذ بداية العصر البابلي القديم بدأ يزداد عدد المنتجين الصغار الذين وقعوا تحت وطأة الدائنين وصاروا عبيداً، ولا شك أن هذا التطور مرده إلى التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المجتمع الرافدي في مرحلة الانتقال من الألف الثالث إلى الألف الثاني قبل الميلاد، والتغيير الذي شهدته علاقات الإنتاج الفردية، ومما شجع على بروز أهمية القروض ازدياد عدد المنتجين الزراعيين الصغار في طلبها لأن إمكانياتهم المادية كانت محدودة لا تفي بغرض استثمار جميع الأراضي المراد زراعتها، بالإضافة إلى ذلك كان طلب القروض يتزامن مع أوقات الشدة، أي عند نفاذ المؤن المدخرة من العام الفائت، وعدم نضوج المحاصيل الجديدة، وخلال وقت البذار. وكان المستفيد الأكبر في مثل هذه الأوقات العصبية الدائن المتمثل بالقصر والمعبد والتجار الكبار والأثرياء ممن يملكون القدرة على منح القروض، وتتم القروض غالباً بوسيلة التداول التجاري من الفضة^(٢) التي حلت مكان المقايضة العينية بالمحاصيل، ونظراً لتذبذب أسعار المحاصيل بالنسبة للفضة كان بإمكان أصحاب القروض جني أرباح طائلة^(٣).

ومن خلال نظام العقود الماكر تمكن الدائن من فرض فوائد عالية جداً على قروضه، يضيفها إلى رأس ماله، مما جعل أعمال الربا تجارة مزدهرة ورائجة انتشرت في كل بلاد الرافدين. وقد استغل المرابون هذا الوضع أبشع استغلال ليزيدوا ثراءهم ثراء وغناهم غنى^(٤).

^١ - Koppen , F. V ., op . cit , p 11 .

^٢ - كانت الفضة تستخدم مالياً في بلاد الرافدين على شكل كتل ، قبل أن يتم اختراع سك العملة في القرن السابع قبل الميلاد، حيث كانت تستخدم بالوزن في معاملاتهم التجارية . و الفضة تدعى كاسبوم kaspum في اللغة الأكادية . وهناك عملة دعيت كانكوم kankum (وهي فضة على شكل كتل وضعت في حقيبة) . انظر :

Al qudrah, H.M .,SL - as a coinage term in the south Semitic and Nabataean inscriptions, Queen Rania Faculty of Tourism and Heritage, the Hashemite University – Jordan , 2015.P1.

^٣ - كلينكل ، هورست ، حمورابي البابلي وعصره ، تعريب : محمد وحيد خياطة ، ط ١ ، دار المنارة ، دمشق ، ١٩٩٠ م ، ص ٩١ - ٩٢ .

^٤ - المرجع نفسه ، ص ٩٧ .

ولدينا من هذا العصر عدة نصوص تعود لشخص يدعى **بعل - موناخمه Bal - Munamhe** كان نشاطه الرئيس في القروض الربوية والتجارة بالإضافة إلى الأعمال الزراعية وبيع وشراء وتأجير العبيد. لقد كان بعل - موناخمه يدير أعماله في مدينة لارسا خلال فترة عهدي ملكي لارسا واراد - سين وأخيه ريم - سين لمدة تزيد على أربعين سنة، ويبدو أن والده سين - نور - ماتيم Sin - Nur - Matim كان من كبار الملاكين الزراعيين، وقد خلف له ثروة طائلة استخدمها أساساً لأعماله في القروض. ويبدو أن الناس في هذا الزمن كانوا يعيشون في ضائقة اقتصادية دفعتهم إلى اقتراض الأموال^(١). والنصوص التي سنوردها دونت في لارسا في عهد الملك ريم - سين. وما يهمنا من هذه النصوص، التي نتحدث عن بيع أشخاص إلى بعل - موناخمه من أجل سداد ديونهم. وهذه العقود جاءت وفق الصيغة القانونية المعتمدة في بيع الأشخاص من أجل سداد الدين، فقد جاء فيها أولاً ذكر اسم العبد أو الشخص المباع إلى بعل - موناخمه ثم اسم مالكة ويليها اسم الشاري وسعر العبد، والشرط بعدم المطالبة بملكية العبد في المستقبل، وأحياناً يذكر أسماء الشهود، وأخيراً القسم باسم الملك الذي دون في عهده العقد. كان يلجأ المدين إذا عجز عن دفع ديونه إلى بيع أحد عبيده أو إمائه، كما جاء في النص التالي رقم YBT v 132: (باسم عشتار - إيلتي Ishtar - Ellati، من أجل دين (مالكها؟)، ثلث مينا^(٢) من الفضة، بعل - موناخمه، كسعرها الكامل، هو قد دفع. البوكانو هو (المشتري) كسب لنفسه)^(٣).

العبد كان ملكية مطلقة لسيده، يحق له التصرف فيه كما شاء، وامتلاك العبيد كان يحمي السيد وأفراد أسرته من الوقوع في عبودية الدين، إذ كان يبيعهم لسداد ديونه. وهنا نجد ظهور مصطلح البوكانو في عملية البيع. فقد ظهر هذا المصطلح في عهد الدولة الأكادية ٢٣٥٠ - ٢١٥٩ ق.م بالصيغة التالية:

Sum . GIS - GAN - NA IB - TA - BAL = AKK . bukanum sutuk

وتعني أن المعاملة قد تمت (البيع قد تم)، ويعتقد أن أقدم ذكر لهذا المصطلح جاء في عقد شراء من قبل أمير كيش لوجال - اوسومجال Lugal - Usumgal المعاصر لنارام - سين ٢٢٦٠ - ٢٢٢٣ ق.م. وقد استمر استعمال مصطلح البوكانو في العصر البابلي القديم، للدلالة على إتمام معاملة البيع وإقرار نقل

¹ - Koppen , F . V ., op . cit , p 11 .

^٢ - المينا : من الموازين القديمة و يعادل حالياً نحو ٥٠٠ غرام ، يعني نصف كيلو غرام ١١٢ كغ . انظر : حنون ، نصوص مسمارية ، ص ٩٥ .

³ - Mendelsohn , I ., op . cit , p 37 .

ملكية العبد إلى الطرف المشتري^(١). ومن الواضح أن هذا المصطلح كان له صفة قانونية في عملية البيع والشراء، والدليل على ذلك تكرار ذكره في عدة ألواح في عملية نقل الملكية. وجميع تلك الألواح تقريباً كان مصادقاً عليه من قبل عدة أشخاص منهم الكاتب^(٢).

عندما كان يقع شخص ما في الديون و يجب عليه بيع أحد الأفراد التابعين له، كان هذا الأمر يتم بطريقة المفاضلة إن صح التعبير، فإذا كان يملك عبداً وإمناً كان يبدأ بهم أولاً، فمن غير المعقول أن يضحي بأحد أفراد أسرته ولديه خيار آخر. وإذا لم يكن يملك عبداً اضطر إلى بيع أحد أبنائه، كما جاء في النص التالي رقم 8 YBT vili: (باسم خازيروم Hazirum، من سين - موشاليم Sin - Mushallim، والده، وجاميلتوم، أمه، بعل - موناخه قد اشترى. ثلث مينا من الفضة، كسعره الكامل، هو قد دفع. في المستقبل سين - موشاليم وجاميلتوم سوف لن يطعنوا في البيع، باسم الملك هم أقسموا)^(٣).

سعر العبد هنا يساوي نحو ٢٠ شيقل (بما يعادل نحو ١٦٦ غراماً من الفضة). ونلاحظ في عقود بيع العبيد من أجل سداد الدين التفاوت في الأسعار، ولعل ذلك راجع إلى قيمة الدين والفوائد المترتبة على المدين، أو إلى ميزات في العبد. هنا لم يرد ذكر لماذا باع الوالدان ابنهم إلى بعل - موناخه ؟ ولكننا نستطيع أن نخمن أنه من أجل سداد دينهم، فمعظم عقود بيع العبيد والأشخاص إلى بعل - موناخه كانت من أجل ذلك .

ولم يقتصر بيع الأشخاص لسداد الدين على البالغين فقط، فقد يلجأ المدين إلى بيع طفله الذي تنبأه من أجل سداد دينه، ولذلك نجد المرأة شينموري تبيع ابنها المتبنى إلى بعل - موناخه من أجل سداد دينها، كما جاء ذلك في النص التالي: (اشترى بعل - موناخه المدعو ساليومو بن شينموري من والدته شينموري، وزن ثمنه الكامل ١١ شيقل من الفضة. ولكي لا تقيم أي ادعاء عليه في المستقبل ، أقسمت بالملك. أسماء الشهود وتواقيعهم. شهر تشرين (السابع). اليوم الثالث والعشرون منه. عام : كايدا ومدينة نازارو التي احتلها الملك بسلاحه الفتاك)^(٤).

^١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٥ .

^٢ - Vollmers , G . , Recordkeeping in Mesopotamian , Reclaiming accounting lost identity , University of Maine Orono , USA , 1979.P 11 .

^٣ - Mendelsohn , I . , op . cit , p 8 .

^٤ - الذنون ، عبد الحكيم ، التشريعات البابلية ، ط ١ ، دار علاء الدين - دمشق ٢٠٠٠ م . ص ٨٨ .

سعر العبد هنا يعادل نحو ٨٨ غراماً من الفضة، ومن خلال هذا العقد نجد أن النساء يقعن في الديون أيضاً وليس الرجال فقط .

وإذا لم يكن لدى المدين عبيد وأولاد نجده يضطر لبيع نفسه، فالنصوص التالية توضح حالة بيع أشخاص أنفسهم إلى التاجر المرابي بعل - موناخه من أجل سداد دينهم. النص رقم YOS 8 31 ، يتحدث عن بيع شخصين من العائلة أنفسهم ل بعل - موناخه من أجل سداد الديون والفوائد المترتبة عليهم، يقول النص: (بعل - موناخه قد اشترى A و B أبناء X [.....] من أنفسهم. هو قد دفع ثلث مينا من الفضة من أجل قرضهم كسعر كامل)^(١) .

السعر هنا يساوي نحو ٢٠ شيقلاً، ويبدو أنه كان ثمنهما معاً ليستطيعا تغطية ثمن الدين. وهو سعر قليل جداً إذا ما قورن بأسعار البيع الأخرى .

والنص رقم YBT V 145، يتضمن بيع امرأة نفسها ل بعل - موناخه من أجل سداد دينها، الذي يعادل نحو ١٥٢ غراماً من الفضة، جاء في النص: (باسم عشتار - إيلتي Ishtar - Ellati ، باتفاقيتها الخاصة خمسة عشر شيقلاً ونصف من الفضة، من بعل - موناخه قد استلمت، كسعرها الكامل. البوكانو هو المشتري جلبها لنفسه). والنص رقم YBT VIII 17 ، يتضمن بيع شخص نفسه ل بعل - موناخه من أجل سداد دينه، لكن لسوء الحظ السعر مهشم في النص، يقول النص: (إيلما أبي Ilima - Abi باتفاقه الخاص، من نفسه، بعل - موناخه قد اشترى. كسعره الكامل [.....] شيقلاً من الفضة هو قد دفع)^(٢) .

والنص رقم YBT viii 31 ، يتضمن بيع ابني ابيل - كوبي ل بعل - موناخه لسداد ديونهما، يقول النص: (باسم كوردوم Qurrudum ، باسم نياتوم Niiatum ، أبناء ابيل - كوبي Apil - kubi ، أخ حابانتوم Habanatum ، من أنفسهم بعل - موناخه قد اشترى لأجل دينهم، ثلث مينا من الفضة، كسعرهم الكامل، هو قد دفع. من يدعي عليهم (في المستقبل) واحد مينا من الفضة سيدفع)^(٣) .

¹ – Westbrook . R , op . cit , p 1644 .

² – Mendelsohn , I ., op . cit , p 15 .

³ – Ibid ., pp 15 – 16 .

نجد في هذه النصوص، أن صيغة العقود ثابتة. وتضمن هذا النص شرطاً جزائياً على من يدعي ملكية هذين الشخصين ويحاول استعادتهما من المرابي بعل - موناخه والشرط هو دفع غرامة قدرها نحو ٥٠٠ غرام من الفضة .

وتضمن النص رقم YBT VIII 40، بيع شخص نفسه لـ بعل - موناخه من أجل سداد دينه، الذي يساوي عشرة شيقل (بما يعادل نحو ٨٠ غراماً من الفضة)، يقول النص: (باسم سين - ماجير - Sin Magir ، ملكية لنفسه، من نفسه، بعل - موناخه قد اشترى. عشرة شيقل من الفضة، كسعره الكامل، هو قد دفع) ^(١).

عقود بيع الأشخاص أنفسهم أو أي فرداً تابعاً لهم نتيجة الديون، توضح لنا الطبيعة الطوعية من قبل المدين لبيع أحد أفراد عائلته أو عبيده أو نفسه للدائن، على الأقل في العقد المنصوص عليه، أما في الواقع فليس للمدين خيار آخر. فالعجز عن تسديد الدين كان يجبره على ذلك .

إذاً، كانت معاملات القروض الربوية تشكل أحد أوجه النشاط الاقتصادي المهمة في بلاد الرافدين، فكان كل من المزارع وصاحب الحرفة والتاجر والشخص العامي والمرأة بحاجة إلى القروض لتسيير شؤونهم المختلفة، وكانت تؤخذ بشكل مواد نقدية أو عينية، وقد نظمت الأحكام القانونية القروض من ناحية تحديد طبيعتها وتحديد العلاقة بين الدائن والمدين ^(٢) .

أ - **الرهنه من أجل الدَّين**: انتشر في هذا العصر أسلوب تقديم الرهنه مقابل القروض وكانت الرهنه تشمل البيوت والحقول والعبيد والأشخاص الأحرار. ويبدو أن معاملة الرهنه لم تكن تختلف عن معاملة العبيد. فقد قام بعض الأشخاص برهن إمائهم أو عبيدهم أو زوجاتهم وبناتهم أو أنفسهم أو أي شيء آخر من أملاكهم ذي قيمة مادية تعادل قيمة المبلغ المطلوب، وذلك لضمان تسديد المبلغ المقترض من الدائن ^(٣) .

وهناك نصوص كثيرة توضح حالة الرهنه من أجل سداد الدين. فقد وجد في إحدى غرف القصر المحترق في أشنونا على عدد من الألواح، يظهر عليها آثار النار التي دمرت القصر، ولعل تأريخها يرجع إلى بضع سنوات بعد سقوط سلالة أور الثالثة ٢٠٠٤ ق.م. أحد هذه الألواح يبدو أنه رسالة من إيصور -

^١ - Ibid ., p 16 .

^٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .

^٣ - سليمان ، كروان عامر ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

أدد Isur – Adad إلى أمه يطلب منها الاستعجال في فك رهنه قبل أن يصبح عبداً، يقول: (قل لأمي: إن النبلاء الذين أعيش معهم قد باعوني. أخبري السوكال - ماخ sukka! - Mah^(١) المكلف بأعمال الملك. من أجلي أسرع، حتى يحرروني، أنا ربما أتعرض (للاحتجاز) من قبل أولئك الذين قد باعوني)^(٢). يبدو أن إيصور - أدد كان مرهوناً بسبب الدين عند عائلة من النبلاء، وقد حان موعد تسديد فك الرهن ولم يأت أحد ليفك رهنه، فباعوه بطريقة غير قانونية عبداً لعائلة أخرى، وهو يطلب من أمه أن تخبر الحاكم ليتدخل ويحرره. هذه القضية من العصر الآشوري القديم، لم تكن معروفة في قانون حمورابي. ومن المرجح أن إيصور - أدد كان آشورياً وأن رسالته ببعض التتابع الغريب دخلت إلى أشنونا واستنثيت بلغة بابلية أصلية للرسالة^(٣).

من المحتمل أن السوكال - ماخ كان لديه السلطة القوية للتدخل مباشرة لتحريره، أو لعل إيصور - أدد كان مباعاً لبلد أجنبي، وتحريره لا يمكن إلا باتفاقية تتم بأمر الملك. ولعل طلب الضغط على رسول الملك، لأنه لم يكن تحت سلطة السوكال - ماخ المباشرة الذي يتلقى أوامره من ملكه، ومن المتوقع أن يستخدم السوكال - ماخ نفوذه على المندوب لكي يتمكن إيصور - أدد من العودة إلى وطنه^(٤).

في العصر البابلي القديم كانت سلطة الدائن في احتجاز ممتلكات المدين تسمى (نيبوتوم niputum). والأشخاص المحتجزون كرهائن كانوا يجبرون على العمل بالقوة لأجل الدائن، والهدف من الاحتجاز هو الضغط على المدين ليدفع الدين، حيث وجدنا في نص رسالة من هذا العصر، التالي: (بعد أن ذهبت أنت في سفر جاء A وصرح ((أنه قد أقرضك ثلث مينا من الفضة))، احتجز زوجتك وابنتك. تعال وخذ زوجتك وابنتك، حررهم قبل أن يموتوا من الاحتجاز في الحبس. أرجوك!)^(٥).

^١ - السوكال - ماخ : كلمة سومرية ، تعني رجل بلاط كبير ، و المسؤول عن تعبيد الطرق و أبنية المعابد وغيرها . وخلال العصر البابلي القديم الحاكم العيلامي كان معروف بلقب سوكال - ماخ أي الحاكم العظيم الذي سيطر على إيسين مباشرة ، بينما تحته كان اثنان سوكال ، من مناطق سوسة و سيماش Simash . انظر : Nigel , S , and Nigel , T ., Armies of the Ancient near east 3000 – 539 B . C , England , 1984. P 47 . وكذلك انظر : الجبوري ، علي ياسين ، قاموس اللغة الأكادية - العربية ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، ب.ت ، ص ٥٣٦ .

^٢ - Jacobsen , T ., philological notes on Eshnunna and its inscriptions , Assyriological studies , The oriental institute of the university of Chicago 1934. P29 .

^٣ - Ibid ., p35 .

^٤ - Whiting , J . R . , Robert M , Old Babylonian letters from tell Asmar , Assyriological studies . No 22, the oriental institute of the university of Chicago . Illinois , 1987. P 83.

^٥ - Westbrook , R . , op . cit , p 1638.

المرسل غير واضح هنا، لعله أحد أقرباء المدين أو أصدقائه، فهو يخبره بما حصل لعائلته، ويطلب منه الاستعجال في العودة لتحرير أسرته من الرهن حتى لا يموتوا في الاحتجاز .

وفي حالة أخرى مشابهة: (واحدة من زوجات العرفاء صرخت بالبكاء إلى إيشا Elisha : خادمك زوجي قد مات [.....] والدائن جاء ليأخذ اثنين من أطفالك كعبيد له)^(١).

لم يكن الدين يسقط عن المدين في حال وفاته، فالأبناء كانوا يتحملون الديون التي يتركها الأب. ولهذا نجد الدائن هنا فور سماعه بخبر وفاة مدينه يحتجز اثنين من أطفاله كعبيد له، ليضمن حقه .

وهناك نص قانوني من هذا العصر يتعلق بقرض كيس من الجلد المدبوغ، يقول النص: (بخصوص كيس الجلد المدبوغ الذي فلانة (A) أقرضته لفلانة (B) وأخذت الأمة كرهينة، فلانة (B) جلبت كيس الجلد المدبوغ وحملت الأمة. سوف لن يدعي أحد ضد الآخر)^(٢).

أسماء الدائن والمدين مفقودة بسبب تهشيم في النص. قامت المرأة B باستقراض كيس من الجلد المدبوغ من المرأة A ، ويبدو أنها تأخرت في إرجاعه، مما أدى إلى احتجاز أمتها من قبل المرأة A ، كوسيلة للضغط عليها، ولكنها استطاعت استرجاع أمتها بعد إحضار كيس الجلد المدبوغ، وكتبتنا عقداً بذلك لئلا تدعي إحداها على الأخرى. أخذ الرهينة من أجل سداد الدين أمر شائع إلى اليوم في منطقة بلاد الرافدين، ولكن لا يصل الأمر إلى احتجاز أشخاص، لأنه لا يوجد عبيد اليوم، وإنما يتم احتجاز قطعة أرض حتى يتم سداد الدين، وإذا لم يتم سداد الدين في الوقت المحدد تصبح الأرض ملكاً للدائن. كانت القروض تشمل المواد النقدية والعينية على حد سواء، فالجلود المدبوعة والصوف وغيرها أحد مواد القروض العينية، لأن دبغ الجلود كما هو معروف يحتاج إلى عملية طويلة ومعقدة في التصنيع. ولكن هذه المواد كانت ترد في بعض الأحيان فضة بدلاً عنها .

وهناك نوع من الاحتجاز المؤقت بسبب الدين، وهذا كان مصير ابنة إيبيزو Abizu. وفقاً للنص التالي: (إيبيزو قد اشترى أمة من العرفاء إبنى- مردوك Ibni - Marduk لكنه لم يدفع ثمنها

¹ -Ibid ., p 1643 .

² -Loesov , S ., marginalia on the Akkadian Ventive , Ancient near east studies , Russian state university for the Humanities , Moscow, 2002 , p115 .

الكامل. كنتيجة لذلك العراف وضع ابنة إبيزو في السجن لمدة شهر واحد^(١). هنا اعتبرت ابنة إبيزو كأمة مؤقتة، وستحرر عندما يسدد والدها ثمن الأمة التي كان قد اشتراها من العراف .

وفي عقد قرض مبلغ من الفضة، يقوم على وضع C زوجة B كرهينة من أجل سداد القرض، وتضمن شرطاً جزائياً، إذا لم يتم تسديد المبلغ المطلوب خلال مدة شهرين، فالرهينة ستباع كأمة، نص العقد: (بخصوص قرض ١١٢ ٦ شيقل (C) زوجة (B). قد أُخذت من قبل (A). كرهينة. إذا هو (B) لم يدفع الفضة خلال شهرين، (C) زوجة (B) ستباع^(٢). من الطبيعي أن يتمسك الدائن برهائنه، لأن هذه الرهائن تقدم له إيدٍ عاملة رخيصة ورأس مالياً منتجاً دون عناء كبير.

لقد كان الدائن يقوم باحتجاز أشخاص مدينين له بطريقة الرهينة، التي أفقدتهم حريتهم، فقد كان يتوجب عليهم خدمة الدائن الذي كان يستغل جهدهم في إنجاز مختلف أعماله. ولكن بالرغم من ذلك كانت العلاقة بين الدائن والمدين تقوم على الاتفاق. ولم تكن سلطة الدائن مطلقة على الرهينة، فلم يكن يملك الحق في بيعها، ويمكن للمدين اقتداء نفسه إذا كان مرتهاً أو اقتداء رهينته بدفع المستحقات للدائن، وبعدها يصبح حراً. ولكن خلال مدة الرهن إذا تقاعس الراهن عن أداء واجباته تجاه الدائن فإن ذلك يؤدي إلى عقوبة نص عليها العقد وهي خسارته لرهينته فتباع كعبد^(٣).

ب - وضع الرهينة القانوني: كان صاحب الدين يلجأ إلى رهن أحد أفراد عائلة المدين أو عبيده أو إمائه كوسيلة للضغط عليه من أجل ضمان تسديد الدين كما أسلفنا، وقد عالج قانونا أشنونا وحمورابي هذا النوع من الحجز لمنع الإفراط فيه، فنجد في المادة ٢٢ من قانون أشنونا: (إذا لم يكن لرجل عند رجل (آخر) أية مطالب ، (ومع ذلك) أخذ أمة هذا الرجل رهينة، فعلى صاحب الأمة أن يؤدي اليمين (قائلاً: (ليس لك عندي أية مطالب)، (عندها) يجب على (المدعي) أن يدفع فضة تساوي سعر الأمة). وتبعتها المادة ٢٣: (إذا لم يكن لرجل عند رجل (آخر) أية مطالب، (ومع ذلك) أخذ أمة هذا الرجل رهينة، وحجز الرهينة في بيته وسبب موتها، فعليه أن يعرض صاحب الأمة أمتين اثنتين)^(٤).

¹ – Seri , A ., and others , Domestic female slave during the old Babylonian period , Slaves and households in the near east- edited by Culbertson , Laura , Held at the Oriental Institute of the university of Chicago 5 – 6 March 2010 , p 55.

² – Ibid ., p 1636 .

³ – Westbrook , R ., op . cit , p 1637 .

^٤ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٩ .

في هاتين المادتين علاج ادعاء الدين كذباً واحتجاز أمة كرهينة. ففي الحالة الأولى يدفع الرجل الذي احتجز الأمة كرهينة ثمن الأمة بالفضة، بعد أن يؤدي صاحب الأمة القسم بأن المدعي ليس له عليه شيء. أما في الحالة الثانية فيعوض المدعي صاحب الأمة أمتين بدلاً عن الأمة التي احتجزت وماتت دون وجه حق .

أما قانون حمورابي فيعالج هذا الحجز في حال إثبات الدين. كما جاء في المادتين ١١٥ و ١١٦. تقول المادة ١١٥: (إذا كان لإنسان) حبوب أو فضة وأخذ منه رهينه، وماتت الرهينة في بيت مرتبتها موتاً طبيعياً، فلا تنشأ من هذه القضية أية ادعاءات). وجاء في المادة ١١٦ التي جاء فيها: (إذا ماتت الرهينة في بيت مرتبتها نتيجة الضرب أو سوء المعاملة، فيجب على صاحب الرهينة أن يثبت ذلك على تاجره (المقصود دائه) فإذا (كان الأمر يتعلق) بابن إنسان (ما)، فعلى المرء أن يقتل ابنه (ابن التاجر)، وإذا (كان الأمر يتعلق بعبد إنسان (ما) فعليه أن يزن ثلث مينا فضة، ويخسر كل ما أعطاه (سابقاً))^(١).

نجد للمادة ١١٦ انعكاساتها في عقود الرهن، التي كانت تتضمن غالباً شرطاً جزائياً، إذا ماتت أو مرضت الرهينة أو هربت فإن المسؤولية تقع على عاتق الدائن. ونلاحظ أن قوانين حمورابي جاءت مكملية لقانون أشنونا، فقد رأينا أن قانون أشنونا يعالج ادعاء الدين كذباً في الدين، أما قانون حمورابي فيعالج الادعاء الصادق. في الحالة الأولى إذا توفيت الرهينة بشكل طبيعي نتيجة مرض أو غيره فإن المسؤولية لا تقع على الدائن. أما في الحالة الثانية فإذا ماتت الرهينة نتيجة التعذيب وسوء المعاملة وأثبت صاحب الرهينة ذلك تقع على الدائن العقوبة بموت ابنه إذا كانت الرهينة من طبقة الأحرار، أما إذا كانت من طبقة العبيد، فعلى الدائن أن يدفع لصاحبها ثلث مينا من الفضة وهو يساوي عشرين شيقلاً، وهو سعر العبد كما حدده حمورابي في قوانينه التي سنأتي على ذكرها لاحقاً بشكل مفصل، وفي النهاية يخسر جميع ديونه والفوائد المترتبة عليه .

ويحتمل أن يكون تفشي ممارسة بيع النفس والأطفال بسبب الدين كان عاملاً دفع حمورابي لإصدار المادة ١١٧ في قوانينه، للحد من وقوع المواطنين الأحرار في العبودية بسبب الدين. فقد جاء فيها: (إذا تراكمت ديون على شخص ما، وأعطى زوجته أو ابنه أو ابنته مقابل الفضة (أي الدين)، أو أعطاهم إلى عبودية الدين (أي وضعهم تحت تصرف دائه)، فعليهم أن يعملوا في بيت مستعبدتهم لمدة ثلاث سنوات، وفي السنة الرابعة يجب أن يطلق سراحهم)^(٢).

^١ - المرجع نفسه ، ص ٧٠ .

^٢ - المرجع نفسه ، ص ٧١ .

حاول حمورابي كبح تحكم التامكاروم (التاجر)، حيث حدد عبودية الدين بثلاث سنوات، ألغى فيها حق المربي في الدخول إلى بيت المدين. لكن تطلعتنا نصوص هذا العصر على حالات خرق لقوانين حمورابي من قبل التامكاروم، وبخاصة وضع اليد أو حجز أراضي لمزارعي ومقاتلي الملك التي لا يجوز التصرف بها. فالمجتمع البابلي لم يعرف التناحر بين طبقات الأحرار والعبيد فقط، بل عرف أيضاً النزاعات بين مختلف الطبقات الحرة ^(١).

ثم يتابع قانون حمورابي وضع الرهينة في حال كونها من طبقة العبيد، فقد جاء في المادة ١١٨: (إذا أعطى عبداً أو أمةً للخدمة لدى الدائن، فعلى الدائن أن ينتظر حتى يحين موعد دفع الدين، وبعد ذلك يستطيع الدائن أن يبيع الرهينة (العبد أو الأمة) مقابل المال، ولا يحق لسيدهم رفع دعوى ضد الدائن) ^(٢).

هنا عدَّ العبد أو الأمة ثمناً لسداد الدين لا يمكن استعادته. ونلاحظ هنا أن الرهينة إذا كانت من طبقة العبيد يمكن بيعها مقابل المال. أما إذا كانت من طبقة الأحرار فلا يمكن بيعها، كما جاء في المواد القانونية السابقة.

ونجد في المادة ١١٩ من قانون حمورابي أنه: (إذا أخرج رجل بسبب (حلول موعد) استحقاق الدين، فباع أمته التي ولدت له أطفالاً مقابل نقود، فإنه يستطيع أن يدفع (أي يعيد ثمنها) للتاجر الذي أعطاه النقود ويحرر أمته (من التاجر)) ^(٣).

الأطفال يعدُّون أطفال السيد وهم ضمانات لأهم الأمه في إمكانية استعادتها من الرهن (وفي منحها الحرية كما سنرى لاحقاً)، وذلك إذا تمكن المدين من سداد المستحقات المترتبة عليه للتاجر. فالأمة التي تلد لسيدها أطفالاً لا يمكن بيعها.

وفي بعض الحالات كانت الفتيات اللواتي يقدمن على الزواج يطلبن حماية أنفسهن من الوقوع في الاحتجاز أو في عبودية الدين، بسبب ديون أزواجهن، وهذا ما دفع حمورابي لإصدار المادة ١٥١ التي تقول: (إذا كانت امرأة تعيش في بيت رجل (كزوجة) وتعاهدت مع زوجها وجعلته يدون عقداً (يؤكد فيه) أن دائن زوجها لا يحق له أخذها (ككفيل أو كرهينة)، فإن كان على هذا الرجل دين قبل زواجه من

^١ - دياكوف، المرجع السابق، ص ١٠٥.

^٢ - رشيد، المرجع السابق، ص ١٣٩.

^٣ - المرجع نفسه، ص ١٣٩.

هذه المرأة، فلا يحق لدائنه أخذ زوجته أبداً، وإذا كان على تلك المرأة دين قبل دخولها بيت الرجل (أي زوجها)، فلا يحق لدائنها أخذ زوجها (كرهينة) أبداً^(١).

مضمون المادة واضح هنا، أي لا تتحمل الزوجة ديون زوجها التي وقعت عليه قبل الزواج، ولا يمكن للدائن أن يحتجزها لقاء ديون زوجها، وكذلك الأمر إذا كانت الزوجة مدينة قبل زواجها فلا يحمل زوجها مسؤولية دينها ولا يمكن احتجازه. أما إذا وقعت الديون على زوجها بعد زواجهما، فتكون مسؤولة مع زوجها ويكونان متضامنين في هذه الديون، فقد جاءت المادة ١٥٢ لتؤكد ذلك فتقول: (إذا ترتب عليهما دين (على الزوج والزوجة) بعد أن دخلت هذه المرأة إلى بيت الرجل (أي بعد أن أصبحت زوجته)، فإنهما يدفعان للتاجر (أي الدائن) معاً)^(٢).

ج- الكفالة في الدين: تعد الكفالة من الضمانات الرئيسية والمهمة في مجال المعاملات الاقتصادية. والمقصود بالكفالة أن يقوم أحد الأشخاص بضمان المدين ليتمكن الدائن من استعادة أمواله، وفي حال إخلال المدين ببند العقد، عند حلول موعد التسديد، يكون الكفيل مسؤولاً عن الدفع بدلاً عنه. وقد تبين أن الرافديين القدماء عرفوا نوعين من الكفالة: كفالة للنفس وأخرى للمال، تقوم على التزام الكفيل بإحضار الشخص المكفول في الوقت المحدد، وإلا وقعت عليه المسؤولية^(٣).

يصاغ نص الكفالة حرفياً على الشكل التالي: (أخذ الدائن يد الكفيل عوضاً عن المدين)^(٤). والمقصود بذلك الضمان الذي يقدمه الكفيل بشكل رمزي، ووضع اليد باليد، هو نوع من القسم أو القبول، وهي عادة لا تزال متبعة إلى اليوم في بلاد الرافدين. ومبلغ الكفالة الذي يترتب على الكفيل دفعه للدائن أعلى بكثير من ثمن العبيد في الحالات العادية، وعلى الكفيل أن يتحمل مسؤوليته من عدة جوانب. وقد تضمنت نصوص الكفالة عدة بنود: فيتم أولاً ذكر اسم الكفيل أو الكفلاء ثم قيمة الكفالة ويليها الشرط الجزائي، وأخيراً أسماء الشهود وتاريخ العقد، يوضحها نص الكفالة التالي الذي يعود إلى عهد ريم - سين. يقول النص: (تعهد كل من لوشتمار Lustmar والصائع همبلوم Hambulu، بدفع مينا من الفضة إلى السيد بعل - موناخه، إذا قام إلولوم Ellulum عبد بعل - موناخه بمحاولة الالتجاء إلى

^١ - المرجع نفسه، ص ١٤٥.

^٢ - مرعي، قوانين بلاد ما بين النهرين، ص ٧٦.

^٣ - عيسى، لقاء جليل، الكفالة في النصوص المسمارية البابلية القديمة، مجلة القادسية في الآداب و العلوم التربوية، مج ٩، العددان ٣ - ٤، جامعة القادسية، ٢٠١٠ م. ص ١١٩.

^٤ - كلينكل، المرجع السابق، ص ١٠٠.

القصر، والبحث عن رجل قوي يحميه أو إلى بيت النساء للهرب من سيده، أو إذا وقع أسيراً بيد الأعداء، أو قتله أسد. تبع بأسماء وتوقيع الشهود وتاريخ العقد^(١).

إذا الكفيل مسؤول عن تصرفات العبد المكفول الشاذة وغير اللاتقة مع سيده، وعن الهرب من منزل سيده والالتجاء إلى القصر أو إلى شخص قوي، والقوة مصدرها إما من المال أو من السلطة أو من الاثنين معاً، وعن قيامه بالبحث عن الحماية في بيت النساء (المقصود به المعبد)، وعن وقوعه أسيراً في يد الأعداء، وقتله من قبل أسد، ويبدو أن الأسود كانت منتشرة في بلاد الرافدين آنذاك وإلا لما أدرجت في النص. تشير كل هذه الحالات إلى أن العبيد كان بمقدورهم إيجاد ملاذ يلجؤون إليه وقت الشدة، ولا تطالهم يد صاحب الدين .

ونستخلص مما سبق: أن الحرفيين كانوا بحاجة ماسة إلى أيِّ عاملة طويلة العام، وبهذه الكفالة يصلون إلى غايتهم بأبخص الأثمان وأقل التكاليف وأفضل الشروط، وقد جاءت هذه الحالة الاجتماعية لصالحهم، ولو دققنا في عقود الرهائن واستئجار العبيد لدى بعل - موناخه، لوجدنا أن الوقت الذي يتم فيه تأجير العبيد يقع خارج أوقات المواسم الزراعية، أو في الوقت الذي لا تتوفر فيه فرص العمل في الأرض، ولذلك يشكل العبيد والرهائن عبئاً اقتصادياً، فيستفيد من جهدهم في هذا الوقت الضائع إن صح التعبير، وذلك بتوزيعهم على أصحاب الحرف فيتخلص بذلك من تكاليف معيشتهم التي تبلغ حوالي شيقل من الفضة شهرياً (أي بمقدار ثماني غرامات من الفضة)، ورغم أنه لا يتقاضى فوائد من تأجير رهائنه إلا أن هذا لا يعني أنه يخرج خالي اليدين من هذه العملية، فمبالغ الكفالة المرتفعة التي كان يتقاضاها كانت تجبر المستأجر على الاهتمام بأجرائه وحرص عليهم، وإذا حدث أمر طارئ و فقد بعل - موناخه على إثره عبده فإن ذلك لا يشكل أية خسارة له، لأن مبلغ الكفالة أعلى بكثير من ثمن العبد أو الرهينة أو الدين أو الكلفة بشكل عام، فبمقدوره أن يشتري بثمان يتراوح بين ١ و ١١٣ مينا من الفضة (أي ما يعادل نحو ٦٦٦ غراماً من الفضة التي تساوي نحو ٨٣ شيقلاً) أكثر من أربعة عبيد. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن العقد يتضمن وقتاً محدداً لإعادة الكفالة إلى صاحبها، وبإمكان صاحبها أن يطالب بها متى شاء، إذا رأى ذلك من صالحه، ولهذا السبب بالذات لم يكن يطالب بفوائد على أجرائه لأن ذلك يسبب له إشكالات كثيرة هو في غنى عنها^(٢).

ويستفيد الكفلاء من كفالتهم أنهم يحصلون على قوى عاملة مجانية، لا تكلفهم سوى الطعام واللباس، أما دفع الأجور لمالك العبيد بعل - موناخه فلم تذكره النصوص بشكل صريح. وليس من المستغرب أن يكون

١ - المرجع نفسه ، ص ١٠٠ .

٢ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

الكفلاء من ذوي الحرف المتعددة كالغسالين والصياغ والخبازين، وفي بعض الأحيان كان أصحاب الحرف يلعبون دور الشهود على عقود البيع .

وهكذا نجد أن الكفالة لم تكن تعني أن المدين عاجز عن تسديد ديونه، فيسدد لها الكفيل ليحرره من رقة العبودية، بقدر ما هي استخدام المدين في العمل كالعبيد، على أن يعيده إلى صاحبه سالماً في الوقت الذي يطلبه^(١).

وفي النص رقم YBT v 141 للمرابي بعل - موناخه والذي يؤرخ في السنة الرابعة عشرة من عهد ريم - سين، جاء أن بعل - موناخه اشترى سين - ماجير Sin - Magir من والديه بسعر ثلث مينا من الفضة أي بالسعر المتعارف عليه للعبد وهو ٢٠ شيقلاً من الفضة. يقول النص: (باسم سين - ماجير Sin Magir - بن بوزور - نوموشدا Puzur - Numushda، والده، وتارييتوم Taribatum أمه، بعل - موناخه قد اشترى ثلث مينا من الفضة، كسعره الكامل، هو قد دفع . البوكانو هو (المشتري) كسب لنفسه)^(٢).

يشير هذا النص إلى أن الوالدين وقعا في ضائقة مالية أجبرتهما على بيع ابنهما، وبعد خمس سنوات استطاعا تحريره بموجب كفالة وفق المصطلح التالي الذي جاء في عقد الكفالة: (X والده، وY أمه أقرأ في إمكانية كفالة عبد يدعى A، من ماله B. إذا هو هرب سراً، X والده وY أمه، هم سينقلون منزلهم وبستانهم إلى B)^(٣).

هنا بعل - موناخه لم يستلم ثمن الكفالة، ولكنه وضع شرطاً جزائياً وهو أنه في حال هروب العبد فإن الوالدين سيخسران بيتهما وحقلهما، وهو الضمان الذي قدماه لـ بعل - موناخه، وربما كان البيت والحقل كل ما تملك هذه العائلة من متطلبات الحياة .

نصوص بعل - موناخه تؤرخ في الفترة الواقعة بين حكمي واراد - سين وريم - سين ولا نجد نصوصاً له في السنوات اللاحقة. ولم تعد تشير النصوص إلى أشخاص مرابين من هذا النوع، ولعل سبب ذلك وجود

^١ - المرجع نفسه، ص ١٠٠ .

^٢ - Mendelsohn , I ., op . cit , p 37 .

^٣ - Westbrook , R . , op . cit , p 1670 .

تبدلات وتغيرات طرأت على علاقات التملك الفردي، والنظام الاقتصادي القائم، وخاصة فيما يتعلق بملكية الأراضي الخاصة^(١).

أما عقود الرهن المقرونة بالدين، فيرد فيها الكفيل ليضمن شخصاً ما لدفع ما بذمته من ديون، وهذا ما جاء في أحد النصوص إذ قام أحد الأشخاص وهو إدين - إيا - Ea - Idin برهن زوجته مقابل مبلغ من المال والكفيل هو سين - إقيشام Sin - Iqsam، على النحو الآتي: (سين - إقيشام بن جانيا Jania، كفيل إدين - إيا عن دين عبودية زوجته، بثلاثة مينا وأربعة شيقل فضة، ويتحمل لشهر واحد إذا لم يجلب إدين - إيا في اليوم المحدد المرأة، يزن سين - إقيشام كفيله ثلاثة مينا وأربعة شيقل فضة إلى نور - شماش Nur - Samas)^(٢).

سين - إقيشام قام بكفالة زوجة إدين - إيا على مبلغ وقدره نحو ١٥٣٢ غراماً من الفضة (يساوي نحو ١٩٥ شيقلاً من الفضة)، وهو مبلغ باهظ جداً قياساً بمبالغ الكفالة التي مرت معنا، ويجب إعادته إلى نور - شماش خلال شهر واحد، وبعد انتهاء المدة إذا لم يدفع المبلغ المطلوب، فإن المسؤولية تقع على الكفيل سين - إقيشام الذي يجب عليه أن يدفع المبلغ لـ نور - شماش .

هناك نص آخر للكفالة المقرونة بالرهن، وهي صيغة مركبة للضمان كانت معروفة في ذلك العصر، إذ جاء في النص الآتي: (الكفيل لانتين - إير Lantin - Era لـ ٦،٥ شيقل فضة، أخذ من ريم - شي - إيل Rim - Si - Il بن دادا Dada، للرهن أعطيت المرأة أجاسونو Ajasunu زوجة لانتين - إير لشهرين، إذا لم يدفع الفضة لـ ريم - شي - إيل، أجاسونو زوجة لانتين - إير تعطى بالفضة)^(٣).

قام لانتين - إير بكفالة زوجته أجاسونو لدى الدائن ريم - شي - إيل على مبلغ وقدره نحو ٥٨ غراماً من الفضة، ومدة الكفالة شهران، تبقى زوجة لانتين - إير خلال هذه المدة في منزل ريم - شي - إيل حتى يتم تسديد المبلغ، وتم إيراد شرط جزائي في حال عدم تسديد المبلغ خلال المدة المذكورة وهو بيع زوجة لانتين - إير كأمة .

١ - عيسى، المرجع السابق، ص ١٢٥ .

٢ - المرجع نفسه، ص ١٢٥ .

٣ - المرجع نفسه، ص ١٢٦ .

نجد في هذا النص أن الرجل يستطيع كفالة زوجته، ولا يشترط أن يكون الكفيل تاجراً أو من المتنفذين أو من أصحاب الحرف، كما نجد أن مدة الكفالة ليست ثابتة بل تتوقف على الاتفاق بين الأطراف المتعاقدة، ففي النص السابق كانت شهراً واحداً، وأما في هذا النص فهي شهران .

وفي نص آخر نجد تحويل الدين من المدين إلى الشخص الكفيل، يقول النص: (بخصوص ثلثي شيقل من الفضة، مبلغ من أجل شراء أمة، التي أل - تاليمي Ali - Talimi بن أد - انوم Ad anum، ومودابشو Mudabshu، أخوه، كُفلاً من قبل واراد - كوبي Warad-Kubi، بن أبكو - نيكال Abku - Nikal، هذه الكفالة وقعت على أل - تاليمي و مودابشو. واراد - كوبي خلال عشرة أيام سيدفع المال لسين - ريميني Sin - Rimeni، بن إيني - شماش Ibnī - Shamash) ^(١) .

يبدو أن أل - تاليمي وأخاه مودابشو قد أخذوا مبلغاً من المال وقدره ثلثي شيقل من الفضة من سين - ريميني وذلك لشراء أمة له، ويبدو أنهما صرفا ثمنها، وعندما قام سين - ريميني بمطالبتهم بثمان الأمة لم يكونا يملكان المال، فقام واراد - كوبي بكفالتهم لدى سين - ريميني على أن يدفع المبلغ المطلوب خلال عشرة أيام. وربما كان أل - تاليمي وأخوه يعملان في السمسرة وبيع العبيد والإماء، وربما كان لديهما أمة أرادوا بيعها، وعندما استلما ثمنها لم يسلمهاها الأمة للسيد سين - ريميني وصرفا ثمنها ؟

٣ - عبودية المجاعة :

لقد شكلت الطبقات الفقيرة من المواطنين مورداً داخلياً للعبيد في بلاد الرافدين، فمن الناحية الافتراضية كان أولئك الفقراء والمستضعفون أحراراً بالولادة، ولكن بسبب الضائقات المالية التي تعرضوا لها اضطروا للخدمة في بيوت الأثرياء كعبيد. وتشمل تلك الفئات، الفلاحين والعمال الذين يكسبون قوتهم اليومي من أراضي المعبد عن طريق فلاحتها، أو كمستأجرين في مؤسسات عامة تابعة للقصر أو المعبد أو للنبل والأثرياء. ويبدو أن تلك الطبقات في حالة تعرضها للإفلاس وفقدانها لمورد رزقها تكون مستعدة لبيع نفسها لتلك المؤسسات المتنفذة. ويقع ضمن تلك الفئات الفقيرة أيضاً، الفارون من العدالة والأرامل والمشردون واللقطاء ^(٢). وترد عبارة الطفل اللقيط في اللغة الأكادية (سوقايا suqaya) ^(٣).

¹- Chiera , E ., Old Babylonian contracts , university of Pennsylvania , the university museum, publications of the Babylonian section , vol. 8 , No . 2 , Philadelphia , 1922. PP 151. 152 .

^٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٥٧ .

³ - Black , J ., op . cit , p 328 .

وهناك إشارات في النصوص ذات العلاقة إلى انتشار ظاهرة رمي الرضع و الصغار في هذا العصر. وقد يكون ذلك بسبب العوز والفقر أو لأسباب اجتماعية. ويبدو أن أولئك المهجورين كانوا يتركون لرحمة المارة من الناس وإلا سيكون مصيرهم للكلاب السائبة. وقد جاءت بعض التعبيرات بهذا الخصوص تصف ما يحدث لأولئك الأطفال، فيقال إنهم وجدوا في بئر ina buru أو في شارع ina suqi أو أنهم قد انتشلوا من فم الكلب ina pi m kalbn. ومن العصر البابلي الحديث يرد تعبير sa pi kalbi الذي يعتقد أنه يعني اللقيط أو أسلوب تبني يخص المهجورين من الأطفال. ويعتقد أن بعض أولئك الأطفال يلتقطون ليصبحوا أبناءً أو عبيداً^(١). ففي نص من مدينة لارسا يؤرخ في عهد ريم – سين، يتضمن اكتشاف وتبني طفل لقيط من قبل الكاهنة نوجيج nugig – priestess^(٢). حيث اتخذت هذه الكاهنة الطفل ابن لها وسيرتها في المستقبل. هذا العقد كان مسجل على لوح بخصوص الكاهنة النوجيج سيمات – أدد Simat Adad – التي انقذت طفل لقيط وتبنته. جاء في النص كالتالي: (طفل رضيع، وجد في بئر، أنقذ من الطريق، سيمات – أدد Simat – Adad، النوجيج Nugig، جعلته يسقط من فم المفترس. سيمات – أدد، النوجيج، قد تبنته كأبنها (و) جعلته كوريثها. في المستقبل، إذا سيمات – أدد، النوجيج، قالت له: أنت لست ابني! هي ستخسر منزل، حق، بستان، عبيد ذكور وإناث، ممتلكات وآنية، بقدر ما يكون موجود. هي أقسمت باسم نانا، شماش، والملك ريم – سين)^(٣).

في كثير من الحالات كان الاستعباد بسبب المجاعة مشابهاً للاستعباد بسبب الدين، فبيع الأطفال في الأزمات الاقتصادية كان يتم بالإكراه بسبب وجود الدين، وفي حالات أخرى كان الأشخاص الأحرار يعطون أطفالهم أو أنفسهم دون ثمن كعبيد من أجل الحفاظ على حياتهم من غائلة الجوع، وهذه العبودية تنتهي بانتهاء المجاعة. أما عبيد المجاعة الذين بيعوا بمبلغ مقبوض، فعادة يستطيعون استعادة حريتهم بدفع المال للمشتري^(٤). فبيع الأطفال في بلاد الرافدين عامة وفي العصر البابلي القديم خاصة كان من الأمور

^١ - الرويح، المرجع السابق، ص ٧٠. ولمعاني المفردات الأكادية انظر: Black, J., op.cit, pp49-142-328.

^٢ - الكاهنة النوجيج: هي تعبير سومري يقابلها في الأكادية قاديشو qadistu، ترجمت بأشكال مختلفة ومتنوعة كمقدسة، ومحرمة، وحديثاً كالدائية " القابلة ". وفي العصر البابلي القديم تظهر النوجيج \ القاديشو مع فئات أخرى من كاهنات المعبد كالناديتو والكولماشيتو والشوجيتو، و وفقاً لإشارات من هذا العصر أن النوجيج \ القاديشو تبدو لتكون لها علاقة خاصة بالإله أدد وفي ماري بـ أنونيتوم Annunitum. انظر:

Spada, G., Two old Babylonian model contracts, cuneiform digital library Journal, part 2, ISSN, University of Rome – Sapienza 24 March – 2014. P 5.

³ – Ibid., p5.

⁴ – Westbrook, R., op.cit, p 1645.

الطبيعية آنذاك، إذ كان يضطرون إلى بيع أطفالهم للمعابد أو لجهات أخرى لأسباب اقتصادية تتعلق بالحاجة والفقر، وتأتي تبريرات بيعهم لأبنائهم بوصف المجاعة وشدها على الناس . وكأنهم في ذلك يحاولون الكشف عن قيم أخلاقية معينة تستهجن بيع الأبناء و تحويلهم إلى عبيد. أو يبيعونهم بسبب الكوارث الطبيعية التي تهدد حياة الناس كالمجاعات والفيضانات أو الحروب التي تؤدي إلى قلة المواد الغذائية الرئيسة وإلى ارتفاع سعرها مما يسبب أزمة اقتصادية تضغط على الناس الفقراء وتضطرهم إلى بيع أولادهم لكي يستمروا في العيش ^(١) .

وهناك نصاً يؤرخ في عهد مملكة بابل الأولى يذكر أن أمّا قد عجزت عن تسديد تكاليف رضاعة طفلها، فاضطرت إلى بيعه لمرضعته واستلام ثلاثة شقيقات من الفضة كمبلغ متبقٍ من ثمنه ^(٢) .

بيع الأطفال كان ظاهرة مألوفة خلال أزمنة المجاعة، فعندما لا يكون هناك شيء لإطعام بقية أفراد العائلة، يبيع الوالدان أطفالهما كعبيد مجاعة، والمال الذي يستلمه الوالدان من الشاري كانوا ينفقونه في شراء طعام لبقية أفراد العائلة حفاظاً على حياتهم. والكوارث الطبيعية و الحروب كانت أسباباً لاتساع هذا النوع من العبودية ^(٣) .

٤ - العبودية كعقوبة :

يتبين لنا من خلال المواد و النصوص القانونية المختلفة في هذا العصر، أن العبودية كانت تفرض بحق الأشخاص الخارجين عن الأعراف والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها. كما كانت تفرض بحق مرتكبي جرائم ومخالفات معينة تمس مصالح أشخاص آخرين، وأهم تلك الحالات :

أ- نكران أبناء التبني والديهم : يعتبر التبني أحد روافد العبودية المحلية ضمن ظروف معينة، وهو ممارسة اجتماعية ينتقل بموجبها نسب شخص من أبويه الحقيقيين إلى متبنيه الجديد. وقد جاءت تفسيرات شرعية في النصوص القانونية توضح جوانب علاقة التبني بين الأطراف المتعاقدة (الأبوين الحقيقيين والابن المتبني والطرف الآخر المتبني) وتوضح النتائج المترتبة على الإخلال بالشروط القانونية لتلك العلاقة. فمن خلال قوانين حمورابي، يبدو واضحاً أن الابن المتبني كان يعامل كالابن الحقيقي، وله حق في تركة والده

^١ - الطائي ، منذر علي قاسم محمد ، الأسعار والأجور في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٤ م ، ص ٥٣ .

^٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٦١ .

^٣ - Wells , B . , Law and practice , A companion to the Ancient near east , edited by Daniel , Snell, Blackwell , Oxford , 2005. P 191.

المتبني، جاء ذلك في المادة ١٩٠. وإذا قرر الأب التخلي عن الابن المتبني فإنه لن يذهب خالي اليدين كما جاء في المادة ١٩١. وجاء في بعض عقود التبني الاشتراط على الابن المتبني إعالة أبيه (الشخص المتبني له) طيلة فترة حياته ^(١).

وعقود التبني تعكس مدى التطبيق القانوني لتلك المواد. ذكرنا سابقاً أن سبب التبني إما قيام زوجين حُرماً من الأولاد به، أو يقوم به رجل عجوز أو امرأة مسنة من أجل الإعالة، أو يقوم به الحرفي ليعلم الطفل مهنته لمساعدته خلال شيخوخته وعجزه، بالإضافة إلى الغاية الدينية للاهتمام بجنازته بعد وفاته، وقد جاءت صيغة العقد القانونية التي لا يحق لأي من طرفي العقد الإخلال ببندوها، ومن يفعل تقع عليه المسؤولية والعقوبة المحددة في العقد. وعقود التبني شبيهة كثيراً بعقود البيع، ولكنهم استخدموا عبارة لطيفة هي التبني حفاظاً على المشاعر الإنسانية، ولكنها في الواقع كأى صفقة تجارية للممتلكات المنقولة. حيث يذكر في العقد أولاً اسم المتبني ثم اسم المتبني، وبعدها السعر أو الممتلكات التي سيحصل عليها المتبني في المستقبل، ثم الشرط الجزائي الذي يكون عكسياً في حال نكران أي من الطرفين الآخر، ففي حال نكران الابن والديه المتبنين أو أحدهما يكون مصيره هو العبودية، جاء في المادة الأولى من قوانين العائلة السومرية أنا إيتيشو ^(٢) إذا تلفظ الابن بكلمات غير مهذبة كأن يقول : لوالده أنت لست أبي و لأمه أنت لست أمي فإنهما يحلقانه ويبيعهانه بالفضة كعبد، وإذا أنكر الوالدان الابن يخسران جميع ممتلكاتهما له أو يعوضانه مبلغاً من المال أو من الممتلكات، وأخيراً القسم باسم الآلهة والملك ثم أسماء الشهود والتاريخ ^(٣).

ولدينا العديد من النصوص التي توضح هذه الحالة في هذا العصر. ومنها هذا النص، يقول: (اليوم Aliwum وسين - رميني Sin - Remeni أبناء أسيروم Asirum وأختاوي Ahatua ، اليوم الأكبر وسين - رميني الأصغر. إذا قالوا اليوم وسين - رميني لأبيهم أسيروم وأهم أختاوي: أنت لست أبينا - أنت لست أمنا فإنهم سوف يحلقونهم ويبيعونهم) ^(٤).

^١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

^٢ - أنا إيتيشو : هي عبارة عن نسخ مدرسية لمواد قانونية ، يعتقد انها تعود الى القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد، تتألف من سبعة الواح مع ملحقاتها ، عثر عليها في مكتبة آشور بانيبال في نينوى وآشور ، وقد دونت باللغتين السومرية والأكادية. انظر : مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين، ص ١٠٩ .

^٣ - الجبوري ، أحمد مجيد حميد ، التبني في العصر البابلي القديم ، (دراسة موجزة في ضوء النصوص المسمارية) ، مجلة سومر، مج ٥٣ - ج ١ - ٢ ، مديرية الآثار العامة - وزارة الإعلام - بغداد ، ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ م . ص ١٤٧ .

^٤ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .

في هذا العقد نجد تطبيق للمادة السابقة من قانون أنا إيتشو. وحلاقة الشعر هنا نوع من إلحاق الإهانة بالأولاد العاقين وليست من علامات العبودية، التي سنتحدث عنها بشكل مفصل لاحقاً.

وفي عقد تبّين رقم No.17، من مملكة بابل الأولى، يؤرخ في عهد إيبيل - سين Abil - Sin ١٨٣٠ - ١٨١٣ ق.م، كاهنة شماش أعطت ابنها كطفل متبنى إلى زوجين، يقول النص: (طفل باسم شماش - توكولتي Shamash - Tukulti الابن لكاهنة شماش خوزالتوم Huzalatum، أمه خوزالتوم بنت سومو - بوت [.....] Sumu - But ؟، قد أعطت كطفل للتبني لـ ماتي - إيلو Mati - Ilu وإيريشتوم Erishtum، شماش - توكولتي سيكون ابن ماتي - إيلو وإيريشتوم. إذا قال شماش - توكولتي لوالده ماتي - إيلو (أنت لست أبي)، أو لأمه إيريشتوم: (أنت لست أمي)، عندئذ هم سيضعون عليه علامة؟ ويبيعونه بالمال. إذا، مع ذلك، ماتي - إيلو وإيريشتوم قالوا لابنهم شماش - توكولتي: (أنت لست أبنا؟) هم سيعطونه أيضاً دولو dullu؟ وسيعطى حريته. لا أحد يملك أي شيء (أي ادعاء) ضده. بروح؟ الآلهة شماش، آيا Aya^(١)، مردوك وبروح؟ الملك إيبيل - سين هم ابتهلوا (ضد أي واحد) الذي سيغير المحتوى في هذا اللوح. تتبع بأسماء أربعة شهود ذكور وعشرة إناث^(٢).

بعض كاهنات المعبد كان يسمح لهن بالزواج وإنجاب الأطفال (سنتحدث عنهن لاحقاً)، وهنا نجد أن كاهنة شماش قد أعطت هذا الطفل لعائلة لتتبناه، لأن هذه العائلة - كما يظهر - ليس عندها أولاد، وربما استلمت الكاهنة ثمنه ولكن لا يذكر هنا بشكل صريح في النص. ونلاحظ هنا إذا أنكر الوالدان الطفل سيعطونه دولو، ربما تعني مبلغاً من المال أو جزءاً من الممتلكات.

وفي النص التالي رقم YBT VIII 14، عقد تبّين يؤرخ في عهد الملك ريم - سين، يقول النص: (باسم إيميرتوم Immertum بنت أوبلاتوم Ublatum وشيب - سين Shep - Sin، من أوبلاتوم، أمها، وشيب - سين، والدها، لامسوم Lamassum، أخت إينيب - شاري Inib - Sharri قد تبنتها كطفلتها

^١ - آيا : هي إلهة أم في بلاد الرافدين ، عرفت منذ العصر السومري القديم ، وفي الاصل كانت إلهة الكواكب بحسب لقبها السومري Sud - aga = nur Samas نور مقدس ، لكنها أيضاً ارتبطت بالجنس و الخصوبة . كما حملت لقب آخر أكادي كالآتوم Kallatum (العروس) كزوجة للإله شماش ، وقد كانت تقدر في مدينة سيبار بشكل عظيم . انظر :

Leick , G . , A dictionary of Ancient near eastern mythology , London , Francis e - Library , 2003 . p 16.

^٢ - Ranke , H . , Babylonian , legal and business documents from the time of the first dynasty of Babylon , chiefly from Sippar , The Babylonian expedition of the university of Pennsylvania , series A : cuneiform texts , vol. 6 , part 1, Philadelphia , 1906, pp 27 - 28.

وعينتها كوريثة. إذا قالت إيميرتوم لـ لاسوم، بنت إينيب - شاري، أنت لست أُمي، هي ستبيعها بالمال. وإذا لاسوم، بنت إينيب - شاري لـ إيميرتوم ابنتها، أنت لست ابنتي قالت، هي ستعزم كل ما تملك ^(١).

وهنا نجد العقوبة عادلة إلى حد ما. ومما لا شك فيه أن مثل هذه الشروط تعكس الدافع الاقتصادي لهذه العلاقة. فعلاقة التبني بغض النظر عن الاختلاف في أسلوب التعبير القانوني والعرف المحلي، كانت تقوم على المصلحة المشتركة من قبل المتعاقدين .

وفي عقد تبني آخر من عهد ريم - سين أيضاً، نجد أن المرأة شالورتوم **Shalurtum** قد تبنت أويرتوم **Awirtum** لتصبح كابنتها، وقد دفعت ثمن التبني إلى والدها، وقد أوردوا شرطاً جزائياً وهو أنه إذا أنكرت والدتها المتبنية ستباع كأمة، يقول النص: (شالورتوم، زوجة اينيم - نانار **Inim - Nannar**، قد تبنت كابنتها أويرتوم، بنت خوباتوم **Hupatum**، والدها، وروباتوم **Rubatum**، أمها . شالورتوم قد دفعت إلى خاباتوم واحد وثلاث شيقل من الفضة كثمن لتبنيها. أويرتوم ستصبح عاهرة مقدسة (**kar . kid**) وبعد ذلك هي ستدع شالورتوم، أمها تأكل راتبها الكهني. إذا أويرتوم قالت لشالورتوم، أمها: أنت لست أُمي، هي ستباع بالمال (كأمة)، لكن إذا قالت شالورتوم لأويرتوم، ابنتها: أنت لست ابنتي، هي ستدفع عشرة شيقل من الفضة وسوف تخسر المال لمتبنيها. باسم الملك هي أقسمت. تبعت بقائمة من الشهود، وكذلك التاريخ، اليوم السادس من شهر أيلول السنة العاشرة لحكم ريم - سين) ^(٢) .

يبدو أن الغرض من هذا التبني لمصلحة شالورتوم الشخصية كصفقة رابحة، وقد دفعت ثمنها لوالدها نحو ١١ غراماً من الفضة، وستجعل هذه الفتاة المتبناه تعمل كعاهرة مقدسة في المعبد: لم يكن من الشائن أو المعيب أخلاقياً أن تكرر فتاة نفسها (عاهرة للمعبد)، فهذا العمل كان يعود بالنفع والفائدة للمعابد، فقد كان يتوجب عليهن ممارسة الجنس مع الرجال الذين يدفعون في سبيل ذلك الجزية للمعبد، وفي بعض الأحيان كانوا يدفعون لهن قطعاً نقدية، وهذا العهر المقدس كان يقابل بالتبجيل والاحترام من العامة، فقد كن في نظرهم محترفات مفيدات لا غنى عنهن ^(٣) . ويبدو أن المعبد قد خصص لتلك الفتيات راتباً شهرياً، ولهذا نجد أن شالورتوم تفرض على أويرتوم ابنتها المتبناة أن تعطيها راتبها الذي تأخذه من هذه الوظيفة .

¹ - Mendelsohn , I . , op . cit , p 20 .

² - Liverani , M . , the ancient near east , history , society and economy , London and New York , 2014.p 198 .

^٣ - فريشاور ، بول ، الجنس في العالم القديم ، الحضارات الشرقية ، ترجمة فائق دحدوح ، ط٤ ، دار علاء الدين ، دمشق ، ٢٠٠٩ م . ص ٦٠ - ٧١ .

وفي عقد تبّين، يؤرخ في عهد الملك إيبال - بيل الثاني ١٧٦٠ ق.م ملك أشنونا بالاستناد إلى الصيغة التاريخية: (طفلة صغيرة رضيعة. من السيدة نرام - نوم Naram - Tum وزوجها كوسكي Kusiki، وابنها بوزوزوم Buzuzum، نرام - تيا، بنت السيد كوبوم Kubum استلمت. السيدة نرام - تيا إلى ابنتها إيصورتوم Isurtum. لست ابنتي تقول. عن البيت (أو) الحقل. تتنازل. إيصورتوم، إلى نرام - تيا أمها. لست أمي تقول. يحلقونها. مقابل الفضة يعطوها. المدعي (الذي) يدعي. اثنان من فضة إلى الرجل، سيزن. ولسانه يكوى. أمام الشاهد إنبوشا Inbusa بن لبث - إيبلي Libit - Ipi الطبيب. ونناما - أنسوم Nannama - Ansum الكاتب. السنة الثانية لإدخال السلاح الذهبي في معبد الإله أدد^(١). طبعة ختم إنبوشا بن لبث - إيل، عبد إيبال - بيل^(٢)).

هذا عقد تبّين لطفلة صغيرة رضيعة، تدعى إيصورتوم، استلمتها (المتبينة) السيدة نرام - تيا بنت كوبوم من ذويها (أمها وأبيها وأخيها)، وقد تضمن العقد جملة شروط جزائية على من يخالف ما جاء فيه، وقد أضيف شرط جزائي قاسٍ ولم نجده في العقود السابقة من بابل و لارسا على مخالفة العقد، وهي غرامة مالية نحو اثنان مينا من الفضة (ما يعادل ١٠٠٠ غرام، وتساوي نحو ١٢٥ شيقلاً) وهو مبلغ باهظ جداً، بالإضافة إلى ذلك يكوى لسانه بالنار. واختتم العقد كالعادة بأسماء الشهود، ونلاحظ هنا أن الشاهدين على هذا العقد من ذوي المكانة الرفيعة في المجتمع البابلي آنذاك وهما الطبيب والكاتب. ومن ثم تاريخ العقد. وأخيراً ختم إنبوشا بن لبث - إيل الذي ناب عن سيده الملك إيبال - بيل في المصادقة على العقد.

وفي عقد تبّين آخر، يؤرخ في عهد سمسو - إيلونا، قام فيه زوجان بتبني أخوين وجعلاهما الورثة الشرعيين لجميع ممتلكاتهما، يقول النص: (إيلي - إيدينام Ili - Idinnam، الأخ الأكبر، وإيليوماتي Iliummati، أخوه، إيا - إيدينام بن إيكو - عشتار Ibku - Ishtar مع كوريتوم Kuritum زوجته، قد تبني كأطفالهم، ميراثهما قد جعلوه لهما. منزل، حقل وجميع ممتلكاتهما هما سيقسمونها إلى أقسام متساوية بعد أن يستلم الأخ الأكبر حصة مميزة. في المستقبل إذا إيلي - إيدينام الأخ الأكبر، وإيليوماتي، أخوه، قال (أمامهم) لـ إيا - إيدينام، والدهما، و لكوريتوم، أمهما: ((أنت لست أبي))، ((أنت لست أمي))، هما سيخسران المنزل، الحقل وجميع الممتلكات وسيباعان بالمال. لكن أيضاً إذا إيا - إيدينام أو كوريتوم، زوجته، قال (أمامهم) لـ إيلي - إيدينام، طفلهما، ولـ إيليوماتي، أخوه: ((أنتم لستم

^١ - أدد : إله العواصف و الأمطار في حضارة المشرق العربي القديمة ، و عرف الاسم في اللغة الأوجاريتية و الآرامية بصيغتي حدد وأدد و في السومرية إشكور . انظر : حنون ، نصوص مسمارية ، ص ٣٦٠.

^٢ - الجبوري ، أحمد مجيد حميد ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

أطفالنا)، هما سيخسران المنزل، الحقل وجميع الممتلكات، وبالإضافة إلى ذلك، سيدفعان واحد منا من الفضة. في اتفاق مشترك هم أقسموا باسم الملك^(١).

هذا النص لا يختلف عن نصوص التبني التي مرت معنا. فمن خلال هذه النصوص التبني يبدو أن معظم الأشخاص الذين يقدمون على تبني أطفال ليكونوا أولاداً لهم، لم يكونوا يملكون أولاداً حقيقيين، وربما كان السبب أن الزوجة عاقر أو مصابة بمرض يمنعها من الإنجاب، ولا يريد الزوج التفريط بزوجته، وتزوج من امرأة أخرى، فيلجأ إلى تبني أطفال من عائلات أخرى، ويعتبرونهم كأولادهم الحقيقيين، وفي أغلب الأحيان كانوا يعينونهم كورثة شرعيين لجميع ممتلكاتهم، ويكتبون وثيقة بذلك، حتى لا يدعي على ملكيتهم أحد بعد وفاتهم. ولكنهم في الوقت نفسه، كانوا يخشون من تمرد الأطفال ونكرانهم أبويهم غير الحقيقيين بعد أن يكبروا، وربما يصل الأمر بهم إلى ضربهم وإهانتهم، وهذا دفع بهم إلى وضع شرط جزائي وهو أنهم في حال نكرانهم والديهم، يخسرون جميع الممتلكات التي أعطيت لهم، بالإضافة إلى بيعهم كعبيد، وبالمقابل كان والد الطفل المتبنى يريد أن يضمن حق ابنه الذي هو من صلبه في حال أنكره الوالدان المتبنيان، فيضع شرطاً وهو أنهما يغرمان جميع ممتلكاتهما لصالح الابن المتبنى، بالإضافة إلى دفع مبلغ من المال.

ب- الزوجة التي لا تحترم الروابط الزوجية: أكدت قوانين حمورابي على وجوب محافظة الزوجة على سمعة زوجها ومكانته الاجتماعية. فقد جاء في المادة ١٤١ أنه على الزوج مراقبة زوجته في سلوكها، فإن كانت تخرج من بيته وتعمل على ما يلحق الضرر بسمعته، فعليه أن يبرز أدلة على ذلك، وعندها يحق له معاقبتها، إما بطلاقها دون إعطائها مهرها، وإما بإبقائها في بيته كأمة ويحق له الزواج من امرأة ثانية. تقول المادة: (إذا أرادت زوجة رجل التي تسكن في بيت رجل أن تخرج (من بيت زوجها) واقتنت ممتلكات خاصة (أي أنها استغلت بيت زوجها لصالحها) وبعثرت بيتها وأهملت زوجها، فعلى المرء أن يثبت ذلك عليها، فإذا قال زوجها: إنه يريد أن يطلقها، فإنه يستطيع أن يطلقها، ولا تُعطى شيئاً من مصروف طريقها (أو) نقود طلاقها، وإذا قال زوجها: لا أريد طلاقها، فإن زوجها يستطيع أن يتزوج امرأة ثانية، وتلك المرأة (الأولى) تسكن في بيت زوجها كأمة)^(٢).

¹ - Poebel, A., Babylonian, Legal and business, documents from the time of the first dynasty of Babylon, chiefly from Nippur, Series A, Vol. 6, Part 2, the University of Pennsylvania, Philadelphia, 1909, pp 28 - 29.

^٢ - مرعي، قوانين بلاد ما بين النهرين، ص ٧٤.

من نص هذه المادة يتبين أن المرأة التي لا تصون بيتها وزوجها وتقل من قدر زوجها، فللزوج الحق في اتخاذ العقوبة التي ينص عليها القانون إما بتطليقها دون أن يدفع لها مهرها، أو أن يتخذ له زوجة أخرى وتكون الزوجة الأولى كأمة في بيته .

نصوص عقود الزواج في هذا العصر تضمنت عدة نقاط أساسية، يذكر أولاً جهاز العروس المقدم من والدها، يليه اسم والدها ثم اسم العروس، ثم اسم والد العريس يليه اسم العريس، ثم المهر النقدي المقدم كهدية زفاف من والد العروس إلى والد العريس، بعد ذلك يأتي الشرط الجزائي ففي حال إنكار الزوجة لزوجها في المستقبل سيبيعها كأمة ويكون مصيرها العبودية، أما إذا أنكر الزوج زوجته فسيُدفع غرامة مالية متفقاً عليها في نص العقد، وأخيراً القسم بأسماء الآلهة العظيمة في المدينة وباسم الملك الذي دُونَ في عهده العقد .

جاء في عقد زواج من عهد سمسو - إيلونا: (إذا قال فلان لزوجته فلانة أنت لست زوجتي ، فسوف يدفع ١١٢ مينا من الفضة. وإذا قالت فلانة لزوجها فلان أنت لست زوجي فسوف توضع عليها علامة العبودية وتباع). وفي عقد آخر من عهد عمي - صدوقي يشترط على الزوج دفع ٢١٣ مينا من الفضة في حالة نكرانه زوجته وتطبق الإجراءات السابقة نفسها بحق الزوجة في حالة نكرانها زوجها ^(١).

وفي عقد زواج عروس يؤرخ في عهد الملك عمي - صدوقا، ذكر في هذا العقد جهازاً للعروس مقدماً من قبل والدها، وتضمن لباساً وأثاثاً وزيتاً وصابون غار، وقد حملت العروس ذلك معها من والدها إلى بيت زوجها، وقد تضمن النص شرطاً جزائياً، وهو إذا أنكرت الزوجة زوجها فسيبيعها كأمة، وإذا أنكر الزوج زوجته تكون عقوبته مالية، يقول النص: (ثوبان، اللذان تلبسهما، رباطتا رأس، التي هي تلبس، سرير واحد، ثلاثة كراسي، إناء واحد مملوء بأربعة (qa قا) ^(٢) مقدار من الزيت، واحد سلة مملوءة غار: كل هذه الأشياء كانت التي أتانا - إيلي Atanah - Ili، والدها ابن صيلي - شماش Sili - Shamash قد أعطاها لـ صيمورتيلوك Simurtiluk، ابنته المحبوبة. بعد ذلك أحضرها لتدخل إلى منزل زيمير - شماش Zimer - Shamash، لتتزوج من واراد - أولماششيتوم Warad - Ulmashshitum ابنه. خمسة شيقل من الفضة، هدية خطبتها، أتانا - إيلي، والدها أعطى إلى يدي زيمير - شماش، وقلبه راضٍ. إذا قالت صيمورتيلوك لواراد - أولماششيتوم زوجها: (أنت صنعة لست زوجي) هو سيبيعها

^١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

^٢ - قا : تشير إلى قيمة مختلفة ، تحدد بالعبرية qab و تجعله يساوي اثنان لتر تقريباً . لكن في الأزمنة البابلية ساد نظام مختلف . حيث كان ١ قا = ٦٦ ، ١ لتر . انظر : Sayce , A . H . , op . cit , p226.

بالمال(كأمة). إذا قال واراد- أولماشيتوم لصيمورتيلوك زوجته:(أنت صنعة لست زوجتي) سيدفع لها ثلثين مينا من الفضة.هم أقسموا ب شماش،مربوك وعمي- صدوقا الملك^(١).

هناك بعض النقاط المهمة في هذا النص سنشير إليها،فمن خلال السطر الأول يوضح لنا نوعاً من الزينة التي كانت ترتديها النساء في ذلك العصر، وهو رباطات من القماش كانت النساء يضعنها على رؤوسهن،والى فترة قريبة كانت النساء في منطقة العراق يضعن مثل هذه الأربطة على رؤوسهن كنوع من الزينة. والأثاث (السرير والكراسي) كان مصنوعاً من الخشب ووعاء يحتوي على أربعة لترات من الزيت، وسلّة مملوءة بصابون الغار،هذه مواد استهلاكية ويبدو أنها كانت ذات قيمة مادية ومعنوية للعروس.بعد أن جهز والد العروس ابنته بما تحتاجه من زينة ومواد استهلاكية،أخذها بنفسه إلى بيت والد العريس لا إلى بيت العريس. فالشباب في منطقة بلاد الرافدين كانوا يتزوجون في بيوت آبائهم ويعيشون معهم فترة طويلة إلى أن يستطيعوا بناء منزل لهم ينتقلون إليه، وهذه العادة لازالت متبعة إلى اليوم في العراق. والأمر الثالث هدية الخطوبة التي تبلغ نحو ٤٠ غراماً من الفضة، نلاحظ أنها تسلم من والد العروس إلى والد العريس، بينما في الواقع يجب أن يعطيها لابنته. في حين لا نجد أن الزوج قد قدم مهراً للعروس. ومن خلال الشرط الجزائي يبدو أن نكران الزوجة زوجها يعدّ جريمة يعاقب عليها القانون أشد العقوبات، أما إذا أنكر الزوج زوجته فعقوبته مادية يدفعها لزوجته، وهنا كانت نحو ثلثي مينا من الفضة(أي ما يعادل نحو ٣٣٢ غراماً من الفضة والتي تساوي نحو ٤٠ شيقلاً). وهو مبلغ كبير فهو يعادل مهر عروسين .

ج - ارتكاب جرائم معينة:بعض الاعتداءات على أملاك الآخرين وحقوقهم،بالإضافة إلى الإخلال بشروط العمل المتفق عليها،عدّها القانون جريمة وعاقب مرتكبيها بفرض العبودية عليهم.فقد جاء في قانون حمورابي في المادتين ٥٣ - ٥٤،إيقاع عقوبة البيع بحق الشخص الذي يتسبب بإغراق الحقول المجاورة لحقله.إذ نصت المادة ٥٣ على أنه:(إذا تقاعس رجل في تقوية سد حقله ولم يقو سده، وحدثت كسرة سده،فترك الماء يخرب الأرض المزروعة) المجاورة)،فعلى الرجل الذي حدثت الكسرة في سده أن يعوض الحبوب التي سبب تلفها). وتبعتها المادة ٥٤:(فإن كان غير قادر على تعويض الحبوب،فعليهم أن يبيعوه وممتلكاته،وعلى المستأجرين(الفلاحين)الذين أتلّف حبوبهم أن يقتسموا (الثمن))^(٢).

طريقة الري التي كانت ولا تزال متبعة إلى اليوم في منطقة العراق،هي الساقية التي تجري فيها المياه بطريقة الناعور أو الشادوف التي ذكرناها سابقاً،فتتم سقاية الزرع بحصر المياه ضمن مربعات كبيرة

¹ - Chiera , E .,op . cit , p 128 .

^٢ - رشيد ، المرجع السابق ، ص١٢٨ .

٤×٤، وكانت الأراضي متجاوزة وكل شخص يعرف أرضه من خلال حدود متعارف عليها عندهم، وعندما يمتلئ المربع بالمياه يجب إغلاقه بسدة من التراب، وفي حال أهمل المزارع سد المياه ستؤدي إلى إتلاف محاصيل جيرانه، وبما أن القمح والشعير هما المحصولان اللذان كانا أكثر انتشاراً في المنطقة بسبب توفر الظروف المناخية الملائمة لزراعتهما إلى اليوم ذكرت المادتان الحبوب. فإذا لم يكن هذا المزارع قادراً على تعويض المتضررين وقع في العبودية هو وأملاكه فيقتسمها المتضررون على قدر الضرر الذي لحق بكل منهم. لقد فرض المشرع عقوبة العبودية بحق الشخص المهم نتيجة إتلاف محاصيل جيرانه، ولكننا لا نتوقع أنها عبودية دائمة، ولعلها كانت مؤقتة، وسيعمل في إعادة زراعة أراضي جيرانه في الموسم القادم بجهده الخاص، ولعله كان يعدُّ هو وأملاكه رهينة، وقد تنتهي عبوديته بعد تسليم المحاصيل لأصحابها .

وهناك حالات أخرى تؤدي بمرتكبيها إلى العبودية لم يرد ذكرها في القوانين البابلية القديمة، لكنها أدرجت كشرط جزائي في بعض عقود التأجير أو بيع العبيد، حيث يرد اسم الأجير أولاً ثم اسم المؤجر، تليها مدة التأجير، ثم قيمة الأجرة التي يذكر معها إكساء الأجير وإطعامه، وأخيراً القسم بالإله على عدم ترك العمل و شرط جزائي في حال ترك العمل وهو بيع الأجير كعبد، كما جاء في النص التالي رقم No.88 من عصر حمورابي، يقول النص: (A وابنه سيقومان بعمل لـ B . سنويا B سيعطيهم واحد كور^(١) من الشعير، واحد ثوب، وقميص. A و ابنه أقسما بالإله نينورتا^(٢) بأنهما إذا تركا العمل، B سيبيعهم)^(٣).

نجد أن العبودية تترصد من يترك العمل وفق العقد المنصوص عليه، وهذا النص عبارة عن عقد عمل بين رجل وابنه مع شخص آخر لإنجاز أعمال له، ومدة العقد سنوية، حيث توجب على الرجل المستأجر أن يتكفل بطعامهم وشرابهم وإكسائهم. ومن خلال القسم بالإله نينورتا نرجح أن يكون هذا العقد من مدينة نيبور مركز عبادته الرئيس، وفي حال تركهما العمل قبل انتهاء المدة المحددة في العقد يكون مصيرهما العبودية .

^١ - الكور : هذا المكيال يعادل في العصر البابلي القديم حوالي 300 لتر . انظر : حنون ، نصوص مسمارية ، ص ٣٨٩ .

^٢ - نينورتا : نينورتا بالسومرية سيد الأرض ، ابن الإله إنليل و الإلهة نينليل ، في الأصل كان إلهاً للخصوبة عند السومريين ، إلا أنه أصبح فيما بعد إلهاً للحرب وعليه حماية سكان بلاد الرافدين من هجمات الشعوب الجبلية القاطنة شرق بلاد الرافدين ، كان مركز عبادته الرئيس معبد إي شوميشا E . Sumesa في نيبور . انظر : مرعي ، عبادة آلهة الخصوبة، ص ٧١-٧٣ .

^٣ - Westbrook , R . , op . cit , p 1647 .

٥- العبيد عن طريق التجارة :

يبدو أن أسرى الحرب والمصادر الداخلية لم يعودا كافيين لسد حاجة بابل من العبيد. وهذه الضرورة دعت التجار إلى استجلاب العبيد من البلدان المجاورة على نطاق واسع في هذا العصر. كما يبدو أيضاً أن التجارة في هذا المجال قد رجحت كفتها على مصادر العبيد الأخرى^(١).

كانت المناطق الجبلية شرق و شمال بلاد الرافدين من مصادر العبيد الرئيسية، حتى إن الرافديين استخدموا العلامة الدالة على جبل مع علامة أخرى للدلالة على عبد في كتاباتهم كما أسلفنا. ومما شجع على ازدهار التجارة الخارجية بين بلاد الرافدين وإيران توفر طرق المواصلات البرية فلأن منطقة عيلام سهلية ومفتوحة، غدت منفذاً رئيساً إلى إيران عامة وإلى الأقسام الجنوبية والجنوبية الشرقية خاصة^(٢). كان التجار الرافديون يعودون إلى بلادهم بقوافل محملة ببضائع شتى إلى جانب أعداد من العبيد. ففي إحدى قوافل مدينة دير^(٣) التي كانت تحمل العديد من البضائع نجد منها العبيد أيضاً، كما جاء في النص التالي: ([.....] مينا فضة، استلم نينورتا - موبادا Ninurta - Mupada، قافلة دير Der، خرج من هذا ٥١٦ مينا و٤ شيقل فضة استلم زاليم Zalim، ليشتري قطعاً صغيرة، ١ نالباشوم ثوب، [.....] ١ شيقل، ٢ رأس من العبيد، قيمتهم ٢١٣ ١ شيقل، ٢ قا زيت إضافي، قيمتهم ٢١٣ شيقل، ٢ قا زيت خشب أرز، قيمتهم ٢١٣ شيقل، ٥ رأس ثور حراثة، قيمتهم ٢١٣ ٣ شيقل، قافلة دير، ١٠ مينا و ٢١٣ شيقل، استلم إيكون - بي - أد Adad - pi - Ikun، وإيلي - إيدينام - Ili Idinnam، سلم إيتي - سين - ميلكي Itti - Sin - Milki)^(٤).

هذه القافلة كان برفقتها العديد من التجار، بقيادة التاجر الكبير إيتي - سين - ميلكي. كل منهم كان له بضاعته الخاصة، وكانت القافلة تحمل العديد من المواد وتحمل أيضاً عبيدين قيمتهما نحو ١٥ غراماً من

¹ - Mendelsohn , I . , op . cit , p 3.

^٢ - الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .

^٣ - مدينة دير : مدينة مشهورة تقع شمالي نهر البليخ بالقرب من مدينة أور كيش (تل موزان اليوم) في منطقة القامشلي على الحدود السورية - التركية ، حيث كانت هذه المنطقة ومدنها مسرحاً وسكناً للبدو من بني سمال . انظر : عبد الله ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

⁴ - Conlin , R . M . , The scents of Larsa : A study of the aromatics industry in old Babylonian kingdom , cuneiform digital library journal 1, ISSN , 2014. Pp 29 - 39 .

الفضة، وما نلاحظه هنا أنه ذكر رأسين من العبيد وخمسة رؤوس من الثيران، وفي هذا دليل على أن العبيد كانوا يعدّون كالماشية في المعاملات التجارية، حتى إن قيمة العبيدين تقارب قيمة الثيران الخمسة .

لم يكن هناك تجار خاصون بالعبيد فقط في الشرق القديم، فالتجار الذين كانوا يتعاملون بالبضائع المختلفة، تعاملوا بالعبيد أيضاً، وسبب ذلك أنه لم يكن الطلب على العبيد كافياً ليخصص له حقل في النشاطات التجارية، فقد وجدنا التاجر الذي تعامل في تجارة الحبوب والماشية وغيرها من الممتلكات المنقولة وغير المنقولة يتعامل بالعبيد أيضاً. وخير مثال على ذلك التاجر والمرابي المشهور بعل - موناخه في مدينة لارسا السابق الذكر، الذي كانت نشاطاته التجارية في جميع أنواع الممتلكات والبضائع، ومنها أيضاً بيع و شراء وتأجير العبيد^(١).

ونتيجة لتطور الحركة التجارية و اتساع مجال الأعمال. كان التاجر يفضل في بعض الأحيان البقاء في المدن الرئيسية. والاتفاق مع تاجر متجول أو استخدام وكيل له، للقيام بمهمة استجلاب البضائع التي يريدها، وكان الوكيل شاملاً يُزوّد بالتعليمات والأموال من فضة أو شعير أو أصواف أو زيوت، ويبقى عليه التصرف بالبضاعة أو المال خارج البلاد. بالطريقة التي تكفل الربح. وبخصوص استجلاب العبيد، كان الزبون أو التاجر المحلي يتعاقد مع التاجر الجوال أو الوكيل مبيناً الصفات التي يريدها في العبد^(٢). وهذه رسالة من أحد التجار لوكيله توضح ذلك: (طالما الغلام لا يبدو بصحة جيدة، لا تفكر في شرائه. أيضاً الأمة [.....] طالما هي لا تبدو بصحة جيدة وصغيرة، لا تفكر في شرائها [.....] نحن اشترينا أمتين بثلاثة مينا وثلاثة وعشرين شيقل. بما أنهما نحيفتان، لا أحد اشتريهما. أنا قد جهزتهم. الآن، يظهران في حالة صحية جيدة، وسأبيعهن. لا تهتم بانخفاض الثمن ولا تشتري أي عبد لا ينعم بصحة جيدة. طالما العبد أو الأمة لا يبدو بصحة جيدة لا تفكر في شرائهما)^(٣). هذه الرسالة نصيحة وتوجيه من التاجر لوكيله، يطلب منه شراء عبيد وإماء صحتهم جيدة، وأن لا يشتري من ليسوا كذلك حتى وإن كان ثمنهم قليلاً، كما يذكره بالأميتين اللتين كانا قد اشترياهما من قبل بمبلغ يساوي نحو ١٦٨٤ غراماً من الفضة، ولأنهما كانتا نحيفتين ولا تتمتعان بصحة جيدة لم يشتريهما أحد منهما، ويبدو أنه قد عانى كثيراً من هذا الأمر مما دفعه إلى الاهتمام بهما ليصبحا بصحة جيدة حتى يتمكن من بيعيهما. فهو تاجر ومصدر رزقه من بيع العبيد والإماء وإذا ما كسد عنده عبد أو أمة فإن ذلك يؤدي إلى خسارته .

¹ – Mendelsohn , I . , op . cit , p 4.

^٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٤٨.

³ – Snell , D . , op . cit , p 10 .

ونجد في رسالة أخرى تاجراً يطلب من وكيله أن يشتري له أمة، وقد حدد له صفاتها وهي أن تكون ولادة منزل ونساجة. هناك العديد من الإشارات في هذا العصر إلى نساكات و قصاري أقمشة من العبيد. النساكات كن جميعاً من النساء والقصارون كانوا من الرجال^(١). وفي مدينة سيبار الكاتب ومشرف القصر أوتول – عشتار Utul – Istar، كلف رجلاً أن يشتري له عبيدين من البلد بين النهرين (birit narim). وعندما أصبح في منصب أبي صابي abi sabi^(٢)، أعطى تاجراً زيت سمسم مقابل ٢١٣ ٢٠ شيقلاً من الفضة لشراء عبيد سليمين صحيحين من غوتيوم Gutium^(٣). وتاجر آخر أعطى واحد مينا من الفضة لشراء أمة سليمة البنية ليحضرها معه عند عودته من رحلته التجارية^(٤).

لقد لعبت تجارة العبيد دوراً مهماً في هذا العصر، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال دخولها في قوانين حمورابي، كقضية لها انعكاسات اجتماعية واقتصادية مهمة. في الأتجار بالعبيد من جهة، وإلى إصدار قانون يمنع تصدير العبيد من أصل محلي إلى الخارج. وقد تطور وضع التاجر في عهد حمورابي حيث نجده في المادتين ٢٨٠ – ٢٨١ مستورداً للعبيد من خارج البلاد، وفي المادة ٣٢ نجده يفتدي جنود بلاده الواقعين في الأسر^(٥).

ونجد المادة ٢٧٨ تحمي التاجر أو المشتري من عيوب خفية في العبد، لا يمكن ملاحظتها أثناء عملية الشراء كأن يكون مصاباً بمرض البينو (الصرع)، وحددت لها مدة شهر، وتبعته المادة ٢٧٩ في حال ظهور طرف ثالث يطالب بملكية العبد ولم يحدد لها فترة معينة^(٦). كان المشتري يفحص العبد أو الأمة،

¹ - Mendelsohn, I., op. cit., p 113.

^٢ - الأبى صابي : منصب مهم في الجيش البابلي ، مهمته تجنيد و تطويع الشباب في الجيش كجنود ريوم و بانثيرون . انظر : Harris, R., Ancient Sippar, A demographic study of an old – Babylonian city (1894 – 1595 B . C) , Nederlands historisch – archaeologisch instituut te Istanbul , 1975. p 103.

^٣ - غوتيوم : ليس واضحاً فيما إذا كانت في ذاك الزمن غوتيوم لا تزال تستخدم كاسم دولة معينة في زاغروس ، لكن يبدو أن المصطلح كان شائع الاستخدام في مجال واسع كدلالة على ساكني الجبال أو ما شابه ذلك ، فقد استخدم لأناس خدموا كمرتزقة ، وخصوصاً كحراس مرافقين في جميع أنحاء الشرق القديم ، وخاصة في العصر البابلي القديم ، وربما في هذه الحالة اكتساب الرجال ببنية أجسام مناسبة ليخدم كحراس مرافق كانت مطلوبة . انظر : Koppen , F . V ., op . cit , p 15 .

⁴ - Harris, R., op. cit., p 265.

^٥ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٧٣.

^٦ - المرجع نفسه ، ص ٤٤.

ليتأكد من خلوهم من الأمراض والعاهات الجسمية الظاهرة، ثم يجري الاتفاق على السعر بين البائع والمشتري. وفي جميع العصور التاريخية عُدَّ تدوين عقد البيع وإتمام المعاملة بحضور الشهود مبدأً أساسياً لإقرار نقل الملكية من سيد إلى آخر. إذ يعتبر العقد بمثابة سند ملكية بيد المشتري^(١). وعقود بيع العبيد المجلوبين من بلاد أجنبية في العصر البابلي القديم تتألف من عدة فقرات أساسية: ١ - اسم العبد ٢ - اسم مدينة العبد ، ٣ - اسما المشتري والبائع، ٤ - السعر ، ٥ - فقرة بخصوص التحقق من صفات العبد الصحية والنفسية (ميله للهروب) ، ٦ - قسم البائع والمشتري بالملك أو بالآلهة أو بكليهما، ٧ - أسماء الشهود و التاريخ. أما نقاط الاختلاف فتتمثل أساساً بنوعية وعدد فقرات الضمان التي كان معظمها في مصلحة المشتري. النص التالي المؤرخ في عهد حمورابي يعكس مدى التطبيق القانوني، وهو يتحدث عن شراء أمة مجلوبة من مدينة قطارا، يقول النص: (أمة باسم [.....]، امرأة سوبارية مجلوبة من مدينة قطارا، من البائع، مالك الأمة، الشاري قد اشترى [.....]. لسعرها الكامل الشاري دفع [.....] فضة، وحدد [.....] فضة كتسديد للدفع (سي. بي. BI . SI). ثلاثة أيام (لأجل) الاستكشاف، شهر واحد لأجل داء الصرع، البائع سيكون مسئولاً للادعاء على أمته وفقاً للقانون الملكي) (الشهود و التاريخ) (طبعة ختم البائع)^(٢).

في هذا النص عملية شراء أمة أصلها من منطقة سوبارتو، وقد جلبت هذه الأمة من مدينة قطارا وبيعت في بابل. لكن مع الأسف اسم الأمة وسعرها مهشمان في النص. ونلاحظ ظهور فقرة جديدة في عملية بيع العبيد هي الـ سي بي، والتي تعني عملية دفع إضافي إلى المبلغ الأساسي .

نصوص بيع العبيد في عصر حمورابي أضيفت لها ثلاثة شروط جديدة تتناول سلوك العبد وصحته و شرعية عائدته للبائع، وهي أمور من الصعب على المشتري ملاحظتها أثناء عملية الشراء. والملاحظ أن لهذه الشروط الثلاثة مفعولاً رجعياً، حيث إن للمشتري الحق في الرجوع عن العملية وإلغائها في حال ظهرت أي منها. فالشرط الأول سمح للمشتري فترة، من يوم إلى ثلاثة أيام، للتحقق من أن العبد له ميول وأسبقيات للهروب. والثاني داء الصرع يستمر لمدة شهر، ضماناً للمشتري ضد احتمالية كون العبد يعاني من داء عضال. والثالث الادعاء، هذا الشرط ليس لبيع العبيد فقط، لكنه اختبار أيضاً لبيع الممتلكات الأخرى ، غير محددة الزمن، وهي ضمانات للمشتري ضد الادعاء الذي ربما يُحدثُ في المستقبل تنافساً أو صراعاً قانونياً على البيع. أما قوانين حمورابي فلا تذكر فقرة التحقق من سلوكيات العبد. لكنها تذكر

¹ - Koppen , F . V ., op . cit , p 10

^٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٧٣.

بطلان صفقة بيع العبد فقط في حالتي البينو (الصرع) والادعاء وفقاً للقانون الملكي. وربما أدرج هذا الشرط كاجتهاد من التجار حفاظاً على أملاكهم من العبيد^(١).

وتلك الأمة جلبت من منطقة سوبارتو، التي سبق أن حددنا موقعها بأنها كانت منطقة انتشار الحوريين في أعالي نهر دجلة باتجاه الشرق والغرب، أي كانت تمتد من حدود عيلام إلى جبال الأمانوس في شمال سورية. فقد شهدت المناطق الحورية المنتشرة في شمالي بلاد الرافدين كثافة سكانية عالية، وقد كان العبيد من أهم مواد التصدير إلى بابل، فهناك نص يرجع إلى عهد الملك سمسو - إيلونا، يذكر رحلة تجارية قام بها إلى منطقة بلاد سوبارتو، اشترى منها عبيداً. وفي نص آخر من الفترة نفسها نقرأ خبر شراء أمة من منطقة شمالي بلاد الرافدين تدعى بالأكدية مات بريتي (mat biriti، أي البلاد المتوسطة - الداخلية)^(٢). لقد جلب البابليون عبيداً وإماءً من مدن سوبارية كثيرة، ويدعى هذا الإقليم بلاد سوبارتو (ma BIR ki . at SU - a -) والعبيد والإماء المجلوبون من تلك المدن ينعنون (SAG , IR , SU . BIR4 ki) و (SAG . GEME SU . BIR4 ki)^(٣). وفي منطقة شرقي دجلة كانت المدينتان أشخ و لُبدي ، الواقعتان على الحدود الجنوبية للمنطقة الحورية جنوبي أرابخا Arrapha^(٤)، تشكلان سوقاً لتجارة العبيد الحوريين، ولذلك ليس من المستغرب أن نجد في قلب بلاد بابل في خلال هذه الفترة أسماء حورية^(٥).

أما بالنسبة لأسماء العبيد السوباريين المجلوبين، فيرى المختصون أنها لا تعطي دلالة قومية محددة، وأن تفضيل البابليين للعبيد السوباريين، يعني تفضيلهم سكان منطقة جغرافية دون النظر إلى قوميتهم، وسبب ذلك أن البابليين كانوا غير مباشرين لتفصيلات عرقية محددة لشعوب المنطقة، أو أنهم كانوا جاهلين بها. والراجح أن إقبال البابليين على شراء العبيد السوباريين والغوتيين، يعود إلى ما كان يتميز به هؤلاء من بنية أجسادهم القوية التي كانت مناسبة لتأدية الأعمال المرهقة وكمرتزة وحراس مرافقين، بالإضافة إلى جمال بشرتهم خلافاً لسكان السهول الزراعية فكلا الصنفين كان يطلق عليه (بياض البشرة namru

^١ - المرجع نفسه ، ص ٤٦ .

^٢ - فيلهلم ، المرجع السابق ، ص ٤٣ .

^٣ - الرويخ ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

^٤ - أرابخا : مدينة تقع شرقي دجلة إلى الجنوب من نهر الزاب الأسفل ، تطابق كركوك حالياً في العراق ، انظر : Heimpele, w ., op . cit , p 607 .

^٥ - فيلهلم ، المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(^١) (Namruti) وهناك صنف آخر من العبيد المجلوبين إلى بابل، ينسبون إلى بلاد لولوبي Lullubi وأحياناً لولومي Lullumi (^٢)، ويعتبر العبد اللولوبي مرادفاً للصحة والقوة. إذ جاء في عقود شرائهم ما كان يطلق عليهم من تلك الصفات (عبيد أصحاب من اللولوبيين IR mess a KUR Nu-ul- lu-a -i- utum SIG -tum) وأمة قوية من نوعية جيدة لومية. وبالنسبة للإماء اللوميات فيظهر أن جمالهن وصحة أجسادهن كان عاملاً مغرياً في اتخاذهن زوجات ومحظيات (^٣). وهناك مدينة أخرى كان البابليون يجلبون منها العبيد، وهي مدينة أورسوم Ursum (^٤). ففي نص شراء أمة من هذه المدينة يؤرخ في عهد الملك عمي- ديتانا البابلي، يقول: (أمة واحدة، باسم إينا - إيلوماش - بانات - Ina - Eulmash - Banat ، من مدينة أورسوم Ursum ، داميق - مردوك Marduk - Damiq بن لبت - عشتار، اوسرايا Usriya ، بن واراا Waraza ، اشترى من داميق - مردوك ، بن لبت عشتار، مالکها. كسعر كامل هو وزن ١٠ شيقل فضة وهو أيضاً استلم ١٠ شيقل فضة كقيمة إضافية. ثلاثة أيام سمحت من أجل الاستكشاف وشهر واحد من أجل ملاحظة داء الصرع، الموافقة بأمر الملك. أسماء خمسة أشخاص والكاتب كشهود، كل منهم سبق بإشارة شاهد. الشهر كيسليم kislim (^٥)، اليوم الخامس،

^١ - الرويج ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

^٢ - اللولوبيون أو اللولوميون : كانوا يعيشون في المناطق المحيطة بالسليمانية شمالي العراق ، تعود أقدم الإشارات إليهم في الكتابات المسمارية إلى أواخر القرن ٢٨ ق.م . وقد ازداد شأنهم في عصر أور الثالثة ، واتسعت دلالة اسمهم في العصر البابلي القديم لتشمل كل المناطق الجبلية هناك وانتشروا خلال هذا العصر غرباً . وفي العصر الآشوري الوسيط ١٣٦٣ - ٩١٢ ق.م خضعت معظم مناطقهم للنفوذ الآشوري . وفي القرن الثامن قبل الميلاد طغت تسمية زاموا التي كانت تدل على مناطقهم الغربية على تسمية لولوبي . انظر : فيلهلم ، المرجع السابق ، ص ٣١ .

^٣ - الرويج ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

^٤ - أورسوم : يعتقد بعض الباحثين أن أورسوم (أورشو) تقع بالقرب من غازي عنتاب ، أو هي أورفة (الرّها) الحالية ، ويرى باولو ماتيه أنها ربما تكون تل طوقان الواقع على بعد نحو ٥١ كم إلى الشرق من إبلا ، حيث كشفت حفريات أجراها هناك عن مدينة كبيرة يبدو أنها كانت مزدهرة في عصر البرونز الوسيط ٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م . غير أن الباحث الألماني كارل هيكير يرى أن تل طوقان يرد في نصوص إبلا باسم هيكير Hecker . ومن الجدير بالذكر أن أورشو تُذكر مراراً في نصوص محفوظات ماري الملكية (قرن 18 ق.م) ، وتظهر من خلال نصوص المستوطنة الآشورية كاروم كانيش (كول تبي حالياً) في وسط الأناضول أنها كانت محطة مهمة على الطريق الواصلة ما بين مدينة آشور و مستوطنة كاروم كانيش ، حيث كان فيها مركز تجاري آشوري ومعبد للإله آشور . وبناء على ذلك يمكننا القول إنها كانت تقع في منطقة الفرات الأعلى في مكان ما شمال كركميش . انظر : مرعي ، تاريخ مملكة إبلا وآثارها ، ص ٤٧ .

^٥ - شهر كيسليمو : هو شهر وراخ كيسليمو ، شهر نيرجال إله الطاعون و العالم السفلي عند السومريين ، ويقابله في التقويم الغريغوري نوفمبر \ ديسمبر (تشرين الثاني \ كانون الأول) وعدد أيامه ثلاثون يوماً . انظر : مرعي ، عيد ، التقويم وحساب الزمن في حضارات الشرق القديم ، منشورات المديرية العامة للآثار و المتاحف ، مركز الباسل للبحث العلمي والتدريب الأثري ، دمشق ، ٢٠١٦ م ، ص ٣٣ .

سنة عمي - ديتانا، الملك، عندما صنع تمثاله بهيئة المتعبد وفي يده صولجان^(١).

في هذا النص، نجد فقرات العقد مكتملة. وقد حدد سعر الأمة بـ ١٠ شيقل (أي ما يعادل نحو ٨٠ غراماً من الفضة)، ولكن نجد البائع يستلم سعراً إضافياً ١٠ شيقل أخرى؟ وبذلك يصبح سعر الأمة الكامل ٢٠ شيقلاً، وهو السعر المتعارف عليه للعبد في ذاك العصر. كما نلاحظ وجود ضمانين فقط في هذا العقد، وهما التحقق من سلوكيات العبد وملاحظة داء الصرع، بينما يغيب الضمان الثالث وهو ظهور طرف ثالث بالادعاء على ملكية العبد؟ ومن بين الشهود الكاتب، فقد كان الكاتب بالإضافة إلى وظيفته كان يلعب دور الشاهد أيضاً.

أ- مشاكل تجارة العبيد : من المشاكل التي كان يعاني منها الزبائن المتعاملون مع تجار العبيد، تأخر التجار في تسليم العبيد لهم مما كان يثير تذمرهم. كما نسمع أحياناً عن تراجع تاجر عن التزاماته، كأن يطالب بزيادة سعر العبد. فيفهم من رسالة من هذا العصر موجهة من زبون إلى تاجر عبيد، أن التاجر تأخر في تسليم عبد قد اتفق سابقاً على تحديد سعره بـ ١١٣ مينا من الفضة مطالباً زبونه بزيادة سعر الشراء إلى ١١٢ مينا من الفضة، ويبدو أن الزبون قد رضخ لذلك. ومن مدينة أرابخا نجد حالة خلاف بين زبون وتاجر عبيد حول سعر عبد كان قد اتفق على شرائه من بلاد لوبي، وتحال القضية إلى المحكمة للفصل بها. ويبدو من الادعاء أن العبد موضوع صفقة الشراء كان في الأصل من مواطني مدينة أرابخا ثم استعبد في بلاد لوبي، ويظهر أن التاجر يمكنه أن يبيع عبيده المستوردين بالسعر الذي يراه مناسباً^(٢). وفي مدينة سيبار كان هنالك تاجران مشهوران ببيع وشراء العبيد، هما (شاخاريم وليبي أليم saharanim u libbi alim)، ويبدو أنه في نهاية العصر البابلي القديم أصبح هناك سوق كبير لبيع العبيد الأجانب^(٣).

¹ - Pritchard , J ., Ancient near eastern texts , Relating to the old Testament , third edition with supplement , Princeton . New Jersey , 1969, PP218 – 219.

^٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

³ - Harris , R ., op . cit , p 262 .

ويظهر من النصوص المسمارية أن هناك مراسلات متبادلة بين التاجر ووكلائه، تتضمن وصف ظروف الرحلة من مشاكل شخصية أو ذات علاقة بالأموال المعطاة بعهدة التاجر الجوال والمصادفات الأخرى ذات العلاقة بمهمة استجلاب العبيد. ففي رسالة من وكيل تاجر جوال إلى تاجر مقيم في سيبار يذكر فيها المشاكل التي صادفته عند وصوله إلى مدينة أرابخا، وهي قيام خادمه بسرقة الحيوانات وهروبه بها، وإصابته شخصياً بالمرض، وأساء من ذلك كله موت الأمة التي كان من المقرر إرسالها إلى التاجر المقيم. وما يخفف وطأة هذه الأخبار المشؤومة على التاجر المقيم تعقيب من كاتب الرسالة، يخبره فيه عن وجود أمة بهية (am - tum - na - wi - ir - tum) حاول إرسالها مع قافلة، إلا أنهم رفضوا أخذها لخطورة الطريق. وفي رسالة أخرى من وكيل إلى تاجره المقيم يبلغه فيها عن طالعه السيئ. فيذكر أن العبيد الأقوياء (wardu rabutum) الذين قد أرسلوا هم الآن مقيمون في مدينة؟ ولا يستطيعون الرحيل، وذلك بسبب أضرار لحقت بهم نتيجة سقوط الدار عليهم^(١). وفي كثير من الأحيان كان يقوم شخصان أو أكثر بالعمل سوية أي مشاركة في التجارة وغيرها من النشاطات الاقتصادية ومن ضمنها تجارة العبيد، وقد يربحان أو يخسران، وربما تنتهي الشراكة في اتفاق بالتراضي بتقسيم الأموال فيما بينهم وفض الشراكة. ولدينا نص من سيبار يوضح هذه الحالة يؤرخ في عهد الملك البابلي حمورابي، يقول النص: (إيريب - سين Erib - Sin ونور - شماش Nur - Samas قاما بعمل على أساس المشاركة، وبعد ذلك دخلا إلى معبد شماش وعملا تصفية حسابهم، والمال، الديون، عبيد ذكور وإماء، الطريقة (سيك sic) كذلك في المدينة، هما قسما بالتساوي، وثبتا عملهما. فيما يتعلق بالمال، عبيد ذكور وإماء، والديون، الطريقة (sic) في المدينة، من القش إلى الذهب، لا أحد سيدعي على الآخر، هما أقسما باسم شماش، آيا، مردوك، وحمورابي. تبع بأسماء الشهود أمام أويل - إيلوم Awil - Ilim ، الخ) (٢).

لسبب ما يقوم الشركاء بفض الشراكة، ويبدو أن هذه العملية تتم في معبد المدينة، وذلك لتكون الآلهة شهوداً على هذه العملية. وهنا نجد الشريكان يقومان بتصفية حساباتهما في معبد شماش في سيبار، التي كانت تتضمن عبيداً وإماء، ومالاً موجوداً و آخر مقرضاً عند تجار أو أشخاص آخرين وسيتم تحصيلهما لاحقاً. كل هذه الأموال اقتسماها بالتساوي. وهنا يذكر الطريقة التي تمت بها عملية فض الشراكة (سيك sic) التي ربما كانت عكس البوكانو التي تعني أن العملية تمت، وال (سيك) ربما تعني أن العملية قد انتهت، وأخذ كل منهما حقه كاملاً كما جاء في الفقرة من القش إلى الذهب، والتي تعني أنهما تقاسما كل

^١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٥١ .

^٢ - Wyk , S . V . , Old Babylonian family division agreement from a deceased estate analysis of its practical and theoretical mechanisms , Fundamina 19 , UNISA , University of south Africa , 2013 . p 158 .

الأموال من أتفه شيء إلى أثمنه. أياً يكن، فقد تم فض الشراكة وأقسما بآلهة المدينة الرئيسة التي يأتي في مقدمتها شماش ثم آيا ومردوك وأخيراً باسم الملك الحاكم حمورابي أن لا أحد سينقض ما جاء في هذا العقد أو يدعي على الآخر في المستقبل .

تذكر النصوص المدونة خلال عشرين سنة من حكم بابل لمدينة لارسا أسماء أشخاص كثيرين يوصفون في اللغة الأكادية بأنهم تمكرو أي تجار، ومن أشهرهم شيب- سين Shib - Sin الذي كان الأكثر نشاطاً وحركة خاصة في السنوات الأخيرة من حكم ريم- سين ، وحصل على لقب شيخ التجار في ظل حكم حمورابي، إلا أن هذا اللقب اختفى في عهد سمسو- إيلونا خليفة حمورابي^(١). فقد ذكر في أحد النصوص لهذا التاجر قيامه ببيع أمة مع طفلها كانا ولادة منزل إلى شخص يدعى إيلشو- ناصر - IIsu Nasir^(٢) .

عندما اعتلى سمسو - إيلونا العرش كانت هناك أعداد كبيرة من العبيد في بابل قد جلبت من القبائل البدوية التي كانت تقطن شمالي بلاد الرافدين إلى بابل، لذلك أصدر أمراً بمنع شراء أشخاص من قبائل السوتيين^(٣) التي كانت منتشرة في مناطق أدمرص وأرابخا، ومن يفعل ذلك سيفقد أمواله التي دفعها ثمناً لهم، إذ يقول نص الأمر ما يلي: (قل لـ إيبى شاخان - هكذا يقول سمسو - إيلونا: لا يحق لأحد أن يشتري رجلاً أو نساءً من السوتيين في أدمرص وأرابخا أبداً، والتاجر الذي يشتري أناساً من السوتيين في أدمرص وأرابخا يخسر أمواله!)^(٤). هذا الأمر ربما كان بمثابة مرسوم ملكي من قبل سمسو- إيلونا ، ولكن السبب وراء ذلك غير واضح ؟

وفي نص من عهد الملك عمي - ديتانا، نقرأ عن وكيل (تاجر جوال) قصد مدينة أشنونا لشراء أمة وسمسم لحساب تاجر مقيم في سيبار، ونفهم من هذه الرسالة أن الوكيل كان قد اشترى أمة بالدين وأنه كان في حاجة للمال لتسديد قيمة الأمة ولشراء السمسم، فطلب منه تسليمها إلى مبعوث قد يكون حامل

^١ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

^٢ - Seri , A ., op . cit , p 51 .

^٣ - السوتيون : مجموعة من القبائل الرعوية انتشرت في جميع أنحاء بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم ، ظهرت في منطقة الفرات بالقرب من ترقا ، وقد عملوا كمرتزقة ، فقد استخدمهم شمشي - أد الأول في الهجوم على مدينة قطونان وعلى مدينة تدمر ، كما كان لهم دور فعال في حماية القوافل ، ومنها قافلة ديلمون (البحرين) ، وكذلك استخدمهم حمورابي كجواسيس بعد أن أخضعهم تحت سيطرته . انظر : Heimpel , W ., op . cit , p 25 .

^٤ - الرويج ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

هذه الرسالة. وفي رسالة أخرى يأمر فيها مستلمها أن يشتري أمتين سوبارتين عندما يصل إلى مدينة أشنونا، ويبدو أن مدينة أشنونا قد أصبحت مركزاً لتصدير العبيد في هذه الفترة ^(١).

ب - أسعار العبيد : كانت أسعار العبيد متفاوتة ومتنوعة، فمنهم العبيد المجلوبون من خارج البلاد ومنهم المحليون، وقد تراوحت بين ١٠ و ٢٠ شيقلاً من الفضة للعبد الواحد. ونجد أن مبلغ ٢٠ شيقلاً من الفضة يتكرر في أكثر العقود وهو بدوره يعكس مدى التطبيق القانوني في العقود إلى جانب أسعار مختلفة أخرى. فمن خلال نصوص بيع العبيد نجد أن أسعار العبيد في عهد ريم - سين ملك لارسا كانت متساوية بين العبد والأمة وقد تراوحت بين ١٠ و ٢٠ شيقلاً لكل منهما. وفي عهد أنليل - باني ملك إيسين حددت ب ١٠ شيقلات من الفضة، وفي عهد سمسو - إيلونا بين ١٠ و ٢٠ شيقلاً من الفضة. وقد سجلت أدنى سعر لهذه العقود وهو ١١٢ ٤ شيقلاً من الفضة للعبد الواحد، ويعود هذا العقد لمدينة توتوب، فضلاً عن عقد آخر من مدينة سيبار، ويعود للسنة الأربعين من عهد حمورابي سجل سعر ٦ شيقلات من الفضة للعبد الواحد، أما أعلى سعر سجلته هذه العقود فهو ١٠٨ شيقلاً من الفضة، ويعود لمدينة سيبار أيضاً ويؤرخ في السنة الثانية من حكم الملك عمي - ديتانا ، فضلاً عن عقد آخر سجل سعر ٩٠ شيقلاً من الفضة من مدينة سيبار، ويؤرخ في السنة الرابعة والعشرين من حكم الملك إيبني - إيشوخ ^(٢).

وأسعار العبيد هذه متقاربة مع العصر الأكادي وعصر سلالة أور الثالثة اللذين سبقا العصر البابلي القديم، فمتوسط سعر العبد في العصر الأكادي وعصر السلالة الثالثة في أور كان بين ١٠ و ١٥ شيقلاً من الفضة ، وأدنى سعر كان من ٢ إلى ٣ شيقلات للعبد، والسعر الأعلى ٤٣ شيقلاً ^(٣).

لقد تعرضت أسعار العبيد في العصر البابلي القديم لعدة عوامل أدت إلى تقلبها وتذبذبها، فأسعار العبيد كانت تحدد بحسب العمر والقوة والجنس والجمال وإتقان مهنة ما كما أسلفنا، ففي عهد حمورابي واجهت البلاد نقصاً كبيراً في الأيدي العاملة، الأمر الذي أدى إلى استجلاب العبيد من الخارج، وإلى إصدار قانون يضمن حماية العبيد سواء كانوا من أصل محلي أو من خارج البلاد ^(٤). وفي سنوات حمورابي الأخيرة انخفضت أسعار العبيد، وربما كان ذلك بسبب تدفق أسرى الحرب إلى بابل. أما في سنوات سمسو - إيلونا الأخيرة فقد ارتفعت أسعار العبيد بشكل كبير وذلك بسبب قلة مصادره و بسبب القيود التي وضعت

^١ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

^٢ - الطائي ، المرجع السابق ، ص ٤٤ .

^٣ - Mendelsohn ,I ., op . cit , p 117 .

^٤ - الطائي ، المرجع السابق ، ص ٤١ .

على تجارة العبيد. وقد استمر ارتفاع أسعارهم في عهد إيبى - إيشوخ ، وقد رافق ارتفاع أسعار العبيد ارتفاع أسعار مواد أخرى كالحبوب، لأن هذا الملك فقد بعض الأقاليم التابعة له، التي كانت تزود مملكته بالعبيد والحبوب، فكان لذلك أثر على إمكانية مدينته للحصول على الحبوب والعبيد^(١).

ولكن الأسعار بدأت بالانخفاض بشكل تدريجي، عندما أزيلت القيود عن تجارة العبيد وفتحت أسواق جديدة بالتزامن مع استجلاب عبيد من منطقة أشنونا في السنتين الثانية والثامنة من عهد عمي - صدوقا، ومن عيلام في السنة ٣٧ من عهد عمي - ديتانا والسنة الرابعة من عهد عمي - صدوقا، فبيع هؤلاء العبيد بأسعار أقل من أسعار العبيد الذين بيعوا في عقود سابقة. وقد قسم العبيد الأجانب الذين جلبوا إلى بابل، إلى شماليين: عبيد من سوبارتوم ومن بلاد ما بين النهرين (من حوض الخابور والفرات الأعلى ودجلة إلى السفوح الشرقية لجبال زاغروس على دجلة). وجنوبيين: من أشنونا وعيلام. وكانت أسعار العبيد الشماليين أكثر غلاء وأكثر انتشاراً في بابل في عهود إيبى - إيشوخ وعمي - ديتانا وعمي - صدوقا على التوالي، أما العبيد الجنوبيون والبابليون من ولادة منزل فكانوا الأرخص. وسبب ذلك كثرة عددهم وتنوع مصادره^(٢). ولكن العبيد الشماليين بدأ عددهم يتناقص في مدينة بابل في عهد آخر ملك من ملوك بابل الأولى وهو سمسو - ديتانا، وربما كان سبب ذلك إلى ظهور دولة ميتاني في شمالي سورية^(٣).

أما أسعار الإماء في عقود البيع، فقد زودتنا تلك العقود بمعلومات كثيرة عن ذلك، فمن خلال عقود البيع نلاحظ أن نسبة عقود بيع الإماء تبلغ نحو ٦٠ % من مجموع عقود بيع العبيد، وهذه النسبة المرتفعة تعكس مدى أثر العرض في الأسواق الذي أدى إلى انخفاض أسعار الإماء، فكان أدنى سعر سجلته تلك العقود في العصر البابلي القديم هو ٣ شقيقات من الفضة، وهو من تل الدير^(٤)، وربما يعود إلى فترة عهد سين - موباليط فضلاً عن أسعار مقارنة أخرى، كعقد بيع أمة ب ٣ شقيقات من الفضة جاء من مدينة لاكابا^(٥)، ويؤرخ في السنة الثالثة عشر من حكم الملك سمسو - إيلونا. وفي عهد عمي - صدوقا بيعت الأمة ب ١١٢ ٤ شيقل من الفضة. أما أعلى سعر سجلته عقود الشراء فقد بلغ ٧٣ شيقلاً من الفضة للأمة الواحدة من مدينة سيبار، و يعود إلى حكم الملك إيبى - إيشوخ. وبصورة عامة كانت أسعار الإماء في

¹ - Sayce , A. H ., op . cit , p 76 .

² - Koppen , F ., op . cit , p p 17 – 19 .

³ - Snell , D ., op . cit , p 9 .

^٤ - تل الدير : يقع على بعد ٣٠ كم جنوبي غربي بغداد ، ونحو ٤ أميال شمال غربي مدينة سيبار ، يعد هذا الموقع غنياً بأبنيته وألواحه ، التي تعود لفترة إيسن و لارسا ومملكة بابل الأولى. انظر : الطائي ، المرجع السابق ، ص ٤٦.

^٥ - لاكابا : لم يحدد موقعها بشكل دقيق ، ولكن يتوقع أن تكون شمالي بابل . انظر : المرجع نفسه ، ص ٥٠ .

العصر البابلي القديم تتراوح ما بين ٥ - ٢٠ شيقلاً من الفضة، وهذا لم يمنع وجود عقود أخرى تسجل أسعاراً أقل أو أكثر من ذلك^(١).

بيد أن حالات بيع الأطفال آنذاك كانت قليلة مقارنة بحالات بيع العبيد والإماء. وأحياناً قد يتم بيع الأطفال مع أمهاتهم رافة بهم. وكان أقل سعر سجلته عقود بيع الأطفال في العصر البابلي القديم هو ٥ شيقلات من الفضة، وقد جاءت هذه العقود من مدينة سيبار، وتعود إلى السنة الثانية عشر من حكم الملك حمورابي، أما أعلى سعر سجلته فقد بلغ ١٢ شيقلاً من الفضة، وهو من تل الدير، ويعود إلى فترة حكم حمورابي فضلاً عن أسعار أخرى متنوعة^(٢).

هكذا نجد أن تجارة العبيد وظاهرة بيعهم كانت منتشرة في جميع أنحاء الشرق القديم. ومصادقاً عليها في العصر البابلي القديم على شكل عقود كاملة مسجلة لاستجلاب العبيد، وصياغة عقود بيع العبيد كانت تتغير باستمرار وبشكل جذري. حيث نجد اختفاء مادة أو فقرة البوكانوم وإدراج فقرة الـ (سي. بي. BI. SI) التي حلت مكانها في جميع عقود البيع ولجميع الممتلكات في شمالي بلاد الرافدين، والضمانات التي كانت تقدم للمشتري. كنتيجة لذلك، عقود بيع العبيد جاءت لتخدم هدفين: الأول كان وسيلة لتقديم دليل على أحقية ملكية العبد وحالته الصحية والقانونية، والثاني تاريخ اكتساب هذه الأحقية الذي يمكن تقديمها عند الضرورة. أيّاً يكن، فعقود استجلاب وبيع العبيد قدمت لنا معلومات مهمة ومفيدة، حول مفهوم جنسية وجغرافية تجارة العبيد في أواخر العصر البابلي القديم^(٣). (انظر الشكل ٤) .

^١ - المرجع نفسه ، ص ٤٨ .

^٢ - المرجع نفسه ، ص ٤٩ - ٥٣ .

^٣ - Koppen , F . V ., op . cit , pp 10 , 14 .

الفصل الثالث - أنواع العبيد

أولاً - عبيد المعبد :

- ١ - العبيد كهبة للمعبد .
- ٢ - العبيد كهبة لكاهنات المعبد .
- ٣ - العبيد كجزء من الإرث لكاهنات المعبد .
- العبيد كجزء من تركة الناديتو .
- ٤ - العبيد كجزء من مهر كاهنات المعبد .
- أعمال عبيد الكاهنات .

ثانياً - عبيد القصر (عبيد الدولة) :

- ١ - العبيد كهدايا للملوك والحكام .
- ٢- أعمال عبيد القصر .
- ٣ - احتجاز عبيد القصر .
- ثالثاً - العبيد الخاصون (عبيد المنزل) .
- ١- العبيد كهبة للأبناء و الآباء .
- ٢ - العبيد كجزء من الإرث للأبناء .
- ٣- أعمال العبيد الخاصون :

أ- أعمال العبيد الخاصون في الغزل و النسيج والخياطة .

ب - عقود تأجير العبيد .

الفصل الثالث

أنواع العبيد

في أوائل عصر السلالات السومرية (٢٩٠٠ - ٢٣٥٠ ق.م) كانت المعابد والقصور الملكية هي المالك الوحيد للعبيد. ولكن نتيجة لتطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، أدى ذلك إلى تطور الملكية الشخصية للعبيد بالتدريج وأصبح العامة بإمكانهم امتلاك عبيد أيضاً^(١).

وبهذا لم يكن العبيد من نوع واحد، فقد كان هناك ثلاثة أنواع لهم: عبيد تابعون للمعبد وعبيد تابعون للقصر أو للدولة، وبما أنه كان يسمح في بعض الحالات بالتزاوج بين العبيد، وبين العبيد والأحرار، فالأطفال الذين كانوا ثمرة هذا الزواج شكلوا حالة اجتماعية لوالديهم. هذه الظاهرة وجدت بشكل محدد في بلاد الرافدين خلال العصر البابلي القديم، أدت إلى ظهور مجموعة خاصة من العبيد يدعون (wilid bitim عبيد ولادة منزل). وبهذا تشكل نوع ثالث من العبيد وهم العبيد الخاصون^(٢). وهؤلاء العبيد المملوكون من قبل الأفراد والأسر، يبدو أن وضعهم كان أفضل من وضع العبيد الآخرين التابعين للمعبد والقصر، إذ كانت تتاح لهم فرص للعنق من العبودية، أو فرص لتبنيهم من قبل أسيادهم^(٣).

وسنتحدث عن هذه الأنواع الثلاث للعبيد كلاً على حدى :

أولاً - عبيد المعبد :

المعبد هو مسكن الآلهة، فقد صورت الآلهة قائمة في قدس الأقداس، إذ كانوا يأكلون ويشربون ويمارسون الجنس مع نساء المعبد في ثياب الكهنة. فالآلهة كانوا محاطين بعدد من الكهنة الذين سمو أنفسهم عبيد

^١ - ساغر ، عظمة بابل ، المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

^٢ - Vandorpe ,L ., op . cit , p 9 .

^٣ - تلجي ، المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

الآلهة، ومحاطين بعدد من التابعين والموظفين والخدم والعبيد.الذين التزموا بتكريس جزء من وقتهم أو بتكريس وقتهم كله من أجل خدمة الآلهة والمعبد^(١).

كل مدينة كان لها معبد واحد على الأقل، وكل معبد كان له مشرف يسمى بالسومرية (سانغا SANGA) وفي الأكادية (شانغو sangu). يشرف على الأعمال والنشاطات في المعبد. وفي الوقت نفسه كان يساعده الكاهن الأعلى (إين en) والكاهنة العليا (إينتنو en^{tu}) في ممارسة الطقوس الدينية المقدسة والخدمات. ومن أهم موظفي المعبد الكهنة والكاهنات. ولممارسة هذه الوظيفة، يجب أن يكون الشخص الشاب من عائلة نبيلة ويمتلك حريته المطلقة وخالياً من العيوب البدنية. كما يجب أن يتعلم القراءة والكتابة لأن المعبد غالباً هو الذي كان يدير المدرسة^(٢).

منذ فجر التاريخ (٣٢٠٠ ق.م) كانت هناك ثروة كبيرة تحت تصرف المعبد، وقد كان منظماً بشكل جيد، سيطر على اقتصاد المدينة بشكل كامل، وقد كان يملك كميات كبيرة من المعادن الأولية، والمعادن النفيسة، التي كان يحصل عليها عن طريق الهدايا من قبل الملوك بالدرجة الأولى ومن المتعبدین من الأغنياء والفقراء على السواء الذين كانوا يخصصون للمعابد جزءاً من مكاسبهم اليومية كتقدمة لإله المعبد كسباً لرضاه. كما كان المعبد المالك الأعظم للأراضي، فهو يملك بالإضافة إلى فناء المعبد مساحة كبيرة من الأراضي خارجه، وقد قسمت هذه الأراضي إلى قسمين: أراضي فلتحت من قبل عبيد المعبد وعمال المعبد الأحرار من الطبقات الأدنى. وأراضي أُجرت لفلاحين من طبقة الأحرار، وقد كانوا يستلمون من مخزن المعبد البذار والحيوانات و الأدوات الضرورية للفلاحة^(٣). وهناك ورشات تابعة له أيضاً فكاдр المعبد كان يضم النساجين والخياطين الذين كانوا من الأحرار والعبيد. وقد كانت تلك المواد الأولية تحول إلى سلع مصنعة في ورشاته. قسم من هذه السلع كان يستخدم من قبل أسرة المعبد، وأما القسم الآخر فقد كان يباع في الأسواق. في حين استخدمت المعادن النفيسة المتكدسة في تجارة عامة عن طريق المقايضة وفي القروض لأشخاص آخرين مقابل فائدة. وكان المعبد أيضاً يملك قطعاناً كثيرة من الماشية، وبذلك كله

^١ - سغفان ، كامل ، معتقدات آسيوية (العراق ، فارس ، الهند ، الصين ، اليابان)، موسوعة الأديان القديمة، دار الندى ، نصر ، ١٩٩٩م ، ص ٥٥ .

^٢ - Bertman , S ., Handbook to life in an Ancient Mesopotamia , New York 2003.P128.

^٣ - Mendelsohn , I., op. cit , pp 99 - 100 .

تكدست في خزائن المعابد كميات كبيرة من الأموال. ولما لم يكن في مقدور الكهنة أن يستخدموا هذه الثروة كلها، حولوها إلى رأس مال مستثمر في كافة المجالات الاقتصادية ولاسيما في القروض الربوية^(١).

إذاً، كان المعبد الممول المالي الأكبر للقروض وقد غزا السوق كتاجر وممول، وببده المشاغل الصناعية الكبرى، وكان مالك العبيد الأكبر في كل مدينة من البلد، وكان يحصل عليهم من مصدرين رئيسيين كهبة: الأول من أسرى الحرب، والثاني من أشخاص متعبدين. وبما أن كهنته وموظفيه يُعَدُّون جزءاً أساسياً في المعبد، ويعملون في خدمة الآلهة فيه، كانوا يكرسون ما يملكون للمعبد أثناء حياتهم، فالعبيد الذين كانوا يحصلون عليهم جزء من أملاك المعبد. وبهذا يمكننا تقسيم مصادر عبيد المعبد إلى قسمين، الأول يكون كهبة مقدمة للمعبد أو لكهنته أو لموظفيه. والثاني إرث للكهانات من آبائهن. وسندرس هذا النوع من العبيد بحسب ما توفر لدينا من نصوص.

١ - العبيد كهبة للمعبد :

كان مصدر المعبد من العبيد بشكل رئيس هو أسرى الحرب فقد كان ينوبه الحصة الأولى منهم، فإذا انتصر الملك في معركة خصص جزءاً من الغنائم التي يأتي في مقدمتها العبيد لمعبد إلهه الذي كان يعتقد أنه هو من نصره على أعدائه. ففي الرسالة رقم ٤٣٦ ٢٦ السابقة الذكر، المرسلة من ياسيم - إيل إلى سيده زمري- ليم ، يخبره فيها على لسان قائد الجيوش خمديا، عن اغتنام أسرى حرب من مدينة أمار وأن جزءاً منهم سيكون لمعبد الإله الذي يريده سيدي، فيقول: (كما لبقية أسرى الحرب، أنا سأوضح أي منهم الذين معي للآلهة الذي يرغب سيدي)^(٢). كان أول سهم من الغنائم والأسرى من نصيب المعبد، وهذه الممارسة في إهداء أسرى الحرب إلى المعابد انتشرت في جميع أنحاء العصر البابلي. ولما كانت سلطة الملك مستمدة من الآلهة، فقد كان وكيلاً ونائباً لإله المدينة على الأرض، كانت الضرائب تفرض باسم الإله، وكان الملوك يشعرون بشدة الحاجة إلى غفران الآلهة، حماية لهم ولسلطانهم، فبنوا المعابد، وزودوها بالآثاث والطعام والعبيد، وخصصوا لها مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، وكان قسم من موارد الدولة يؤدي إليها كل عام^(٣). كما كان كبار الموظفين في الدولة وبعض أفراد العامة يكرسون جزءاً من عبيدهم للمعبد من أجل حماية الآلهة لهم^(٤). كما جاء في النص التالي، من مدينة أشنونا حيث قام شخص يدعى

^١ - سغفان ، المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ .

^٢ - HeimpeI , W ., op . cit , p 368 .

^٣ - سغفان ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

^٤ - Mendelsohn , I ., op . cit , p 102 .

نور - أنمارتو **Nur - Anmartu** بتقديم أمته نذراً للمعبد، لخدمته والعمل فيه، يقول النص: (أيامُشَلِمات **Aamusalimat**، أمة نور - أنمارتو، نُذرت إلى شماش، المدعي الذي يدعي، مع إخوته وأبنائه، وحنثوا بقسم (الإله) تشباك **Tispak**^(١) و(الملك) إيبال - بيل **Ibal - piel**، سيدفع خمسة مينا فضة، ويمزق لسانه، أسماء الشهود وطبغات الأختام)^(٢) .

يمكن تأريخ هذا النص إلى مدينة أشنونا خلال عهد ملكها إيبال-بيل الأول ١٨٤٠ ق.م، وذلك اعتماداً على اسم ملكها واسم إلهها الحارس تشباك .

يتبين لنا من هذا النص أن نور - أنمارتو قدم أمته أيامُشَلِمات كنذر إلى الإله شماش. وقد فرض شرطاً جزائياً على إخوته وأبنائه، إذا ادعوا ملكية الأمة وخالفوا القسم الذي أدوه باسم الإله تشباك والملك إيبال-بيل، مضمون الشرط أن من يفعل ذلك يدفع غرامة مقدارها نحو ٢٥٠٠ غراماً من الفضة بالإضافة إلى قطع لسانه، واختتمت الوثيقة بأسماء الشهود وطبغات أختامهم. يبدو أن الادعاء على ملكية خاصة للمعبد يُعد جريمة وهذا ما وجدناه في هذا النص، فقد كانت العقوبة قاسية جداً. ففي معظم النصوص التي ورد فيها شرط جزائي لم نلاحظ القسوة والصرامة فيها كما في هذا النص .

كما كان الآباء الذين ليس لديهم أولاد يقومون بوهب ثروتهم للمعابد، ومن ضمن الثروة العبيد والإماء، وفي أزمنا المجاعة كان ينذر الوالدان أطفالهم للمعبد كعبيد مؤقتين، من أجل الحفاظ على حياتهم من سغب الجوع، وكان أولئك الأطفال يستخدمون في خدمة المعبد، الذي كان يؤجرهم بحسب العمل أو المهنة التي يستطيعون القيام بها، وكانت الأجرة للمعبد^(٣).

لدينا نص قرار محكمة بشأن أمة تدعى نوبتا **Nubta** كانت قد كرسّت للمعبد من قبل سيدها السابق، لكن بعد وفاته أخذها أخوه شماش - زير - اوشابي **Shamash- Zer- Ushabshi** إلى منزله الخاص، واتخذها كمحظية له، وقد أنجبت له ثلاثة أطفال، وعندما عرضت القضية على المحكمة، قررت

^١ - تشباك : إله بابل الحارس على أشنونا . من المحتمل انه دخل إليها من قبل الحوريين (اله الطقس تيشوب) . انظر :
Lurker , M ., Dictionary of gods and goddesses, devils and demons , London 2004 . P185.

^٢ - سليمان ، كروان عامر ، المرجع السابق ، ص ١١٢ .

^٣ - Oppenheim ,A . L ., Ancient Mesopotamia , op . cit , p 107 .

ما يلي: (بينما شماش - زير - اوشابي على قيد الحياة، هي لتخدمه، وهو لا يشتهيها، وشماس - زير - اوشابي لن يبيعها بالفضة أو يزوجها لعبد)^(١).

إذاً كان قرار المحكمة أن تبقى الأمة نوبتا مكرسة للمعبد وستبقى مع أبنائها في خدمة معبد الإله شماش، وفي الوقت نفسه ستخدم شماش - زير - اوشابي طيلة حياته، ولكن لا يحق له ممارسة الجنس معها، كما لا يحق له بيعها أو تزويجها لعبد. نحن نعلم من خلال المادة ١٤٦ من قانون حمورابي، أن الأمة التي تتجب لسيدها أطفالاً لا يمكن بيعها (كما سيأتي معنا في الفصل اللاحق)، ولكن المحكمة هنا منعت شماش - زير - اوشابي من بيعها ليس لهذا السبب فقط، بل لأنها تخص المعبد ولا تخصه هو بالذات، ولكن لأن أخاه هو الذي وهبها للمعبد، فقد تعاطفت معه المحكمة، وفرضت عليها خدمته فقط.

وقد يكون العبيد هبة مقدمة من المعبد لموظفيه، لإخلاصهم في خدمته أو جزءاً من أجورهم أو رواتبهم. ففي نص يؤرخ في عهد الملك داميق - إيليشو ١٨١٦ - ١٧٩٤ ق. م، آخر ملك من سلالة أيسين، نجد ما يأتي: (موظف المسح لكاهن الإلهة نينليل)^(٢)، وموظف البورسبومو، جميعهم - حقل واحد مروي للمعيشة، زبديّة واحدة زاكولا، أربع أدوات أثاث، سريران، كرسيان، عبد ذكر: حصّة أودودو Ududu، الأبْن الأكبر سنّاً)^(٣).

وظيفة المسح أو الدهن كانت تتم في المعبد، فمن طقوسه المسح بالزيت الذي يخص الإلهة نينليل، وهذه العملية لها قدسية خاصة ولذلك يقوم بها أحد كهنة المعبد. وقد استلم حصته التي تألفت من حقل مروي وزبديّة من نوع زاكولا وأثاث منزل وعبد. وأما حصّة بقية الموظفين فلم تكن تتضمن عبداً (انظر ملحق النصوص).

¹ - Steele , L. D ., and Others , Women and gender in Babylonia , the Babylonian world , edited by Gwendolyn , L , New York and London , 2007. P 310 .

^٢ - نينليل : إلهة بلاد الرافدين القديم ، زوجة إنليل وأم إله القمر نانا . هي إلهة عطوفة رحيمة بميزة الأمومة . الآشوريون أخذوها لتكون زوجة الإله الحارس للامبراطورية آشور . انظر : Lurker ,M., op . cit , p 137 .

³ - Chiera , E ., Legal and administrative documents from Nippur , chiefly from the dynasties of Isin and Larsa , University of Pennsylvania , the University of Museum publications of the Babylonian section , vol . 8 , No.1 , Philadelphia , 1914 . PP 52 - 53.

٢ - العبيد كهبة لكاهنات المعبد :

كان هناك عدة أنواع من الكاهنات في العصر البابلي القديم، بعضهن كن يبقين عازبات أو غير متزوجات، وبعضهن كنَّ يعشن بشكل طبيعي في الرواق المحيط بالمعبد-كجماعة. وأهم تلك الكاهنات كانت الناديتو Naditu والقاديشتو Qadistu^(١) والكولماشيتو kulmasitu^(٢) والشوجيتو sugetu^(٣) وقد كانت الناديتو هي الكاهنة الأفضل والأرفع مكانة، وهي امرأة دخلت في خدمة المعبد. في مدينة سيبار كانت ناديتو الإله شماش تعزل في الرواق الذي يسمى (غاغو gagu)^(٤) حتى وفاتها. ولم تكن طبقة النساء من الناديتو مقصورة على مدينة واحدة، فقد وجدت في عدة مدن في العصر البابلي القديم. مواد من قوانين حمورابي خُصت للنساء، اللواتي يمكن أن يتزوجن ولكن لا يسمح لهن بإنجاب الأطفال، أن يتبنين أطفالاً أو يزودن أزواجهن بمحظية من إمائهن لتتجنباً أطفالاً. كاهنات الناديتو كان لديهن غالباً ممتلكات مادية خاصة، منها منازلهن الخاصة داخل الرواق والحانات، كما كن يعملن في القروض الربوية والتجارة وتأجير وبيع العبيد وغير ذلك^(٥).

جميع نساء الناديتو كن من أسر نبيلة وعند دخولهن إلى المعبد كان يقدم لهن العبيد كهبات من أسرهن لخدمتهن، ففي النص رقم 156 109 JCS 2 ، الذي يؤرخ في عهد حمورابي، قام حمورابي بوهب أخته الناديتو إيلتاني بنت سين - موباليط أمتين عندما دخلت في خدمة المعبد، (واحدة تدعى آجا

^١ - الناديتو : كاهنة تكرر نفسها عادة لعبادة إله معين ، غير متزوجة ، لا يسمح لها بإنجاب الأطفال ، وتقيم في معبد خاص بالنساء اسمه غاغو . أما القاديشتو بالسومرية نوجيج ، وهي نوع من العاهرات المقدسات ، فالعهر المقدس كان شكلاً من أشكال العبادة و التقرب من الآلهة و يسمح لها بالزواج وإنجاب الأطفال . انظر : مرعي ، عبادة آلهة الخصوبة، ص ٥٣ .

^٢ - الكولماشيتو : امرأة غير منعزلة قادرة على القيام بأعمال صفقات مستقلة . تأتي بعد القاديشتو في الأهمية ، (جاء ذكرها بعد الناديتو و القاديشتو في المادة ١٨١ من قانون حمورابي) ، و قد عملت أيضاً كناديتو مردوك . ليس هناك دليل أنها أنجبت أطفالاً . انظر : Harris ,R ., op . cit , p 324 .

^٣ - الشوجيتو : ربما كانت الأخت الشابة للناديتو ، التي تزوجت من زوج ناديتو مردوك بغرض أن تنجب أطفالاً للعائلة . وربما كانت امرأة حرة متبينة من قبل والد الناديتو . في قانون حمورابي الشوجيتو تذكر إلى جانب ناديتو مردوك ، و قد نفترض أن أية إشارة إلى شوجيتو و ناديتو معاً ، يبدو أنها ناديتو مردوك المقصودة . انظر : Ibid ., p 321 .

^٤ - الغاغو : مصطلح الغاغو الذي ربما كان دخيلاً من السومرية ga- gi محصورة بالناديتو والتي تعني منزل مغلق (الرواق) . انظر : Steele , L . D ., op . cit , p 307 .

^٥ - Ibid ., p 307 .

– توكولتي (Aja – Tukulti)، لها وظيفة ما غير معروفة، (والأخرى تدعى شماش – ليبور Samas – Libur، كانت مغنية)^(١).

وفي الرسالة رقم 60 7 PBS من سيبار، تؤرخ في عهد حمورابي، ناديتو تكتب إلى والدها ترجوه أن يسمح العبد الذي أهان أخاها، ويرسل ذلك العبد إليها، وبالفعل استجاب الوالد لطلب ابنته الناديتو وعفى عنه ثم أرسله إليها كهبة، تقول الرسالة: (أخبر والدي: ابنتك بيلسونو Belessunu أرسلت الرسالة التالية: ربما سيدي شماش و سيدتي آيا يحفظونك بصحة جيدة إلى الأبد من أجلي. فيما يتعلق بقضية العبد الذي نطق بالإهانة ضد ابن سيده وقد وضعه في السجن، أنا أريد أن أقول التالي: ربما أنا أتوسل؟ والدي أن يفكر فيه أكثر ويدعهم يطلقون سراحه. أنا الآن سأرسل لك اسقودانون Asqudanum) مع هذه الرسالة). أنا (مسبقاً) قد أرسلت لباس ثوب (من أجل اسقودانون)، لكنهم لم يعطوه له، بالرغم أنه هو شخص يحبه والدي. أنا الآن سأرسل هذا الرجل و (هذه المرة) والدي يجب أن يهتم (بهذه المسألة). أنا سأستمر بالصلاة لأجلك إلى سيدي وسيدتي بتطهير الأيدي. أنا أتمنى من والدي أن يعطيني ذلك العبد كهبة)^(٢). بعد أن استجاب والد بيلسونو لها، وأرسل ذلك العبد إليها كهبة، قامت بتأدية طقس الوضوء بغسل يديها، ومن ثم الابتهاال والصلاة للآلهة شماش وآيا من أجل حياة والدها كشكر لوالدها وتعبير عن امتنانها له.

وفي النص التالي رقم 2 48 CT من عهد حمورابي أيضاً، قام والدان بوهب ابنتهما أمة وحقوقاً ومنزلاً، عندما دخلت في خدمة المعبد كقاديشتو، يقول النص: (والدا مارات – إيرصيتوم Marat – Ersetim أعطوا ابنتهم أمة تدعى سانيق – قابوسا qabusa – Saniq مع مساحة حقول ومنزل، عندما مارات – إيرصيتوم عينت كامراً قاديشتو)^(٣).

القاديشتو، هي امرأة دخلت في خدمة المعبد ككاهنة وقد ظهرت مجتمعة مع عدد من نساء المعبد كالناديتو والكولماشيتو والشوجيتو، وكل منهن لها علاقة خاصة باله ذكر ولها نشاطات جنسية تمارسها في المعبد (العهر المقدس). هذه الكاهنة لم تكن معزولة واستطاعت أن تكسب ممتلكات خاصة، وأن تتزوج، وتتجب أطفالاً، بالإضافة إلى ذلك، هناك بعض الإشارات أنها قد عملت كمرضعة أو كداية (قابلة)^(٤). أيّاً

¹ - Harris , R ., the naditu woman ,studies presented to A . Leo Oppenheim , the oriental institute , university of Chicago , Illinois , 1964, Pp135 .

² - Oppenheim , A. L ., Letters from Mesopotamia , p 93 .

³ – Seri , A ., op . cit , pp 51 – 52 .

⁴ – Spade , G ., op .cit, p 5 .

يكن ، بعد عشر سنوات أنجبت الأمة سانيق- قابوسا بنتاً، فجاء أقارب القاديشو مارات- إيرصيتوم مطالبين بالأمة وابنتها. وقد رفعت القضية إلى الحكيمين في المدينة أكشاك Aksak وسارداي Sardai اللذين تفحصا الوثيقة، وأكدوا أن الأمتين تخصان مارات إيرصيتوم ، وأن دعوة أقاربها باطلة لا صحة لها. لأن الوثيقة كانت مختومة في الأسفل وعليها شهود أنها هبة إلى مارات- إيرصيتوم من والديها^(١).

عندما كانت الفتاة تدخل إلى المعبد كناديتو شماش، تصبح فرداً من طبقة المعبد الخاصة. فالمعبد لديه موظفون خاصون يديرون شؤون المعبد ويعتنون بمصالح الناديتو كواحدة من موظفيه المهمين. وكان يتوجب على الناديتو أن تقوم بالتزامات وواجبات معينة نحو المعبد، على سبيل المثال كان جزء من الهبات التي تقدم للناديتو أو لغيرها من الكاهنات والكهنة والتي كان من ضمنها العبيد كان يعطى للمعبد. وقد كانت ملتزمة بدفع تقدمات إلى معبد شماش الذي يدعى (إيبابار Ebabbar) في مدينة سيبار لاحتفالات شماش^(٢). وهناك نصوص من مدينة سيبار جاء فيها أن عبداً أُعطي كهبة من قبل الناديتو إلى الإلهة عشتار، وجاء في نص آخر أن الناديتو وهبت عبداً لشماس وآيا^(٣).

وبالمقابل كان يتوجب على المعبد تقديم بعض المواد للناديتو عند دخولها في خدمته من الطعام والشراب والنفقات لها ولعبيدها، وذلك ضمن مراسيم احتفالية خاصة، النص التالي رقم BS 8١2 183، الذي يخص الناديتو أوات - آجا، المؤرخ في السنة السابعة من عهد سمسو- إيلونا، يوضح ذلك: (٣ آنية كابتوكو، ٢ سمكة، ١ زبدية خوبونو سعتها ١ سيل^(٤)، ١١٢ شيقل من الفضة تساويهم، عندما دخلت الفتاة الشابة الرواق الخ . (انظر ملحق النصوص).

اليوم (الثاني) للاحتفال للناديتو، ١١٣ شيقل من الفضة للبيرة لكي تشرب أمتها الفتاة. الشهر سيبوت شاتيم Sebut sattim. السنة: (السلح)^(٥).

¹ - Seri , A ., op . cit , p 52 .

² -Harris , R ., the naditu woman , p 128 .

³ - Ibid ., p 119 .

^٤ - سيل : وحدة قياس مكابيل ، بالسومرية sila و بالأكدية qum ، واحد سيل = واحد لتر . انظر : الطائي ، المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

⁵ - Harris , R., the naditu woman , op . cit , p 111 – 112 .

يثبت لنا هذا النص أهمية دخول الفتاة كناديتو إلى المعبد. إذ تستمر فيه الاحتفالات لمدة يومين. وقد جاء في الفقرة الأخيرة من هذا النص الرواقي أنه في اليوم الثاني من شهر الاحتفال المسمى سيبوت شاتيم يتم إنفاق مبلغ نحو ٣ غرامات ونصف من الفضة على البيرة من أجل وجبة طعام للأمة التي تخص الناديتو المستقبلية أوت- آجا. ويبدو أن هذه الأمة كانت ملكاً خاصاً للناديتو وقد دخلت معها إلى المعبد.

٣ - العبيد كجزء من الإرث لكاهنات المعبد :

في بعض الأحيان كانت الناديتو تحصل على العبيد عن طريق الوراثة بعد موت والدها. أو من ناديتو عجوز كانت قد تبنتها وبعد وفاتها تعود ممتلكاتها إلى الناديتو الفتاة المتبناة^(١). وهناك حالات متعددة تخص الناديتو، اللواتي استلمن عبيداً وممتلكات أخرى من تركة آبائهن، وهذه التركة تعود إلى إخوتهن بعد وفاتهن. ففي النص رقم Ha 33 , CT 48 من عهد ريم- سين تقسيم تركة من والد الناديتو نارامتوم Narmtum، كان حصتها التي استلمتها: (أربعة إماء، ثوران، أربعة أبقار، خراف، حمولة عربية واحدة، حجرتان للرحى، سريران، وخمسة كراسي). كما جاء في هذا النص أنه، تمنع الناديتو من تحرير العبيد أو بيعهم، لكنها سمحت بانتقالهم إلى أي واحد من إخوتها كإرضاء لهم^(٢). بدون شك هذه المسألة تعني ضمان حصة المرأة من تركة والدها التي ستعود إلى أفراد أسرتها بعد وفاتها .

وفي النص رقم CT 6 7a قضية للناديتو بابيليتوم Babilutum، من عهد ريم - سين التي تقدمت بدعوى قضائية ضد إخوتها، الذين لم يعطوها حصتها من تركة والدها وقد استأنثروا بالممتلكات وحدهم. فاستدعي إخوتها إلى المحكمة، وبعد تفحص الوثيقة بشكل مناسب من قبل القضاة، قرروا إعطائها (عشرة عبيد ذكور وإناث، ثلاثة ثيران، حجرتان من الرحى، إناء واحد نحاسي وأربعة مينا من الفضة التي أعطاها إياها والدها قبل وفاته)^(٣).

وهناك صنف آخر من النساء الكاهنات وهن الكولماشيتو واللواتي يأتين بعد القاديشو في الأهمية كما أسلفنا، ففي النص رقم Ha 2 , CT 8 50a اسم الكاهنة غير واضح وهناك كثير من التشويه فيه، ولكن مضمونه أن إحدى كاهنات الكولماشيتو قد منحت كإرث من أبيها: (منزل واحد، أمة واحدة ، سرير واحد، وكروسي واحد. كل هذا ستأخذه معها عندما تتزوج). لكن النص يوضح أن تركة الأب يتقاسمها إخوتها فقط

¹ - Ibid ., p 134 .

² - Seri , A., op . cit , p 53 .

³ -Ibid.,p53.

دون أختهم الكولماشيتو. وقد وضحت هذه القضية في النص رقم 22 Si , OLA 21 95 من سيار للكولماشيتو إنبوشا Inbusa الذي جاء فيه أنها قد تنازلت لأخيها واراد- سين:(النصف من ثلاثة حقول،مساحة أرض منزلان،عبد واحد وثلاثة إماء).لكن قام ثلاثة أشخاص آخرين منهم ناديتو شماش برفع دعوى على هذه الملكية، وبعد أن تفحص القضاة هذه الدعوى، قاموا بإصدار الحكم فيها،أنها وثيقة مختومة من قبل الكولماشيتو، وأنها تخص أباها واراد- سين، وأن ادعاء الأشخاص باطل^(١).

- **العبيد كجزء من تركة الناديتو:** بعد وفاة الناديتو تعود ممتلكاتها جميعاً ومنها العبيد إلى ورثتها الشرعيين كما أسلفنا لهذا السبب،كانت العائلات النبيلة تشجع بناتها على الدخول إلى الرواق كناديتو، للحد من تشتيت ممتلكات العائلة^(٢).

ففي نصوص تقسيم التركة يجب تحرير عقد لمنع وقوع الخلافات المستقبلية بين الورثة وفق الصيغة الرئيسة المنصوص عليها في عقود تقسيم الميراث،التي جاء فيها أولاً ذكر اسم صاحب الملكية،ثم محتويات الملكية،وخصصت فقرة لتمييز حصة الوريث الأكبر سناً،وشرط جزائي على من يخالف ما جاء في العقد،وأخيراً القسم باسم الإله والملك الذي دون في عهده العقد ويختم العقد بأسماء الشهود.ففي النص رقم IM 52624 ،من تل حرمل، يؤرخ في عهد الملك دادوشا ١٨٠٠ ق.م ملك أشنونا،جاء في هذا النص اقتسام ملكية لناديتو شماش بين إختوها،على الشكل التالي:(في مسألة ملكية زيباتوم Zibbatum ، ناديتو شماش، بساتين ومنزل. نانا- مانسوم Nanna-Mansum ستأخذ حصتها مضاعفة، وإختوها سيأخذون حصصاً متساوية.أمة وعبد،رجل بالغ وفتاة صغيرة، حسبما هو موجود،حصة نانا- مانسوم.عشتار- بوليتي Istar- Bullit ، حابيل- آبوم Habil- Abum،وعلي- واقارتوم Ali - Waqartum ،(الذين) كانوا الموظفين الوسطاء. حصة وارخوم- ماجير Magir - Warhum هي(الأمة)آبوخوم- ليور Apwhum - Liphwur وطفل رضيع . و حصة أمكيل- سين Imgil Sin هي(الأمة) بيلي - اوساريد Beli - Awsarid .هم اقتسموا.قلبهم راضٍ.هم سوف لن يتراجعوا. أحد لن يرفع ادعاء ضد الآخر. إذا أي منهم رفع ادعاء تظلم،هو سيدفع ؛ مينا من الفضة.هم اقسما بتشباك و دادوشا Dadusa الملك. الشهود،هم الساكاناكو Sakkanakku زارالولو Zaralulu الراشدون في مدينته، والساكاناكو اتاسوم Atasum الراشدون في مدينته)^(٣).

¹ - Ibid., p 54.

² - Steele, L. D., op .cit ,p307.

³ - Ellis, M . D .J ., The Division of Property at Tell Harmal , Journal of Cuneiform Studies, Vol . 26, No. 3, the oriental institute of the university of Chicago, 1974 , pp 133-134.

قام إخوة الناديتو زيباتوم باقتسام تركتها، وكانت الحصة الأكبر والمميزة لأختهم التي تدعى نانا - مانسوم والتي تضمنت عبداً بالغاً وأمة بالغة. وقد تم تقسيم تركة الناديتو بحضور موظفي المعبد الذين أصبحوا المسؤولين المباشرين عن أملاكها والحفاظ عليها، وقد لعبوا دور الوسيط والشهود في عملية التقسيم، وهم عشتار - بوليتي، حابيل - أبوم وعلي - واقارتوم. في حين كانت حصة أخيها وارخوم - ماجير أمة مع طفلها الرضيع. وحصة أخيها الثالث أمكيل - سين أمة واحدة. ونجد أن العبيد كانوا أهم ما تملك الناديتو زيباتوم. وبعد إتمام عملية القسمة أوردوا شرطاً جزائياً على من يخالف هذا النص ، ويدعي على أي من إخوته الآخرين، ومضمون هذا الشرط أنه يدفع غرامة تقدر بنحو ٢٠٠٠ غراماً من الفضة. واختتمت الوثيقة بالقسم باسم الإله تيشباك والملك دادوشا. وإيراد أسماء الشهود الذين كانوا من كبار رجالات مدينة أشنونا .

وهناك نص آخر رقمه CT 8 5a ،تضمن العديد من الممتلكات وأمة، تركتها الناديتو لابنتها بالتبني كإرث لها، جاء في النص: (ثلاثة حقول صغيرة ومنزل محاط برواقين، وأمة واحدة ،قد ورثتها ابقو- إيليشا Ipqu - Ilisa من الناديتو موناويرتوم Munawwirtum، التي كانت قد تبنتها كابنتها وجعلتها وريثة لها)^(١).

وهناك أمثلة لنساء - ناديتو اللواتي تركن عبيدهن وممتلكات أخرى لورثتهن الخاصين. فقد جاء في النص رقم Ha , CT 2 41 ، ميراث يخص الناديتو شات- آيا Sat - Aya بنت شماش- إيلوم Samas - Ilum ،وقد ظهر وكيل أعمالها المدعو أمات- مامو Amat - Mamu بن شا- إيليشو Sa Ilisu - كوريت لها . في هذا النص أمات - مامو استلم ممتلكات شات - آيا التي كانت ورثتها من والدها ، والتي تضمنت (حقل و منزل محاط برواق، حقلان صغيران، ثلاثة إماء، بقرة واحدة، وستة خراف، استلمتها سابقاً من والدها قبل وفاته). الجزء الأخير من النص ذكر أنه طالما كانت شات - آيا على قيد الحياة، سيستمر أمات - مامو بخدمتها ودعمها بعدد من المواد الاستهلاكية الضرورية^(٢) .

٤- العبيد كجزء من المهر لكاهنات المعبد :

ومن مصادر العبيد الأخرى التي كانت تحصل عليها كاهنات المعبد هو المهر الذي كان يقدم لهن عند زواجهن سواء من قبل والديهن أو من أزواجهن. فبعض الكاهنات كان يسمح لهن بالزواج وهن ناديتو مردوك والكولماشيتو والشوجيتو، وأما ناديتو شماش فقد كانت معزولة ولا يحق لها الزواج. والمهر الذي

¹ - Seri , A ., op . cit , p 54 .

² - Ibid ., p 53 .

كانت تأخذه الفتاة الناديتو من والديها عند زواجها يصبح ملكاً لها ويعاد إلى إختها بعد وفاتها. وعلاوة على ذلك، يكون الوالدان المستقبلان للناديتو في الرواق بمثابة والديها الحقيقيين، فقد كانا يستلمان هدية الخطوبة البيبلو أو هدية الزفاف تيرخاتو من إدارة المعبد^(١).

وفي نصوص جهاز العروس أو مهرهن نجد أن العقود لها شكل واحد وفقرات مشتركة، حيث يأتي على الشكل التالي:- اسم الإماء وعددهن - المجوهرات - مواد اللباس (ثياب - معاطف - بطانيات - حقائب) مواشي (خراف - أبقر - ثيران)، مواد استهلاكية - مواد مطبخ وأثاث منزل وأحجار رحي، ثم يأتي ذكر اسم العروس واسم والدها، ثم اسم والد العريس واسم العريس - قيمة المهر - فقرة بخصوص ممتلكاتها في المستقبل - القسم بالآلهة والملك، وأخيراً أسماء الشهود وأختامهم. ولكن هذا الأسلوب يختلف بعض الشيء بعدد الفقرات وثمان المهر والشروط الجزائية من مكان إلى آخر. ولدينا العديد من النصوص الدالة على ذلك، سنورد هنا ما يتعلق بمهر الكاهنات، ففي النص التالي رقم No.84، الذي يؤرخ في عهد عمي - ديتانا، مهر لكاهنة مردوك، الناديتو ليوير - ايساجيلا **Liwwir - Esagila** التي ستزوج من ابن كاهن عشتار واراد - شماش **Warad - Samas**، وفي مقدمته أمتين. يقول النص: (أمة واحدة باسم بيلاداتوم **Belladatum**، أمة واحدة باسم شارات - سيبار - [.....] **Sarrat - Sippar** ستة شيقل من الذهب كحلقات أذن، واحد شيقل من الذهب كحلقة من أجل مقدمة أنفها، اثنان أساور (الليد) من الفضة بوزن أربعة شيقل، أربعة خلاخل (أساور قدم) من الفضة بوزن أربعة شيقل، عشرة ثياب، عشرين غطاء رأس، بطانية واحدة، معطفان، حقيبة جلد واحدة، ثور واحد، بقرتان، ثلاثين خروف، عشرين مينا من الصوف. غلاية نحاس واحدة بسعة ثلاثين لتر، واحد حجر رحي لطحن الدقيق، سرير واحد، خمسة كراسي، خزانة زينة واحدة، واحد [.....]، سلة قصب واحدة. ستون لتر من زيت بذر الكتان الجيد، عشرة لتر من زيت عطري في جرة شكتم. صندوق خشبي واحد، اثنان مشط للصوف، ثلاثة أمشاط شعر، ثلاثة ملاعق خشب، اثنان نول خشب؟ وعاء خشب واحد، واحد رف خشب صغير. امرأة واحدة [.....]، رجل واحد؟ قيشتي - ايلبرات **Qisti - Ilabrat**؟ كل هذا يكون مهر ليوير - ايساجيلا الناديتو؟ كاهنة مردوك بنت أويل - سين **Awil - Sin** بن أمكور - سين **Imgur - Sin** قد أعطاها، وجهاز لها لتدخل بيت أوتول - عشتار **Utul - Istar** كاهن عشتار بن كو - إنانا **Ku - Inanna**، كزوجة لأبنة واراد - شماش. الآن نصفاً مينا من الفضة كمهرها قد ضم إلى ملكيتها ويعاد إلى والدها في القانون

¹ - Harris , R ., the naditu woman , p109 .

أوتول- عشتار، في أيام المستقبل جميع أطفالها سيرثونها. هم اقساموا بشماش، مردوك والملك عمي- ديتانا). تبع بأسماء ستة شهود ذكور، منهم الكاتب. حافة اللوح غطيت بطبعات أختام متنوعة محطمة^(١).

من خلال هذا الجهاز نجد أن الأمتين تأتيان في مقدمة هذه المواد وفي هذا دليل على أهمية الإماء للعروس بشكل عام، وقد ذكر من بين الجهاز أيضاً تقديم امرأة ورجل يدعى قيشتي- ايلابرات ومن المحتمل جداً أن يكونا من العبيد. وللعبيد والإماء أهمية كبيرة فهم بالإضافة إلى قيامهم بالأعمال المنزلية المختلفة كطحن الدقيق، والذي يؤكد ذلك وجود حجر الرحي من بين جهازها، يُعدُّون مصدر دخل لها فقد كانت تؤجر عبيدها كعمال وخصوصاً في وقت الحصاد. ومن بين المواد المذكورة ١٠ كغ من الصوف ونول خاص بغزله، فقد كانت بعض الكاهنات وخصوصاً الناديتو تقضي بعض وقتها في الغزل، وقد تمكنت إحدى الناديتو من شراء أمة من خلال عملها بالغزل^(٢).

نصوص سيبار تشير إلى أن ناديتو مردوك ليس بالضرورة أن تتزوج. لكن إذا هي تزوجت لا يسمح لها بإنجاب الأطفال، لكن يمكن أن تجد لزوجها أطفالاً في إحدى الطرق التالية: من خلال تبني طفل، أو من خلال تزويجه من شوجيتو لتتجب لها أطفال، أو من امرأة حرة يتخذها كزوجة ثانية، أو من إعطائه أمة (كما سيأتي معنا لاحقاً)^(٣).

وفي نص آخر رقمه BE VI \ 101 يؤرخ في عهد الملك عمي - صدوقا، مهر لكاهنة أخرى هي الشوجيتوم، جاء ذكر الأمة على رأس القائمة من بين المواد التي ستأخذها معها كجهاز، يقول النص: (أمة واحدة (باسم) تارام- أكاد Taram - Agade، [.....] ثياب من واحد هي ستلبس، [.....] أغطية رأس من واحد هي ستلبس، [.....] حجر رحي لطحن الدقيق، واحد حجر مسن للحواف، اثنان جرة شكتم مملوءة بالنزيت، سريران خشب، خمسة كراسي متنوعة، واحد جارور خشب، زديتان خشب للطعام، ثلاثة ملاعق خشب. كل هذا يكون مهر داميقتوم Damiqtum الكاهنة - الشوجيتوم، بنت ايلماخي Ilimahi، الذي ايلماخي والدها وبيلتوم Beletum والدتها أعطياها وجهازها لتدخل إلى بيت سين- ايشميني Sin - Ismeanni بن تاريبو Taribu. الآن ثلث مينا من الفضة، يكون مهرها، ربط بجهازها ويعاد إلى سين- ايشميني زوجها، من ذلك اليوم فصاعداً أبناءها الخاصون يكونون ورثتها. طالما أن بيلتوم أمها على قيد الحياة، الأمة تارام- أكاد ستستمر في مساعدتها. بعد أن يدعو الإله الشخصي أمها بيلتوم

¹ - Ranke , H ., op . cit , pp 26 – 27 .

² - Harris , R ., the naditu Woman , p 132 .

³ - Ibid ., p 317 .

((إلى العالم السفلي))، هي ((تارام - أكاد)) تعود إلى داميقتوم ابنتها. في المستقبل لا أحد آخر سيدعي عليها. هم أقسموا بشماش، مردوك، والملك عمي - صدوقا^(١) .

من خلال المقارنة بين مهر الناديتو والشوجيتو، نجد أن الناديتو قد استلمت مهراً أفضل من الشوجيتو، فالناديتو استلمت في جهازها ثلاثة إماء وعبد، أما الشوجيتو فقد استلمت أمة واحدة فقط . وقد ورد في النص فقرة مفادها أن تبقى الأمة تارام - أكاد تخدم والدّة الشوجيتوم طالما أن الأم بيلتوم على قيد الحياة، وبعد وفاتها تعود الأمة إلى ابنتها داميقتوم. ولا يحق لأحد ادعاء ملكيتها بعد ذلك في المستقبل. وقد أقسموا بآلهة بابل العظمى شماش ومردوك والملك عمي - صدوقا .

جميع الإشارات للشوجيتو كانت في نصوص سيبار من عهدي عمي - ديتانا وومي - صدوقا، وقد يشير ذلك إلى أن الحالة كانت في فترة قصيرة. لكن وجودها مثبت في بابل منذ عهد حمورابي وذلك من خلال الإشارة إليها في قانونه^(٢).

العديد من الكاهنات وخاصة الناديتو كن من طبقات اجتماعية عليا في المجتمع، وبعضهن كن من أفراد الأسرة الملكية كما أسلفنا. ويظهر أنهن كن ثريات من خلال الهبات والتركات والمهور التي كانت تقدم إليهن أثناء دخولهن في خدمة المعبد وبعد دخولهن إليه والتي ضمت في معظمها عبيداً وإماء^(٣) .

- أعمال عبيد الكاهنات :

إن العبيد الذين كانت تحصل عليهم الكاهنات وخاصة الناديتو كانت لهم واجبات معينة. سواء القيام بأعمال الكاهنة المنزلية الخاصة أو بأعمال المعبد (كالتنظيف في رواقه وغير ذلك). فعلى سبيل المثال، العبد الذي أعطي لفتاة من قبل والدها سيقوم بنقل الحطب لها. وعبد آخر كان خياطاً (يخيط ثيابها) أعطي من قبل والد لابنته كإرث لها وهو على قيد الحياة^(٤). أولئك العبيد شكلوا نوعاً من الإعالة للكاهنات عندما يتقدم بهن السن، التي تعد جزءاً من متطلبات العائلة في أي مجتمع ومن ذلك المجتمع البابلي، فهي تعد من الأسباب الرئيسة في تكوين العائلة ومتى ما انقطع هذا السبب تفككت العائلة وأصبح

¹ - Dalley , S ., Old Babylonian dowries , Iraq vol. XLII , part 1 , British School of archaeology in Iraq , London 1980 . p 63 .

² - Harris , R ., Ancient Sippar , p 322 .

³ - Ibid ., p 109 .

⁴ - Ibid ., p 135 .

لكل فرد منها كيانه الخاص^(١). وقد وردت معنا الكثير من الإشارات إلى هذه الظاهرة، فنجد في معظم الأحيان أن الوالدين يهبان بناتهم اللواتي يدخلن في خدمة الرواق عبيداً وإماءً لخدمتهن. ومن الناحية الاقتصادية كان العبيد والإماء يلعبون دوراً مهماً بالنسبة للكهانات بشكل خاص وللمعبد بشكل عام، فهم بالإضافة إلى إنجازهم أعمال الكهانات المنزلية وأعمال الحقول كانوا مصدر دخل إضافي لهم. فعلى سبيل المثال، كان معظم عبيد الناديتو أمات - شماش Amat - Samas بنت مردوك - موشاليم - Marduk musallim من المزارعين. ومن أشهرهم شخص يدعى أويل - أدداد Adad - Awel كان عمله الرئيس في البساتين والحقول، وهي نفسها كانت متمرنة للعمل في الحقول^(٢).

المعبد بشكل مثير للاستغراب لا يدعم الناديتو عندما يتقدم بها السن وتضعف قوتها وتنقل حركتها. ويبدو أنه كان عليها أن تأمن دعماً لنفسها في المستقبل، وهذا ما دفع أمات - شماش بنت مردوك - موشاليم لإعطاء أمتها إلى أخيها كزوجة له على أن يعيّلها طيلة حياتها كضمانة لها. حيث جاء في النص رقم 33 Ha 90, TCL 1 الذي يؤرخ في عهد حمورابي: (أمة اسمها آيا - جميلات Aya - Gamilat، أعطتها أمات - شماش كاهنة شماش [...])، إلى شماش - خازر Samas - Hazir أخيها، كزوجة، طالما كانت أمات - شماش على قيد الحياة، شماش - خازر أخوها، يعيّلها، اليوم الذي يقول شماش - خازر، إلى أمات - شماش لن أعيلك، فإن آيا - جميلات، [...])^(٣).

آيا - جميلات هي أمة لكاهنة شماش في مدينة سيبار وقد وهبتها لأخيها شماش - خازر لتكون زوجة له. بهذه الطريقة ستحصل الأمة على حريتها في حالة وفاة زوجها الرجل الحر. كما اشترطت الكاهنة أمات - شماش على أخيها إعالتها طيلة حياتها مقابل إعطائها أمتها آيا - جميلات. كما يفهم من الجزء الأخير من النص المفقود، إذا قال شماش - خازر لأخته لن أعيلك تعود الأمة إليها.

كما أسلفنا كانت الكهانات يمارسن أعمالاً ونشاطات اقتصادية بالإضافة إلى عملهن في خدمة المعبد، ومن خلال أعداد العبيد الذين كن يحصلن عليهم بالطرق السابقة الذكر، فقد كن يلعبن دور الوسيط في تأجير عبيدهن، وكان يشترط عند تأجير العبد تحرير عقد بذلك وفق الصيغة الرئيسة المعتمدة في عقود

^١ - البكري، محمد عبد الغني، الإعالة في العصر البابلي القديم، مجلة آداب الرافدين - العدد ٥٤، جامعة الموصل، ٢٠٠٩ م، ص ٥٧٧.

^٢ - Harris, R., Ancient Sippar, p135.

^٣ - Seri, A., op. cit, p 53.

التأجير، فتبدأ بذكر اسم العبد أولاً وفي بعض الأحيان يذكر اسم المستأجر قبله، ثم اسم مالك العبد، ومدة التأجير، وسعر التأجير، وفقرة بخصوص إكسائه وإطعامه، والتاريخ، ولكنها تختلف في ترتيب الفقرات من مكان إلى آخر، كما ثبت ذلك من خلال النصوص المكتشفة في مدينة سيبار، والتي يؤرخ معظمها في عهد الملك ريم - سين، وقد جاء في إحداها ما يلي: (استأجر أويل - أدد بن سيليلوم عبداً اسمه إيلي ريماني من الكاهنة إريشتي - شماش بنت سين - بل أفلين، لمدة سنة، وسوف يتقاضى لقاء خدمته لمدة سنة خمسة شيقل من الفضة، وقد استلمت الكاهنة دفعة على الحساب شيقلين من الفضة، ويقع على عاتق المستأجر إكساء الأجير، ويُعدُّ يوم السادس عشر من أيلول من خدماته الفعلية)^(١). هنا حددت مدة الاستئجار بسنة، والأجرة خمسة شيقلات من الفضة (أي ما يعادل نحو ٤٠ غراماً، بمعدل ثلاثة غرامات ونصف من الفضة لكل شهر)، بالإضافة إلى ذلك يجب على المستأجر تأمين اللباس للعبد طيلة مدة الخدمة عنده، ويبدأ الاستئجار في شهر أيلول وهو شهر الحصاد في بلاد الرافدين. ويبدو أن هذا النوع من التأجير كان منتشراً في العصر البابلي القديم، ويدر أرباحاً طائلة على أصحاب العبيد حتى أصبح ذلك جزءاً من أعمال التجار والمرابين. وأصبح الأجراء ذوي نفع كبير لأصحاب رؤوس الأموال الصغيرة من المزارعين والحرفيين. فبالرغم من أننا لم نجد للعبيد دوراً أساسياً في الاقتصاد بشكل عام في هذا العصر، إلا أنهم وفروا مصدراً مهماً لعمال الزراعة خلال موسم الحصاد .

وفي عقد آخر من مدينة سيبار، لكاهنة شماش الناديتو روتوم Rutum بنت إيزي - غاتار - Ezi gatar، يؤرخ في عهد حمورابي، قامت فيه (بتأجير عبد وأمة وحقلين مساحتهما ١٨ غاين)^(٢). وعبدان وثوران لمدة سنة. أجرة الأمة كانت واحد كور من الشعير شهرياً، والعبد كانت أجرته ٤؛ ونصف شيقل من الفضة (١٠٠ لتر من الشعير)^(٣). نجد هنا أن أجرة الأمة ما يعادل نحو ٣٠٠ لتراً (أي بمعدل نحو ١٠ لترات يومياً). أما أجرة العبد فقد كانت أكثر بكثير من أجرة الأمة، حيث بلغت أجرته نحو ٣٦ غراماً من الفضة وكمية كبيرة من الشعير، وربما كان السبب في ذلك طبيعة العمل الذي سيقوم به.

^١ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ .

^٢ - غاين : وحدة قياس مساحات ، ١ غاين = ٦ م^٢ . انظر : الطائي ، المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

^٣ - Harris , R ., Ancient Sippar , P 344 .

وفي النص رقمه 71 \ 70 9 VAS ،يؤرخ في السنة الثالثة والأربعين من عهد حمورابي،نجد(أوات – آجا Aja – Awat بنت واراد – إيرا Warad – Irra ناديتو شماش تؤجر عبدها لمدة سنة وتستلم أجرته)^(١) .

وفي النص رقم 77 CBS ،استتجار أمة من مالكتها، يؤرخ إلى السنة الثالثة أو الرابعة من عهد سمسو – إيلونا، دفعت فيه الأجرة من الشعير،يقول النص:(أمة واحدة ، تدعى أما – دوموك – بيلتي Ama – dumuk – belti . لبث – عشتار Libit – ishtar قد استأجرها للخدمة من أمتي – شماش Amti – Shamash بنت شوبشا Shubisha ، مالكتها.كأجور للخدمة هي ستدفعها، عند البوابة المحاطة بالرواق،واحد كور من الشعير،وزنت بميزان شماش)^(٢) .

كانت كاهنات شماش يلعبن دوراً مميزاً في تأجير عبيدهن،وهنا قامت أمتي – شماش بتأجير أمتها، ومن خلال الأجرة المدفوعة التي تساوي نحو ٣٠٠ لتراً من الشعير يبدو أن مدة التأجير كانت شهراً واحداً.الأجرة كانت تدفع في معظم الأحيان من المواد العينية.

في بعض الحالات كانت تقوم الناديتو ببيع عبدها أو أمتها إلى ناديتو أخرى.حيث نجد في النص رقم 13 \ xi \ 8 , si 21 OLA من سيبار قيام الناديتو(أمات – مامو Amat – mamu ببيع أمتها انونيتوم – أومي Annunitum – Ummi التي كانت ولادة منزل إلى ناديتو أخرى)^(٣) .

هذه الأموال التي كانت تكسبها الناديتو من تأجير عبيدها أو من بيعهم تساعد في زيادة ثروتها والأنفاق على نفسها وعندما تكبر في السن يكون ذلك ضماناً لها .

ومع سقوط مملكة بابل الأولى سنة ١٥٩٥ ق.م على أيدي الحثيين،اختفت طبقة النساء الناديتو من المشهد إلى الأبد ولم تظهر بعد ذلك^(٤) .

¹ – Harris , R ., the Naditu Woman ,p114 .

² – Chiera , E ., old Babylonian contracts ,pp 163 – 164 .

³ – Seri , A ., op . cit , p 51.

⁴ -Harris , R ., Ancient Sippar, p 135 .

ثانياً - عبيد القصر (عبيد الدولة):

القصر هو مكان سكن الملك وعائلته، وكان يضم أيضاً الحاشية الملكية وعدداً من الموظفين الإداريين وجمهوراً من الخدم والعبيد. فهو بالإضافة إلى كونه مكاناً للمعيشة، كان مركزاً سياسياً وعسكرياً أيضاً، فمنه كانت تصدر المراسيم والقرارات وتجييش الجنود وعقد لواء الحروب^(١).

كما كان يمثل مؤسسة اقتصادية أساسية مهمة في مدن بلاد الرافدين. وكانت موارد دخله هي من الضرائب والجزية التي كانت تتدفق إليه من المدن والبلدان الخاضعة لسيطرة الملك، والعائدات الملكية التي كانت تأتي من منتجات الأراضي الزراعية والورشات التابعة للقصر. وقد كانت المعابد تشكل جزءاً من السور حوله^(٢). فقد أصبحت المعابد منذ عهد حمورابي جزءاً من أملاك القصر، ولم يعد مؤسسة مستقلة بذاتها، وحتى الكهنة أنفسهم الذين كانوا يمارسون شعائهم وطقوسهم الدينية بشكل مستقل أصبحوا من جملة موظفي القصر^(٣).

هذه التبدلات الجوهرية في البناء الاجتماعي والاقتصادي في العصر البابلي القديم، نتجت بسبب الظروف السياسية والاقتصادية التي رافقت دخول الأموريين كقوة حاكمة في بلاد الرافدين. وما يمكن ملاحظته من تطورات في هذه الفترة هو تقلص دور المعبد في الهيمنة على حياة الأفراد، واختفاء نظام التمويل وطبقة الغوروش شبه الحرة، والتي كان يقوم عليها النظام الاجتماعي والاقتصادي السومري. وظهور الإقطاع كنظام بديل لذلك. وأخيراً ظهور مالكي العبيد بأعداد كبيرة نسبياً، وازدياد أهمية أسرى الحرب باعتبارهم عبيداً للدولة التي أصبح يمثلها القصر في هذا العصر^(٤).

كان مصدر القصر الرئيس من العبيد هو أسرى الحروب. وقد مر معنا العديد من الرسائل الموجهة إلى زمري - ليم من قبل قواده ومندوبيه التي توضح ذلك بشكل صريح، ففي معظم تلك الرسائل يذكر أن هناك حصّة للقصر من أسرى الحرب (انظر الفصل الثاني - أسرى الحرب). وهنا سنورد رسالتين في هذا الخصوص، ففي الرسالة رقم 47 27 المرسلّة من حاكم قطونان إلى وزير زمري - ليم في ماري، نجد أنه يحدثه حول حمير وخراف وعبيد قد غنموها يجب أن تُعطى للقصر، يقول: (إلى شو - نوخرا - خالو Su

¹ - Sallaberger , W ., and others ., The palace and the temple in Babylonian, the Babylonian world , edited by Gwendolyn , L , New York and London , 2007, p 265 .

² - Oppenheim , A . L ., Ancient Mesopotamia , p 104 .

^٣ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

^٤ - الرويج ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

Halu - Nuhra - أتحدث! أخوك زاكيرا - حمو يقول، بهذا أنا كتبت لوح و أرسلته إلى الملك. حول الحمير والخراف [.....]. الملك كتب، وهم أعادوا الفرسين إلى الحجز. يانابي - إيل **Yanabbi - El**، دليل الجنود، أخذ ٢٠ خروفاً. و ١١ جندياً اقتسموا تلك الـ ٩٠ خروفاً، ٦ - ٧ لكل واحد. وهم لم يعطوا القصر أيّاً منها. الآن، أحضر ذلك اللوح لرعاية الملك، وأنا سأجمع تلك الخراف من أجل القصر. وحول الـ ستة عبيد الذين زمري - أدو أخفاهم في بيته - هو [.....] ^(١).

من خلال هذه الرسالة يبدو أن جنود ماري المتمركزين في مدينة قطونان قادوا معركة وغنموا فيها حميراً وخرافاً وعبيداً، ولكنهم لم يرسلوا حصة للقصر منها. وبما أن حاكم قطونان زاكيرا - حمو يحكم هذه المدينة باسم الملك زمري - ليم وهو المسؤول عن إخبار الملك بكل صغيرة وكبيرة، نجده يكتب إلى وزير زمري - ليم شو - نوخرا - خامو ليخبر الملك عن هذه الغنيمة التي تقاسمها دليل جنود ماري في قطونان يانابي - إيل مع الجنود الآخرين دون أن يرسلوا حصة للملك. وقد كان عدد الخراف مئة وعشرة خروفاً، أخذ دليل الجنود منها ٢٠ خروفاً، وتقاسم باقي الجنود وهم أحد عشر جندياً البقية، فنال كل واحد من ستة إلى سبعة خراف. وبالمقابل أخذ قائد جنود ماري ستة عبيد وأخفاهم في بيته. ولسوء الحظ نهاية الرسالة مهشمة، ولكننا نستطيع تخمين مضمونها، أن زاكيرا - حمو يطلب من الوزير أن يخبر الملك بالأمر، وأنه في الوقت نفسه سيقوم بجمع الخراف وإرسالها للقصر، وسيأخذ العبيد من زمري - أدو ويرسلهم أيضاً. هذا يبدو نوعاً من التمرد على الحاكم والملك، وهو أمر منطقي، ولكنه نادراً ما يحدث أن يقوم الجنود مع قائدهم باقتسام الغنائم دون علم الملك أو إرسال حصة لقصره على الأقل.

ولكننا نجد حالة تمرد أخرى في المدينة نفسها، ولكن ليس من الحاكم نفسه. ففي الرسالة رقم FM 71، المرسله من حاكم قطونان إلى الملك زمري - ليم، نجد أنه يشكو فيها من تصرفات أسرى الحرب، ويشكو من قيام بعض موظفي القصر بالتمرد عليه ومحاولتهم قتله، يقول: (إلى سيدي أتحدث! خادمك إيلشو - ناصر **Ilsu - Nasir** يقول، حول الجنود أبناء يامينا **Yamina** ^(٢) الذين اعتقلوا أمامي - هم استهلكوا حبوب القصر. الموجودة هي حصص الحبوب لمدة شهر واحد. سيدي يجب أن يكتب لي، وسيدي يجب أن يفعل ما هو ضروري لتصرفات هؤلاء الرجال. عبدايا **Habdiya** ^(٣)، الذي

¹ - Heimpel, W., op. cit., p 427.

^٢ - أبناء يامينا : هي قبائل بدوية خانية كانت تنتشر بين خانا و ماري . انظر : Ibid., p603

^٣ - عبدايا : هو المسؤول التنفيذي في قصر ماري ، و رسول ملكي من أجل بضائع و سلع منزلية خاصة للقصر . انظر : Ibid., p 534

يخدم تحت قيادتي، قد اعتقل خانين Haneans ليعملوا في القصر وأحضروهم إليه. وهو احترامهم وأعطاهم كمية من الحبوب. هو وميموم Memium أثارا الهيجان بين العامة، هذان الرجلان أرادا قتلي. الذي بدأ بإصدار القرارات هو شوبيشا Subisa. هم قالوا أن الملك لم يكن ملكاً، الحاكم ليس حاكماً في مدينة قطونان. بعد أن اتخذ هؤلاء الرجال هذا القرار، أنا لم آمن على نفسي. في حال هؤلاء الرجال اعتقلوني ونهبوني، الجنود في السجن وأولئك الذين أحدثوا الخندق ربما [.....]، أو في حالة أخرى [.....] صنعت، أنا أرغب [.....] أمام المنطقة. سيدي يجب أن يعرف!)^(١).

يبدو أن قبائل أبناء يامينا كانوا ينتشرون على ضفة الفرات اليمنى بين ماري وخانا وقد كانوا يثيرون القلاقل ضد مملكة ماري، مما جعل إيلشو - ناصر حاكم قطونان يشن عليهم هجوماً لتأديبهم، فاعتقل منهم أسرى و سلمهم لعبداي لكي يأخذهم إلى قصر ماري كغنيمة حرب. ولكن عبداي أحسن معاملتهم وأعطاهم كمية كبيرة من الحبوب، فقاموا باستهلاكها جميعاً في عدة أيام، في حين هي كانت مخصصة للقصر لمدة شهر. وكتب لسيده ليخبره ماذا يمكن أن يفعل معهم؟

فمن المعروف أن هؤلاء الأسرى أصبحوا عبيداً وعلى القصر إطعامهم وإكساؤهم مقابل القيام بأعمال القصر والمشاريع المختلفة. وبما أنهم ليسوا عبيداً بالولادة فمن الصعب ترويضهم بسهولة، إذ قاموا باستهلاك الحبوب غضباً من استعبادهم. بالإضافة إلى ذلك، قام عبداي بالتقرب منهم، ويبدو أنه كان يخطط لثورة على الحاكم فاتخذ من هؤلاء الأسرى جنوداً له، وقد ساعده في هذا العصيان موظفان آخران من القصر هما ميموم وشوبيشا اللذان أنكرا الملك والحاكم، والحاكم يخشى على نفسه منهم، وقد قام هؤلاء الأسرى بحفر خندق في السجن، وفي النهاية المهشمة يبدو أن إيلشو - ناصر يطلب من سيده المساعدة من أجل القضاء على تمردهم .

والمصدر الآخر لعبيد القصر هو الشراء، ففي الرسالة رقم 117 27 الموجهة من قائد جنود ماري في قطونان إلى زمري - ليم ، نجد أنه يتحدث عن شراء عبيد للقصر من مدينة أدمرص، يقول: (إلى سيدي أتحدث! خادمك زمري - أدو Zimri - Addu يقول، مدينة قطونان والمنطقة بخير. ياتاروم Yatarum بن لاروم Larum، أرسل ١٠ مينا من القصدير (مع رسوله) إلى أرض أدمرص ليشتري عبيداً. وهو أعطى ١١٢ مينا من الفضة إلى شوب - رام Sub - Ram . رسول ياتاروم وجد أنه ليس هناك عبيد ليشتري. الرسول ترك ذلك القصدير، جميعه بلوحيه مختوم، في أمانة باصوم Bassum في دير Dir [.....]. أنا كتبت إلى باصوم كالتالي : المسألة هي مسألة (خاصة) للقصر. العشرة مينا من

¹ - Ibid ., p 521 .

القصدير التي غلام ياتاروم ترك لك جميعاً بلوحيه مختوم - أخوك يجب أن يأخذوا ما يملك ياتاروم ويحضرانه إلى سيدي. هذا أنا ما كتبت. وحتى الآن رسولي لم يعد برسالة لي، كذلك أو ليس كذلك. الآن، أنا كتبت إلى سيدي. سيدي يجب أن يكتب لي، كذلك أو ليس كذلك^(١).

ما نفهمه من هذه الرسالة، هو قيام أحد موظفي القصر وهو ياتاروم بإعطاء عشرة مينا من القصدير إلى أحد رسله لشراء عبيد لقصر ماري من منطقة أدمرص، التي يبدو أنه كان فيها سوق للعبيد هناك فمعظم النصوص تذكر عبيداً من تلك المنطقة. على أية حال، الرسول قام بإعطاء شوب - رام نحو ٢٥٠ غراماً من الفضة (تساوي نحو ٣١ شيقلاً) الذي ربما كان تاجراً أو وسيطاً في بيع وشراء العبيد في المنطقة، وهذا المبلغ ربما كان رعبوناً، ولكن الرسول لم يجد عبيداً مناسبين ليشتريهم، لأن العبيد المطلوب شراؤهم للقصر ولا يمكن شراء أي عبيد إذا لم يكونوا يمتلكون مواصفات جيدة. لهذا ترك الرسول ثمن العبيد (العشرة مينا من القصدير) بعهدته شخص يدعى باصوم كان يعيش في مدينة دير على نهر البليخ. ونظراً لتأخر وصول العبيد وثنهم، قام زمري - أدو بإرسال رسالة إلى باصوم يذكره فيها أن العبيد يخصون القصر، ويجب إرسال العشرة مينا من القصدير التي أُعطيت لياتاروم إلى القصر. ويبدو أنه لم يتم شراء العبيد للقصر ولم يتم إرسال ثمنهم، وهنا يستشير سيده زمري - ليم في ما يمكنه فعله؟

١ - العبيد كهدايا للملوك والحكام :

كان تبادل الهدايا أمراً متعارفاً عليه بين ملوك الشرق الأدنى القديم كافة، ومن هذا العصر لدينا العديد من الرسائل الموجهة من وإلى الملوك والحكام وكبار الموظفين والأسرة الملكية بخصوص العبيد والإماء كهدايا. ففي رسالة موجهة من أوשאشوم Usasum بن عبدا - إيل Abda - El إلى صهره بيلالاما^(٢) ملك أشنونا، نجد أنه يتحدث عن جنازة عبدا - إيل وعن عدد من المواد الثمينة التي يجب أن يرسلها بيلالاما لأوشاشوم، كما يطلب من بيلالاما أن يرسل له عبداً من عبيد القصر المميزين كهدية، حيث يقول: (قل لبيلالاما Bilalama: أنا أخوك أنا جسدك وأنت الدم. الغريب سيكون غير ودود في حين أنا دعمت قراراتك، والآن أنت، اهتم بحالتي. اجعلني مهماً في عيون الأموريين. الأشياء المتوقعة أن ترسلها لأجل عبدا - إيل: واحد كأس ذهبي، ثلاثة كؤوس فضة، واحد ثوب لاماخوشوم، ثوب من أفضل نوعية، كؤوس

¹ - Ibid ., pp 451 - 452 .

² - من خلال الرسالتين رقم ١١ و ١٢ الموجهتين إلى بيلالاما تظهران أنه كان متزوجاً من ابنة عبدا - إيل . أخوها هو أوשאشوم وأمها باتوم . (يعني بيلالاما كان صهرهم) . انظر :

Whiting , R ., Old Babylonian letters from tell Asmar , Assyriological studies . No 22, the oriental institute of the university of Chicago . Illinois , 1987, P 27.

برونزية متنوعة، واحد مقلاة نحاس، أنت تعرف كم يجب أن ترسلهم لي، لا تمنعهم عني. علاوة على ذلك، الرسل من جميع جهات الأرض جاؤوا إلى جنازة عبدا- إيل وجميع الأموريين مجتمعون. في حين أنت تنوي أن ترسل لجنازة عبدا- إيل، والدك، ترسله منفرداً. أرسل لي طفلاً، لا تمنعه عني. وإذا كنت أخي، أرسل لي طفلاً من ماشكان- شارو Maskan - Sarrum، لا تمنعه عني. حتى وإن كلف ١٠ مينا من الفضة، أرسله لي، اجعلني مشهوراً. أرسل لي الأشياء التي كانت محبوبة تماماً كما كتبت لك. [.....]. لماذا ممتلكاتك مهمة؟ عين وكيل ودعه يهتم بها. إنها سوف لن تكون مهمة! (١).

بالرغم أن اسم المرسل لم يذكر بشكل صريح في الرسالة، إلا أنه كان بالتأكيد أوشاشوم بن عبدا- إيل. فالرسالة تطلعنا على موت عبدا- إيل، الذي كان يشغل منصب رابيان-أموريم Rabian- Amurrim (٢). ويبدو بوضوح من أسلوب هذه الرسالة أن أوشاشوم لم يتوقع أن يستلم منصب والده بسهولة، لكنه كان من الضروري أن يكون أختير له وأن الخطوة كانت عاملاً مهماً في هذا الاختيار. والرابيانوم كان الوسيط بين حاكم أشنونا والقبائل الأمورية (٣). وهذه الرسالة تشير إلى أن أوشاشوم كان قلقاً لتولي منصب والده. من الواضح أن وراثة منصب مهم كالرابيانوم لم يكن أمراً سهلاً، ويبدو أن أوشاشوم كان مختاراً لهذا المنصب. ومعظم ما جاء في الرسالة إلحاح أوشاشوم على بيلالاما من أجل الوقوف إلى جانبه للنجاح في مهمته في هذا المنصب. ويطلب من بيلالاما أن يرسل له هدايا ثمينة مميزة حتى يبين للأموريين أنه مهتم بأمر صهره. ثم يلح في طلب عبد طفل من الماشكان شاروم الذي ربما كان من عبيد القصر المميزين وإن كان ثمنه يكلف ٥٠٠٠ غراماً من الفضة وهو سعر عالٍ جداً للعبد. وهذه مسألة ذات أهمية كبيرة لأن إرسال هذا العبد كهدية له تجعله مميزاً أمام الأموريين. لأننا نعلم أن إرسال الهدايا الجنازية الثمينة أمر متعارف عليه بين الملوك والقادة وغيرهم من كبار رجالات الدولة، ولكن إرسال هذا العبد بالتحديد ربما كان له وقع خاص لدى أوشاشوم بشكل خاص وفي نفوس الأموريين بشكل عام.

وهذه الرسالة مهمة للغاية، ليس لأنها تسلط الضوء فقط على العلاقة بين أوشاشوم وبيلالاما بل لأنها أيضاً تظهر العلاقة بين سكان الأموريين وحاكم أشنونا، كما تطلعنا على أن جنازة زعيم أموري مسألة عامة مهمة لجميع القبائل الأمورية التي احتشدت لحضورها. وعند هذه النقطة كان النص مشوهاً. وقد اختتم

¹ - Ibid ., 49 – 50 .

^٢ - رابيان-أموريم : منصب مهم في الجيش ، يعني قائد الأموريين ، وفي ماري كانت طبقة حكومية تقوم بالعلاقة بين الجيش و القصر . و في يحاض و أشنونا وبابل كانت طبقة أوجال مارتو أو وكيل أموروم ، وهو قائد عسكري فعال يرأس أشخاصاً كباراً في الجيش وتعداد عسكره ٣٠٠٠ مقاتلاً . انظر : Stillman , N , and Tallis , N., Armies of the Ancient near east 3000 – 539 B . C , England , 1984. P 21.

³ - Whiting ,R ., op . cit , p 50 .

أوشاشوم رسالته بنصيحة قدمها لصهره بيلالاما عن كيفية حفظه لممتلكاته. وفي هذا تبدو غير أوشاشوم على أملاك صهره بيلالاما.

وفي رسالة أخرى موجهة إلى بيلالاما أيضاً من أم زوجته (حاته) باتوم **Battum** (أم زوجته)، نجد أنها تحته فيها على إعطائها عبيداً وإطلاق سراح عبيد يخصونها، تقول الرسالة: (قل لبيلالاما: هكذا تقول باتوم: أنا يجب أن أعتد عليك في مكان عبداً - إيل. لمن أستطيع أن ألتف (خلفه)؟ لو كان عبداً - إيل على قيد الحياة، هو سيعطيني عبيداً آخرين. أياً يكن [.....] إنك قد امتلكت عبداً ليس لك. عبيدي ليسوا عبيدك. ابن شو - إشخارا **Su - Ishara** ذهب إلى آشور بأعمال تخصه. مارا - إيل **Mara - El**، عبدك، أرسله. واعتبره لك، عبيدي عملوا كأسياء وأذهب حيث هم يريدون إذا كنت صهري وأنا أمك، أنا يجب أن أكون في بالك. لا تجعلني غير سعيدة. أطلق سراح عبيدي لكي لا يفقد محصوله وهو يجب أن لا يموت من الجوع. بسبب ذلك العبد، أنا أتيت إليك بجلدي. إذا أنت كنت ابني، عيون أعدائي [.....]. توقف دموعي. وتاجري الذي أنا أرسلته إلى هناك - كم سيبقى - دعه يعود!)^(١).

هذه الرسالة موجهة إلى ملك أشنونا بيلالاما أيضاً من أم زوجته. فالسيدة باتوم كانت زوجة عبداً - إيل وأم أوشاشوم. من المؤكد أن هذه الرسالة جاءت بعد وفاة عبداً - إيل، وربما كان من الواجب على بيلالاما الاهتمام بأم زوجته التي أصبحت أرملة. على أية حال، هي تطلب من بيلالاما أن يكون سنداً ومعيلاً لها بعد وفاة زوجها. ثم تتذمر من نزع ملكية أحد عبيدها وامتلاكه من قبل بيلالاما. وبعدها تذكر أن ابن التاجر شو - إشخارا قد ذهب بتجارة إلى مدينة آشور ولم يعد. نجدها بعد ذلك تطلب من بيلالاما أن يرسل لها أحد عبيده وهو مارا - إيل، ربما ليقوم بإنجاز بعض الأعمال لها، تريده بشكل مؤقت وستعيده عندما ينهي أعمالها. ومن المثير هنا أنها تطلب من بيلالاما أن يمتثل لأوامر عبيدها، وربما أولئك لم يكونوا عبيداً بالمعنى الحقيقي، وربما كانوا أحد أتباعها المقربين الذين تعتمد عليهم، وربما أرسلوا إلى بيلالاما من أجل إعطائهم العبد الذي يخص باتوم والذي كان محجوزاً عنده، لأننا نجدها تلح في طلب ذلك العبد من بيلالاما بنوع من الرحمة والعاطفة، حيث تُذكره بقولها: إذا كنت صهري وأنا أمك يجب أن تهتم بأمرى وأن تجعلني سعيدة. وفي النهاية نجدها تذهب بنفسها من أجل ذلك العبد. ثم تسأل عن تاجرها وكم سيبقى عند بيلالاما وتطلب منه أن يرسله إليها، وربما كان التاجر نفسه ابن شو - إشخارا الذي ذهب بتجارة إلى آشور و في طريق عودته أبقاه بيلالاما عنده؟.

¹ - Ibid ., p 52 .

وفي الرسالة رقم IM 51294، المرسل من ملك أشنونا الرابع عشر دادوشا نجد فيها أنه يطلب أمة من ناناتوم، شكانكوم **sakanakkum** (حاكم) **Saduppum** شديوم^(١)، يقول: (إلى ناناتوم **Nannatum** أتحدث! هذا ما يقول دادوشا **Dadusa** وشيما-آخاتي **Sima - Ahati** :بخصوص الرسالة التي أنا وضعت حزن قلبي أمامك، أنا كتبت لك (سروري) لكن أنت لم تُعْطِ الأمة. بالتأكيد يكون في عيونك احترام لنا (الاستعداد) لتُعْطِي. دَع قلبي بسلام! الحاجة مُلِحَة في المنزل! لا تحجز الأمة عني!)^(٢).

المرسل دون شك هو ملك أشنونا وشيما-آخاتي ربما تكون زوجته. يبدو أن هناك تبادل احترام بين الملك وحاكمه فلا نجد في الرسالة صيغة الأمر بل صيغة الاحترام والمودة، وربما كان دادوشا وزوجته بحاجة شديدة لهذه الأمة في القصر التي يلح في طلبها من ناناتوم.

وفي الرسالة رقم 547 26 المرسل من مندوب ماري في مدينة كركميش^(٣) إلى زمري - ليم، بخصوص إعطاء أمة إلى أحد جنود ماري المتمركزين هناك، نجده يقول: (إلى سيدي زمري - ليم أتحدث! خادمك صدقوم - لانسي **Sidqum - Lanasi** يقول، أنت كتبت لي كالتالي: أنت قلت، [A] أمة من بين عبيدي للجندي تجهز كهدية، والذي هو ملكها في بيته - وهو لم يستطع أن يأخذها كزوجة، وهو لديه ولد منها- [.....] أنا استمررت بسماعه، و [.....] ليشتري [.....] أرض خاخوم **Hahhum**، خاشوم **Hassum**، و [.....] زلوار **Zalwar** [بقية اللوح محطم])^(٤).

يبدو أن هناك حامية من جنود ماري متمركزة في كركميش، ولكن هذه المدينة لم تكن خاضعة لماري. وربما كانت صديقة حميمة لها. أياً يكن، فقد كتب صدقوم - لانسي إلى زمري - ليم يخبره عن الأمة التي طلب منه أن يعطيها كهدية لأحد جنوده في كركميش ربما جزاءً لإخلاصه للملك، وقد أخذها إلى بيته وأنجب منها ولداً، ولكنه لم يستطع أن يتخذها كزوجة شرعية، ربما لأنها كانت أمة. ويبدو أن هذا الجندي

^١ - شديوم : من المدن المهمة التي كانت تابعة لمملكة أشنونا ، يسمى التل الذي يضمها اليوم تل حرمل الذي يقع في ضاحية بغداد الجديدة الحالية في شرقي بغداد و يطل على قناة الجيش . ومعظم النصوص المكتشفة في التل تُورخ إلى عهد دادوشا و ابنه إيبال - بيل الثاني ، انظر : حنون ، حقيقة السومريين ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

^٢ - Goetze , A ., fifty old Babylonian letters from Harmal , SUMER , A Journal of archaeology and history in Iraq , vol . 14 , No. 1 – 2 , 1958 .p69.

^٣ - كركميش : مدينة قديمة مهمة تقع في شمالي سورية على الضفة اليمنى للفرات ، وتعرف حالياً باسم جرابلس على الحدود السورية التركية . انظر : مرعي ، رحلة في عالم الآثار ، المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

^٤ - خاخوم و خاشوم وزالوار : اراضٍ في منطقة الفرات الأعلى بالقرب من مدينة كركميش . انظر : Heimpel , W ., op . cit , p 610.

^٥ - Ibid ., pp 409 – 410 .

كان يحظى بمكانة مرموقة لدى الملك، ولذا نجد زمري- ليم يطلب منه أن يشتري أراضي على ضفاف الفرات القريبة من كركميش. ولسوء الحظ بقية النص مهشم.

وفي الرسالة رقم 85 27 المرسلة من حاكم قطونان إلى زمري- ليم، نجده يحتج فيها على عملية مبادلة غير عادلة حول إحدى إماءه، يقول: (إلى سيدي أتحذث! خادمك زاكيرا- حمو يقول، مدينة قطونان والمنطقة بخير. حول تحرير الأمة لرسول حيا - سومو Haya - Sumu بخصوص ما كتب لي سيدي، أقبل بأمة أخرى كبديلة عنها وأحررها كزوجة له! - أنا تفحصت بالكامل. تلك الأمة هي إيكالاتاني Ekallatani. تلك الأمة كانت لا تزال تحت سن البلوغ. وتلك الأمة هي نساجة. أنا رأيت أن تلك الأمة جميلة. والأمة التي أخذتها كبديلة كبيرة في السن. أنا لن أطلق سراح تلك الأمة إيكالاتاني للرسول حيا- سومو. الآن، إماء وعبيد في منزل سيدي من أدمرص وسوبارتوم - إذا (كانت) رغبة رسول أدمرص أن يأخذ الأمة الجميلة، التي رآها في منزلي. الآن، إذا كان يجب علي أن أطلق سراح تلك الأمة، سيدي يجب أن يكتب لي، كذلك أو ليس كذلك، أنا كتبت رسالة رمز عبوديتي إلى سيدي)^(١).

يشتكي زاكيرا-حمو في هذه الرسالة إلى سيده زمري- ليم، بخصوص أمتة التي رآها رسول ملك إلان صورا في قصره وأعجبته فطلبها من الملك زمري- ليم كهدية، الذي طلب من زاكيرا-حمو أن يعطيها للرسول كزوجة له، والملك سيعوضه بدلاً عنها بأمة أخرى، والعملية غير عادلة فأمة زاكيرا- حمو كما ذكر كانت جميلة وصغيرة في السن بالإضافة إلى ذلك كانت نساجة وهي ميزات جديرة بالاهتمام. أما الأمة التي بعثها له سيده فكانت كبيرة في السن وغير جميلة. ثم يذكر لسيده أنه هناك الكثير من الإماء في القصر من مدينتنا أدمرص وسوبارتو، كن يتمتعن بالجمال، وفي هذا دليل على رغبة زاكيرا- حمو أن يرسل له سيده إحدى تلك الإماء الجميلات بدلاً من تلك الكبيرة في السن. ولكننا نجده في النهاية لا يريد أن يغضب سيده وهو مستعد لتحرير تلك الأمة، وإهدائها إلى رسول الملك حيا- سومو، ويختتمها بالتذلل والانصياع لأوامر سيده.

كما مر معنا إن منطقة أدمرص والمناطق المحيطة بها في منطقة جبل سنجار إلى جبل عبد العزيز كانت تدين بالولاء لملك ماري زمري- ليم، وقد أراد زمري- ليم من تقديم هذه الأمة كهدية لرسول الملك للحفاظ على روابط سياسية وعسكرية بين المملكتين، ورسول الملك يمثل الملك نفسه، والهدية المقدمة له كأنها مقدمة للملك نفسه .

¹ - Ibid , p 440 .

٢ - أعمال عبيد القصر :

يبدو أن عمليات البناء الشاملة التي رعاها الملوك في هذا العصر قد أدت إلى استخدام أعداد كبيرة من العمال والعبيد. ومما لاشك فيه أن تنفيذ مشاريع الدولة كان يقع بالدرجة الأولى على عبيد القصر (عبيد الدولة) الذين يمثلون أدنى مراتب العبيد بالقياس إلى عبيد المعبد وعبيد الملكية الخاصة، ولا يعني هذا أن عبيد الملكية الخاصة كانوا مستثنين من الخدمات الرسمية لمشاريع الدولة^(١).

إن جمهور عبيد القصر في العصر البابلي القديم يتكون بالدرجة الأولى من أسرى الحرب كما أسلفنا، ويبدو أنهم كانوا يسكنون في معسكرات تقيمها الدولة تدعى بيت الأسر BIT asir، ويشرف عليها مسؤولون يدعى الواحد منهم وكيل أسير wakil asiri. ويبدو أن تلك المعسكرات تضم بالإضافة إلى أسرى الحرب عبيداً وأشخاصاً يذكرون في بعض الأحيان بمهماتهم. ومثل هؤلاء يمثلون عبيد القصر أو أشخاصاً أنزلت بحقهم عقوبة العمل القسري. ويبدو من نصوص عديدة أنه بإمكان المواطنين استئجار أولئك النزلاء من بيت الأسر. فقد جاء في أحد النصوص أن شخصاً استأجر عبيدين من بيت الأسر لغرض الاعتناء بدواجه وفي نص آخر استئجار أمة من بيت السجن. وفي ثالث استلام سبع إمء وخمسة أطفال. وفي نصوص أخرى الإشارة إلى استلام نسوة نساكات من مشرف السجن^(٢). وهذا الاستئجار لعبيد القصر، يتم وفق نص مكتوب وكفالة كانت تشمل عدة فقرات رئيسة، فيتم ذكر اسم العبد أولاً، ومبلغ الكفالة، وأسماء الكفلاء، وأخيراً الشرط الجزائي الذي يتحمل مسؤوليته الكفلاء في حال اختفاء أو هروب العبد مضمون هذا الشرط أنهم سيكونون عبيداً بدلاً عنه. كما جاء في النص التالي: (كفالة أو ضمان لعبد القصر آن - ماباني An - Mabani مقابل خمسة مينا فضة، وقد استلموه كل من مانوم Manum، أجوشينا Ajušina، إيكونو lakunu، وإيسيان lasian وفي حالة يختفي أو يهرب (يوضع) مانوم وأجوشينا وإيكونو وإيسيان مكانه)^(٣). يبدو أن هؤلاء الأربعة قد استأجروا عبداً من عبيد القصر ومن خلال المبلغ المدفوع يبدو أنها أجرة سنوية فهي تعادل نحو ٢٥٠٠ غراماً من الفضة، وهو مبلغ عالٍ جداً .

تشير النصوص المسمارية إلى أن الرافديين القدماء عرفوا نوعين من الكفالة: كفالة تنتصب على المال وأخرى تنتصب على النفس. واستخدام الكفالة لم يكن مقتصرًا على طبقة الأحرار، بل كانت تطبق على العبيد

١ - الرويج ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

٢ - المرجع نفسه ، ص ١٨١ .

٣ - عيسى ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

أيضاً، فبعض العبيد استخدم الكفالة لضمان تنفيذ التزاماته المنصوص عليها في العقود، وفي بعض الأحيان تكون الكفالة على سلامة العبد الصحية والجسدية وعلى موته أو هربه^(١).

هناك العديد من نصوص الرسائل التي تخص عمل عبيد القصر وصلتنا من مدينة شديوم، ولكن لا يذكر فيها اسم الملك، ولكننا نعلم أن معظم النصوص من هذه المدينة كانت في عهد آخر ملكين في أشنونا هما دادوشا وإيبال- بيل الثاني). ففي الرسالة رقم IM 51503، المرسل من نانا - مانسيم^(٢) Nanna - Mansim مشرف أعمال القصر إلى أوكونومي مشرف حقول القصر، نجد ما يأتي: (إلى أوكونومي oiconomi أتحدث! هذا ما قال نانا- مانسيم: بخصوص ثور الحراثة من شديوم- سيدي أعطني طلباً مكتوباً لتكليفهم. أنا تحدثت إلى سيدي كالتالي: هذا ما أنا قلت: الـ شكناكوم (الحاكم) في شديوم قد مات، لا يوجد هناك أحد. ثور الحراثة المطلوب كان تحت سيطرة مالك الأراضي (be-li ki)^(٣). الذي سيجهزهم؟ سيدي أجنبي كالتالي: هذا ما قال سيدي: الثيران وسائقوهم الخاصون بمنزل مالك الأراضي لا تضع يدك عليهم. حدد لي الثيران المناسبة للقصر والعمال الشباب بقدر ما يكون موجوداً لكي أستطيع أن أكلفهم (للعمل). ليس هناك ثور واحد مناسباً. أنا تفحصت المكان في منزل مالك الأراضي. إلى وارخوم- ماجير Warhum - Magir، الشكناكوم في شديوم، لا ثور واحداً قد أعطي، أنا وجدت أربع عمال رجال و ثلاثة فتيات مناسبين للقصر وأنا كلفتهم له. ثور واحد مناسب لا يوجد، هكذا أنا لم أستطع إعطاء (أي) له. عندما أنا نقلت الخبر لسيدي، هذا ما أنا قلت: لا ثور واحداً قد أعطي له، والموجود عمال شباب أنا كلفت له. هناك لا يوجد ثور مناسب للقصر، (هم كانوا فقط) خاصين لمالك الأراضي. سيدي أجنبي كالتالي: هذا ما قال سيدي: أنا لا أملك عبيداً في منزلي (حالياً) للبدء بالعمل في المستقبل القريب متى هم سيكونون موجودين، ذكرني أن أزودكم بالثيران والعمال الشباب، لا يجب أن أخطئ التقدير! هذه توجيهات بيل- ليتير Bel - Liter الشكناكوم. الآن أنا ألوم هنا للجزية التي وقعت على المدين. لمدة خمسة أيام من الآن علي أن أنتظر لاستلام بقية الجزية، الدين للمنزل. السبب

^١ - المرجع نفسه ، ص ١٢٤ .

^٢ - نانا- مانسيم : كان يحتل مرتبة أدنى من مرتبة الشكناكوم (الحاكم) ، ولكن رغم ذلك كان يستلم رسائل مباشرة من الملك، عمله الرئيس كما يبدو من خلال النصوص هو الإشراف على القصر وبخاصة الأراضي و الحقول والمعاملات التجارية . انظر : Goetze , A ., op . cit , p7

^٣ - مالك الأراضي : من خلال نصوص تل حرم (شديوم) يبدو أنه كان موظفاً مهماً في القصر ويمتلك مساحات شاسعة من الأراضي (كالإقطاعي في العصور الحديثة) .

لأنني كتبت أن الثيران كانت مشتتة. هذا ما أنت احتملت أنه سيقول: حتى الثيران مشتتة لم تكتب لنا. هكذا، أنا كتبت لك (الآن) لأذكرك^(١).

يبدو أن نانا- مانسيم كتب إلى أوكونومي من أجل حراثة حقل تابع للقصر في مدينة شديوم الذي كان قد أمره به حاكم المدينة الشكناكوم قبل وفاته، والمشكلة أنه لا يوجد ثور في القصر لحراثة هذا الحقل، وربما كانت الثيران مؤجرة لأشخاص آخرين أو ربما كانت مستخدمة في حراثة حقول أخرى تابعة للقصر؟ والثيران الموجودة هي ملك لسيد الأراضي (الإقطاعي إن صح التعبير) في المدينة، وقد أمر نانا- مانسيم أن لا يأخذوها منه. ولذلك يطلب نانا- مانسيم من أوكونومي المشرف على فلاحه الحقول أن يخصص له ثيراناً وعمال شباباً للقيام بحراثة الحقل. ولكنه لم يجد ثوراً لهذا العمل، وكل ما وجدته هو أربع عمال رجال وثلاث فتيات وقد أرسلهم إلى وارخوم- ماجير الذي ربما كان موظفاً إدارياً مهماً في القصر، فكلفهم بحراثة الحقل دون ثور. وفي نهاية الرسالة يبدو أنه بعد وفاة الحاكم في المدينة تولى المنصب بدلاً عنه شخص يدعى بيل- ليتير، حيث أخبره نانا- مانسيم بما حصل للحقل، وأخبره أن عبيد قصره ليسوا موجودين في الوقت الحاضر، وطلب منه الحاكم الجديد أن يذكره لكي يرسل له العبيد والثيران فيما بعد لإنجاز هذا العمل. وفي ختام الرسالة نانا - مانسيم يلوم أوكونومي بسبب الجزية التي كان يجب أن تدفع إلى القصر من قبل أشخاص مدينين له وهو المسؤول عن تحصيلها، وقد أعطاه مهلة خمسة أيام لتحصيلها، وكذلك يلومه بسبب عدم وجود أي ثور في القصر لحراثة حقوله. من خلال هذا النص يبدو أن العبيد والعمال الأحرار والثيران كانوا عناصر أساسية في فلاحه أراضي القصر.

وفي رسالة أخرى رقمها IM 51234، رسالة من نانا- مانسيم إلى وارخوم- ماجير من أجل محصول السمس التابع للقصر، نجد ما يأتي: (إلى وارخوم- ماجير أتحديث! هذا ما يقول نانا- مانسيم: بخصوص السمس الذي طلب من الحقل المتعلق بالقصر هم تحدثوا لي وأنا كتبت لك وفقاً لذلك. بقدر ما أنا مهتم، أنا لن أخفي الشيء عن القصر كما رأيته. الآن، عند ذلك أنا أرسلت بوريا Buria إليك. هو سيبقى عاملاً للسمس عند الحاجة كلما طلبوه. إذا حصل أي خلاف يتحملون المسؤولية، و(الناس في) القصر سيسمعون (حوله). ثانياً: أمامه يصبح واضحاً، أنا أريد أن أراك. أحكم السيطرة على عبيد القصر وسكان المدينة بقدر ما يكون هناك، لأنهم ربما يتلفون (السمسم؟). عندما يُطلب السمس، ستكون المسؤول أمام القصر^(٢).

¹ - Ibid , pp 15 – 16

² - Ibid ., pp 35 – 36 .

هذه رسالة من نانا-مانسيم إلى موظف آخر في القصر هو وارخوم-ماجير لا تبدو وظيفته واضحة في هذه النصوص، وربما كان موظفاً إدارياً مهماً في قصر مدينة شدوبوم. أياً يكن، يبدو أن هناك مشكلة قد حدثت في حقل السمسم التابع للقصر، وقد وصل الخبر إلى نانا-مانسيم الذي قام بالكتابة إلى وارخوم-ماجير مع نوع من التهديد أنه سيبليغ القصر عن كل ما سمع عن حقل السمسم، وينبئه من أجل الاهتمام بهذا المحصول، كما أرسل إليه أحد عبيد القصر أو عماله الخاصين يُدعى بوريا ليعمل في هذا الحقل عند الحاجة، ويكرر تنبيه وارخوم-ماجير إلى إحكام السيطرة على عبيد القصر وسكان المدينة الذين ربما يقومون بفعل ما ويتلفون السمسم، ولكن لماذا يتلفونه؟ ربما يكون السبب عدم إعطائهم أجورهم المتفق عليها أو حصة من المحصول؟ أو بسبب الإهمال؟. وربما كان للعبيد وسكان المدينة سوابق في إتلاف المحاصيل وإلا لما وجدنا نانا-مانسيم يحذر الموظف المسؤول من ذلك .

وفي رسالة أخرى من شدوبوم رقم IM 51114، رسالة من موظف آخر في القصر هو كالموم Kalumum^(١) إلى والده ناناي Nannai، نجد ما يأتي: (إلى ناناي أتحدث! هذا ما يقول كالموم: أنا مشغول هنا ولذلك لا تأت. رجل (قد أخذ) الحقل في مكاني].....[عندما يصل العبد إلى المنزل من عيلا م؟ ضعه ليعمل في الحقل لكي يستطيع أن أخبر مالك الأراضي].....[إذا (أنت تكون) والدي (تحمل) مسئولياتي. عندما يأتي لحراثة الحقل (في السؤال) - دعه يعمل سداً لمنع الفيضان الذي تكتل- ضفافه].....[، اسمح له أن يسقيه بالمياه و يجهز البذار! لا تعطله!]^(٢) .

يبدو أن كالموم كان مشرفاً على أحد الحقول التابعة لمالك الأراضي، وكان كالموم ووالده مسؤولين عن هذا الحقل، وقد جاء شخص آخر واستلم الحقل بدلاً عنهما، فكتب إلى والده ليخبره بما حصل وأن هناك عبداً قد استجلب من عيلا م ليعمل في هذا الحقل، فيكتب إلى ابنه تعليماته بأن يجعل العبد يحرق الحقل ويعتني به وأن يزرعه ويسقيه بالماء، لكي يستطيع إبلاغ السيد مالك الأراضي بأن حقله أصبح محروثاً ومزروعاً ومعتنى به، حتى لا يدع الشخص الآخر يستلم مكانه ويأخذ منه الحقل.

وفي رسالة موجهة من الملك إيبى- إيشوخ ١٧١١ - ١٦٤٧ ق.م إلى مسؤول قضاة سيبار نجد فيها أنه يطلب (إرسال أربعة إماء، وكذلك إرسال شخص وأخيه مع مؤنهم إلى حاكم مدينة [.... DUR] لحصد حقل الملك المؤجر). وفي هذا الخصوص يبدو أن مستأجر الحقل في بعض الأحيان يكتب إشعاراً

^١ - كالموم : يبدو من نصوص شدوبوم أنه موظف مهم في القصر ، والمشرّف على الحقول eqlu sabu ومخازن الشعير .
انظر : Ibid ., p 8

^٢ - Ibid , pp 71 – 72 .

بحاجته إلى العمال. وذلك عندما يحين وقت الحصاد . ففي رسالة موجهة من امرأة، قد تكون مستأجرة لحقل إلى سيد المقاطعة تخبره (بأن حقل السمس لم يعين من يحصده حتى الآن)^(١).

وفي رسالة أخرى من الملك إيبى- إيشوخ إلى الموظفين في مدينة سيبار- أمنانوم - Sippar Amnanum^(٢) بخصوص حصاد حقول رئيس الجمعية، من أجل إحضار ١٦ رجلاً من موظف السوسوكو sussukku^(٣) وأربعة عبيد أطفال من القاضي لكي ينجزوا أعمال الحصاد^(٤). من خلال هذه الرسائل يبدو أن القاضي في سيبار هو المسؤول عن حصاد الحقول الملكية، ولديه العديد من عبيد القصر تحت إمرته، الذين كان لهم دور فعال في مواسم الحصاد، وبخاصة في الحقول الملكية.

٣ - احتجاز عبيد القصر :

هناك العديد من المشاكل التي كان يتعرض لها عبيد القصر، يأتي في مقدمتها الهرب (وستحدث عن ذلك لاحقاً) والاحتجاز والسرقة من قبل الآخرين، ففي الرسالة رقم T 309 a، المرسلة إلى بيلالاما بشأن أمة محتجزة عنده، وربما كان مرسل هذه الرسالة أحد الحكام أو الملوك، نجد ما يأتي: (قل لبيلالاما: أنا- عشتار- تاكلاكو Ana- Istar-Taklaku تكون أمة أراد- شارا Arad - Sara. أنا سأرسل لك أيضاً ثمنها أو أمة مساوية. لا تحجزها)^(٥).

من خلال نص الرسالة وأسلوبها يبدو أن المرسل يقف على قدم المساواة مع المستلم ملك أشنونا، ويبدو أن بيلالاما كان قد أعجب بتلك الأمة وأخذها لنفسه، ويبدو أنها تخص أحد مندوبي المرسل أو موظفيه المهمين في القصر الذي كان يحظى بمكانة عالية عند سيده، ولذلك نجده يهتم بنفسه بإعادة الأمة إليه، فقد كتب إلى بيلالاما وعرض عليه ثمنها أو أمة مساوية لها لإعادتها. ويبدو أن هذه الأمة مميزة لدى

^١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

^٢ - سيبار أمنانوم : مدينة صغيرة بالقرب من مدينة سيبار ، وهي مدينتها التوأم ، وتقع أطلالها اليوم في تل الدير ، الذي يبعد نحو ٣٠ كم جنوبي غربي بغداد ، كما يبعد نحو ٦ كم شمال غربي مدينة سيبار . انظر : Bertman , S ., op . cit , p 30.

^٣ - السوسوكو : يبدو أن هذا الموظف كان تحت إمرته حقول القصر الكبيرة ، التي كانت بحاجة إلى عدد كبير من عمال السخرة للعمل بها . كما كان يعمل وسيطاً بين القصر ورعاة الأغنام . انظر : Harris , R ., Ancient Sippar, op. cit , pp 66 – 79 .

^٤ - Ibid ., p 65 .

^٥ - Whiting , op . cit , p 64.

مالكها الأصلي وإلا لما عرض ذلك لاستعادتها، ولو لم تكن كذلك لتخلّى عنها واشترى أمة أخرى بدلاً عنها.

وفي الرسالة رقم T 142، الموجهة من أوشاشوم إلى خليفة بيلالاما، أوصور - أوسو - **Usur-Awassu**^(١)، نجد أنه يطلب منه تحرير خراف وأسماك وعبدین تابعین لقصره، يقول: (قل لـ أوصور - أوسو: هكذا يقول أوشاشوم: [.....] لماذا هو يُسَرَقُ؟) (بخصوص) ٢٠٠ خروف وعنزة، ثلاثة أسماك الحَبَّار، غلامان، إذا كنت ابني، أطلق سراح كل هذا. [.....] أنصفه أطلقت سراحه، نصفه حبست. اترك الجميع. الرجل الموجود أساء المعاملة بشكل سيء جداً)^(٢).

الكاتب في هذه الرسالة هو أوشاشوم الذي كان قريب بيلالاما، ويبدو أن أوشاشوم قد استلم منصب الرابيانوم لفترة طويلة، ولذلك نجده قد عاصر بيلالاما وخليفته الثاني أوصور - أوسو واستخدامه تعبير (إذا كنت أنت ابني) تعني أن أوصور - أوسو ربما يشير إلى علاقة زواج قديم وإلى اختلاف العمر بين المرسل والمستلم^(٣). ويبدو أن أوصور - أوسو كان قد احتجز الخراف والأسماك والعبدین الخاصين لأوشاشوم لسبب ما، ويطلب منه إعادتهم إليه جميعاً، لأنه قد أبقى قسماً منهم عنده.

وفي الرسالة رقم 26 295، الموجهة من أوصور - أوسو إلى يسمخ - أدو الآشوري ملك ماري، نجد أنه يحدثه حول عبدین من عبيد القصر محتجزين عند إيلي - إيمتي **Ili - Imitti** في مدينة قطارا، حيث يقول: (إلى سيدي يسمخ - أدو أتحدث! خادمك أوصور - أوسو) يقول، الطباخ صيلي - تيشباك **Silli - Tispak**^(٤)، الذي كان سيدي قد أرسله إلي، اقترب مني وتحدث إلي. هو (قال)، نيكيسيدا - أبي **Nikkissida - Abi** وشيب - سين **Sep - Sin** هما غلاماي. إيلي - إيمتي احتجزهما في قطارا. وسيدي كتب، وهو (إيلي - إيمتي) لم يجب بكلمة. وأولئك الغلمان لم يبقوا في القصر. هم بقوا في

^١ - أوصور أوسو : موظف مسؤول عند يسمخ - أدو، وربما كان المسؤول عن الصوف و الألبسة للجنود وعن المعادن في قصر ماري . انظر : Goetze , A ., op . cit, p 562.

^٢ - Ibid ., p76.

^٣ - Ibid ., p 77 .

^٤ - صيلي - تيشباك : كبير الطباخين أو رئيسهم في قصر ماري . انظر : Ibid ., p 557

منزل إيلي- إيميتي.سيدي يجب أن يكتب (مرة أخرى)،وهم يجب أن يوصلوا أولئك الغلمان إلي.إذا لم يكن كذلك،[.....] (١).

يخبر أوصور- أوسو في هذه الرسالة سيده يسمخ - أدو عن عبيدين من عبيد القصر محتجزين عند أحد موظفي مدينة قطارا، وهذان العبدان كانا يساعدان كبير الطباخين صيلي- تيشباك في قصر ماري،وهو من أخبر أوصور- أوسو بقضية احتجازهم.ثم يخبر سيده يسمخ- أدو عن امتناع إيلي - إيميتي من إعادة هذين العبيدين إلى القصر على الرغم من كونه مأمور بذلك،ولم يرد على الأوامر وتجاهلها،وعلاوة على ذلك أخذهم إلى بيته،وفي النهاية يرجو من سيده أن يكتب إلى حاكم قطارا ليعيد العبيدين إلى قصر ماري .

وفي الرسالة رقم 26 275 المرسلة من ساميتار بن لاؤوم Laum إلى زمري- ليم،نجد أنه يخبره فيها عن مرض حاكم ساغاراتوم،وأن سكان قصره وعبيده خائفون على مصيرهم من الاحتجاز وأخذهم من القصر إذا ماحدث شيء لسيدهم ومات،فيقول:(إلى سيدي أتحدث! خادمك ساميتار Sammetar يقول،اليوم أنا أرسلت لوجي هذا إلى سيدي، سومخو- رابي Sumhu - Rabi (٢) لسوء الحظ أصبح مريضاً.في ذلك اليوم(هو قال)قدمي تضررت.مثلما قدمه(هو قال) تضررت.وأي مفاجئة قد تعرض حياته.أنا خشيت أنهم سيسمعونه في منزله،وعبد وخادمة سيخافون.سيدي يجب أن يعطي تعليماته،وتحت أي ظرف يجب أن لا يدعوا الخوف ينتشر في منزله(٣).

هذه الرسالة مرسلة من حاكم مدينة ترقا ساميتار الذي ربما أصبح حاكماً على مدينة ترقا التابعة لمملكة ماري بعد والده لاؤوم إلى الملك زمري- ليم،يخبره فيها أن حاكم مدينة ساغاراتوم سومخو- رابي قد كُسِرَت قدمه وأصبح مريضاً،هذا الأمر جعل أفراد أسرته ومنهم خدم وعبيد القصر قلقين على مصيرهم إذا ما حدث لسيدهم مكروه وإن توفي ستعم الاضطرابات والفوضى في القصر،ويرجو من زمري- ليم أن يتخذ الإجراءات اللازمة ويصدر أوامره إلى المسؤولين لمساعدة سومخو- رابي وعائلته وعبيده وضبط الأمن في المدينة.

¹ - Ibid ., p 287 .

^٢ - سومخو - رابي : خليفة عبو - داجان كحاكم على مدينة ساغاراتوم ، التي تقع على ضفاف الخابور الأدنى ، من قبل الملك زمري - ليم . انظر : Ibid ., p 556

³ - Ibid ., p 281 .

وفي الرسالة رقم (M. 7099) D.C 302 ،الموجهة من يمصوم مندوب ماري في مدينة إلان صورا إلى زمري- ليم، نجد أنه يخبره فيها عن أوضاع المدينة والجيش، وعن دسيصة عليه مضمونها أن ياسيم - إيل قد احتجز سبعة عبيد من حصّة القصر من أسرى الحرب وأودعهم عنده وقد أخفاهم عن زمري- ليم، فكتب إلى سيده هذه الرسالة لنفي الدسيصة، يقول: (قل لمولاي أن قال خادمك يمصوم: إن جيش ومدينة مولاي بحالة جيدة. كان سيدي قد أمرني- ونحن في مدينة إلان صورا مايلي: عليك أن تذهب إلى مدينة إلان صورا. وتراقب ما أمرتك به. والواقع أن أحداً! ذهب لملاقاة مولاي ودس عليّ بهذه العبارة (ياسيم- إيل قد أوكل إلى يمصوم سبعة عبيد من نومخ، لقد استهان بقسم أيتور- مير Itur - Mer^(١) وبمولاي) ثم يتابع في الرسالة نفيه لصحة ما جاء في هذه الدسيصة وبالقسم على ذلك^(٢). الرسالة طويلة (ملحق النص).

يخبر يمصوم سيده زمري- ليم في هذه الرسالة أن الأوضاع جيدة في مدينة إلان صورا، وأنه يقوم بواجباته على أكمل وجه. ويبدو أن هيا- سومو ملك إلان صورا هو من وشى بيمصوم عند زمري- ليم أنه قد أخذ سبعة عبيد نومخييين من ياسيم- إيل مندوب ماري في مدينة أنداريج وأخفاهم في بيته، وهؤلاء العبيد يخصون قصر الملك، وأنه خالف القسم بالإله مير وبالمملك زمري- ليم. ويتابع يمصوم إخبار زمري- ليم أن هاقبا- حمو مندوب ماري في مدينة كوردا لهذا السبب قام بإحضاره إلى ملك إلان صورا هيا- سومو لمقابلة العبيد النومخييين والتحقق من الأمر، ولكن على الرغم من أنهم لم يجدوا شيئاً ضده، فقد شدّد عليه المراقبة هيا- سومو وضايقه كثيراً، وهذا ما شكل عداوة بينه وبين ملك إلان صورا الذي ما انفك يلقي التهم عليه. ويبدو أن العبيد النومخييين قد وصلوا إلى قصر ماري وانتهت المشكلة.

وفي الرسالة رقم 118 27 ،المرسلة من زمري- أود حاكم مدينة قطونان إلى زمري- ليم، نجد أنه يتحدث فيها عن قيام أحد رجال مدينة ترقا باختطاف اثنين من عبيد القصر التابعين لماري، يقول:

(إلى سيدي أتحذث! خادمك زمري- أود يقول، مدينة قطونان والمنطقة بخير. [.....] إيبال - بي- إيل Ibal -pi-El^(٣) كتب إلى ساميتار، إشخي- ليم Ishi-Lim اختطف غلماني في خاميقادوم^(٤))

^١ - أيتور- مير : الإله مير أو وير ، هو من آلهة الجو ، عند الساميين الغربيين ، و يقابل الإله أدد و أشكر ، و في عيد الأكيثو في ماري كان يحتفل في بيت خاص بالإله مير . انظر : النعيمي ، راجحة خضر عباس ، الأعياد في حضارة بلاد الرافدين ، دار صفحات ، دمشق ، ٢٠١١ م ، ص ٧٧ .

^٢ - عبد الله ، المرجع السابق ، ص ٣٥ - ٣٦ .

^٣ - إيبال - بي - إيل : هو رئيس الرعاة وقائد عسكري في قطونان . انظر : Heimpel , W ., op . cit , p 540.

^٤ - خاميقادوم : مكان بالقرب من مدينة أشخوم الملكية على الطريق إلى كانيش . انظر : Ibid ., p 611 .

Hammiqadum،[.....]أرض علاقاتهم مسالمة معنا. الآن،إذا أنت تؤمن بإرضائي حقاً،أنظر حول أولئك الغلمان لأجلي وحررهم لي!في أرض علاقاتهم مسالمة معنا. هذه رسالة خطية أرسلها إيبال- بي- إيل إلى ساميتار،وساميتار حرر الغلمان.أولئك الغلمان رأهم إشخي- ليم على الطريق وأخذهم مباشرة إلي.وهم تحدثوا إلي كالتالي:هذا الرجل الذي اختطفنا في خاميقادوم.وهو أنكر الغلمان،قال،أنا لم أخطفكم.وقال لي منفرداً،أرسل لنا ساميتار ثلاثة غلمان،ونحن خطفنا أولئك الغلمان.أنا وضعت ذلك الرجل في السجن.الآن،أنا كتبت إلى سيدي،سيدي يجب أن يكتب لي،كذلك أو ليس كذلك.[.....] (١).

هذه الرسالة من زمري- أدو إلى زمري- ليم،يخبره عن قيام إيبال- بي- إيل رئيس الرعاة في قطونان بإرسال رسالة إلى حاكم ترقا ساميتار،يشتكى فيها من قيام أحد أتباعه في ترقا المدعو إشخي- ليم باختطاف عبيدين من عبيد القصر وهم في طريقهم إلى كانيش بالقرب من مكان يدعى خاميقادوم،وعلى الرغم من أنه كانت هناك علاقات سلمية معهم إلا أنهم قاموا بالاعتداء على حقوق جيرانهم واختطاف عبيد تابعين لقصرهم،ويطلب من ساميتار أن يحرر أولئك العبيد،وقد قام بالفعل بتحريرهم.وبعد تحريرهم يخبر زمري- أدو سيده زمري- ليم أنه التقى مع العبيدين اللذين أخبراه أن إشخي- ليم قد اختطفهم في خاميقادوم،ولكنه أنكر اختطافهم،وأخبره بشكل سري أن ساميتار هو من اختطفهم وأرسلهم إلي،ولكنه كان مراوغاً وكاذباً،وبالتالي بعد أن أثبتت عليه تهمة الخطف وُضِعَ في السجن،ولذلك يطلب زمري- أدو من سيده أن يرسل تعليماته في ما يفعل بإشخي- ليم ؟.

وفي الرسالة رقم 4156 (IM.208201)No.1،المؤرخة في عهد إيبلي- إيشوخ والتي وجدت في تل أبو عنتيك^(٢)،نجد الحديث عن قيام شخصين باحتجاز عبد تابع للقصر،يقول النص:

(إلى موشاليم،ومردوك- إيل،قال،هكذا يقول أويل- مردوك، عسى الإله شماش والإله مردوك أن يحفظاكما،العبد بيلشونو،أعتقاه،وأرسل رسالتي(عسى أن تذهب رسالتي)إلى الشهود)^(٣).

¹ - Ibid., p 452.

^٢ - يعود هذا النص من حيث المكان إلى التل المعروف بأبو عنتيك بيكاسي قديماً ، وهو تل يقع في ناحية المهناوية في محافظة القادسية على بعد حوالي ٥٠ كم جنوب مدينة بابل ويقع إلى الغرب من مدينة مرد بحدود ١٥ كم من الموقع. انظر : منشد ، منشد مطلق ، نصوص مسمارية اقتصادية من موقع أبو عنتيك ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، مج ١٦ ، العدد الثالث ، جامعة القادسية ، ٢٠١٣ م . ص ٤٣١ .

^٣ - فهد ، سعد سلمان ، رسائل مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد ١٧ ، أيلول ، جامعة بابل ، ٢٠١٤ م . ص ٥٦٥ .

الرسالة هنا قصيرة، ولكن ما يمكننا فهمه هو أن مرسل الرسالة أويل-مردوك ربما كان مشرف القصر في بابل، وأن المرسل إليهما ربما كانا موظفين مسؤولين في مدينة بيكاسي التابعة لبابل، وهو يطلب منهما إطلاق سراح العبد بيلشونو الذي قاما باحتجازه عندهما، ويبدو أنه كان من عبيد القصر في بابل .

ثالثاً - العبيد الخاصون (عبيد المنزل):

العبيد الخاصون، هم عبيد ولادة منزل (wiliid bitim)، ولدوا ونشؤوا في المنزل، وكانوا يعاملون في كثير من الأحيان كأحد أفراد الأسرة المالكة لهم. وقد تم الحصول عليهم في بداية الأمر عن طريق الشراء أو كانوا من المدنيين هم وزوجاتهم وأطفالهم أو كانوا غنيمة حرب وكانوا حصة أحد الجنود المشاركين في الحرب، أو تم الحصول عليهم عن طريق التجارة. وقد أسكنوا وخدموا في المنازل، ونتيجة تعاملهم واحتكاكهم المباشر واليومي مع أفراد الأسرة أصبح هناك نوع من الألفة والمحبة بينهم وبين تلك الأسرة، وأصبحوا مصدر ثقة له. وبما أن القانون سمح بالتزاوج بين طبقات العبيد وفي حالات خاصة مع الأحرار تكاثروا وازداد نسلهم فنتج هذا النوع من العبيد كما أسلفنا^(١).

الأسياذ والتجار كانوا يفضلون العبيد والإماء الذين كانوا من ولادة منزل أكثر من الذين جلبوا كأسرى حرب أو كأجانب إلى المدينة، وذلك لسهولة خضوع وانقياد عبد المنزل أكثر من الأسير، ونجد هذه الحالة موضحة من خلال الرسالة التالية التي تعود إلى هذا العصر، جاء فيها: (آنوم - بي - شماش **Anum - pi - Samas** أرشد إبنى - أد **Abni- adad** أن يشتري أمة إذا كانت ولادة منزل وإذا كانت نساجة)^(٢). العبيد من ولادة منزل كانوا مرغوبين في السوق، ففي هذه الرسالة تاجر طلب من وكيله أن يشتري له أمة شريطة أن تكون ولادة منزل، لأن هذا يضمن عدم تفكيرها بالهرب، ولأنها تكون أكثر قدرة على العيش الأسرة، واشترط أيضاً أن تكون نساجة، فمالكو العبيد اعتبروا عبيدهم سلعة لاستثمارهم في العمل الإيجاري لصالحهم، فهم يشكلون مصدر دخل إضافي لهم. وقد كان عمل الإماء بالنسيج منتشراً في ذلك العصر ومعظمهن امتلكن أموالاً كثيرة من هذه المهنة ومنهن من استطاعت شراء حريتها كما سيأتي معنا لاحقاً. ومن المحتمل أن معظم العبيد الماهرين في بابل وآشور كانوا ولادة منزل. ولكن على الرغم من ذلك كان هؤلاء العبيد يعاملون من ناحية السعر كباقي العبيد. والأمر الذي كان يلعب دوراً في سعر العبيد هو المواصفات الجيدة التي يملكها العبد، كالجمال وإتقان مهنة ما كما مر معنا سابقاً^(٣).

¹ - Oppenheim ,A. L ., Ancient Mesopotamia , p 75 .

² - Seri , A ., op . cit , p 58 .

³ - Mendelsohn ,I ., op . cit , p 57 .

يجب التمييز بين العبيد الذين ملكوا من قبل مؤسسات عظيمة كالمعبد والقصر . والعبيد الذين ملكوا من قبل أفراد وعائلات منزلية خاصة. فالعبيد الذين كانوا ولادة منزل كان لهم وضع مميز في العصر البابلي القديم، فبالإضافة إلى المعاملة الجيدة من قبل أسيادهم وأسرتهم، كانوا يتزوجون ويُتبنون، ويسمح لهم في بعض الأحيان بشراء حريتهم، كما كانوا يتحركون ضمن أملاك سيدهم بحرية^(١).

بصورة عامة لا يذكر هذا النوع من العبيد في المجال الاقتصادي إلا بأعداد قليلة، مما يوحي بأن معظمهم كان مستخدماً في الأعمال المنزلية، كطحن الدقيق وجلب المياه للمنزل والتنظيف وغير ذلك، ولا يعني هذا عدم وجود ملكيات كبيرة من العبيد، إذ كان يصل عددهم أحياناً في المزرعة الواحدة إلى عشرة عبيد وعشرة إماء، وأحياناً نجد أن ملكية شخص واحد من العبيد تصل إلى ثلاثة عشر عبداً وثلاث عشرة أمة. ولكن النصوص لا تذكر أعمالهم. ومن المرجح أنهم كانوا يعملون في حقول أسيادهم أو في بعض النشاطات الصناعية المنزلية كالنسيج أو أنهم كانوا يؤجرون ويتم التأجير بموجب عقد، ويستلم الأجرة سيدهم. كما كانوا يوهبون للأبناء والآباء ويورثون للأبناء^(٢).

١ - العبيد كهبة للأبناء والآباء:

عرفت الهبة في العصر البابلي القديم، وهي نوع من الإعالة، يهب شخص أو أكثر جزءاً من أمواله المنقولة أو غير المنقولة لشخص آخر دون مقابل، وقد تكون الهبة من الزوج لزوجته أو من الأهل للأبناء وغالباً ما تكون مهراً للابنة التي تقدم على الزواج، وقد تكون الهبة بين الإخوة أو بين أشخاص اعتياديين، أو تكون للمعبد وقد ذكرناها سابقاً^(٣).

كما أسلفنا عند بيع أو وهب أو تأجير أو توريث العبيد وغيرهم من الممتلكات المنقولة وغير المنقولة يتوجب تحرير عقد بذلك وفق الصيغة المتعارف عليها، وهنا في عقود الهبات التي كان من ضمنها العبيد نجد البنود أو الفقرات الرئيسية التالية: يذكر أولاً مقدار الممتلكات، ثم اسم الواهب، يليه اسم المستفيد، وفقرة بخصوص الادعاء على الملكية في المستقبل، وأخيراً القسم، وأحياناً ترد فقرة بخصوص تقديم عدد من المواد الغذائية من قبل المستفيد كإعالة سنوية للواهب وفي نصوص عقود الزواج أضيف ثمن المهر وشرط جزائي في حال إنكار أحد العروسين الآخر ويختم بأسماء الشهود. لدينا العديد من النصوص التي توضح هذه الهبات. ففي النص رقم No.13، الذي جاءنا من مدينة إيسين ويؤرخ في عهد الملك بور-

¹ - Oppenheim , A. L ., Ancient Mesopotamia , p 75 .

^٢ - الرويخ ، المرجع السابق ، ص ١٨١ .

^٣ - سليمان ، كروان عامر ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

سين Bur – Sin ١٨٩٥ – ١٨٧٤ ق.م، نجد أمّاً تهب ابنتها جميع ممتلكاتها ومن ضمنها أمة، بشرط أن تعيلها طيلة حياتها، يقول النص: (ثلاثي سار منزل مبني، تودا- عشتار Tuda – Ishtar أمة، العابدة نين- مي- دوكا Nin – me – dugga، المنزل وجميع الممتلكات، ممتلكات نين- مي- دوكا . نين- مي- دوكا إلى نين- دينجير- أزك- مو Nin – Dingir – Azag – Mu، ابنتها، قد أعطت. في المستقبل لا أحد من أطفال نين- مي- دوكا سوف يرفع أي ادعاء. نين- مي- دوكا قد أقسمت بالملك. نصف كور، خمسة قا من طعام نين- دينجير- أزك- مو إلى نين- مي- دوكا، أمها، كل سنة ستعطي^(١)).

لقد قامت الأم نين- مي- دوكا بوهب ابنتها نين- دينجير- أزك- مو جميع ممتلكاتها، التي تضمنت أمة اسمها تودا- عشتار ومنزلاً، بالإضافة إلى ممتلكات أخرى لم تذكرها صراحة في النص، بشرط أن تعيل أمها وتقدم لها حصصاً من الطعام سنوياً، وقد أقسمت باسم الملك، أن لا يدعي أحد من أولادها في المستقبل على أختهم نين- دينجير- أزك- مو .

وقد تكون الهبة من الأهل لابنتهم كجزء من هدية الزواج، التي تضم عادة العديد من الهدايا التي تعطى لها عند زواجها، ويأتي في مقدمتها العبيد، كما جاء في العقد التالي رقم 55 48 CT، الذي يؤرخ في عهد الملك عمي- ديتانا، نص العقد: (أمة واحدة باسم [.....]، سرير واحد، كرسيان، منضدة واحدة، خزانة واحدة، واحد جرة شكتّم (سعة) خمسة {لتر من الزيت}). كل هذه التي، أعطاها لبِت- أد Lipit – Adad إلى ابنته ارشِت- اي- ألمش Eristi – E- Ulmas، وجهازها لتدخل بيت سين- توكولتي Sin – Tukulti (٩) والدها في القانون (حميها)، لابنه بُنن- إدينام Bunene – Iddinam كزوجها. لبِت- أد والدها قد استلم مهرها خمسة شيفل من الفضة. إذا قال بُنن- إدينام لزوجته ارشِت- اي- ألمش: أنت لن تعودتي زوجتي، هو سيدفع ثلث مينا من الفضة. وإذا قالت ارشِت- اي- ألمش لزوجها بُنن- إدينام: أنت لن تعد زوجي، هم سيربطونها و يرمونها في الماء. هم أقسموا بشماش، آيا، مردوك وعمي- ديتانا الملك. تبع بأسماء أربعة شهود^(٢)).

النص عبارة عن عقد زواج، قدم فيه والد العروس لابنته هدية الزواج، التي تضمنت أمة وأثاثاً منزلياً، يشبه أثاث غرفة النوم في الوقت الحالي، وجرة من الزيت سعتها خمسة لترات. وقد استلم والدها من والد العريس مهرها الذي يساوي نحو ٤٠ غراماً من الفضة. وقد وضع شرط جزائي في هذا العقد على كل

¹- Chiera , E ., Legal and administrative documents , P 50 .

²- Dalley, S ., op . cit , p 59 .

من الزوج والزوجة، ومضمون هذا الشرط أنه إذا أنكر الزوج زوجته يدفع لها غرامة تقدر بنحو ١٦٦ غراماً من الفضة، وهو ضعف مهرها الذي استلمه والده. أما إذا أنكرت الزوجة زوجها فإنها ستقيد بالحبال وتقذف في مياه النهر حتى تموت. وهذه الفقرة نجدها تعكس ما جاء في قانون حمورابي المادة ١٤٣ حيث يحق للزوج أن يلقي زوجته في الماء إذا كانت مهملة لزوجها وبيتها^(١).

لقد مر معنا سابقاً، أن الزوجة التي تنكر زوجها تباع كأمة، أما هنا فالعقوبة أكثر صرامة وهي الموت غرقاً، وهي من أصعب أنواع الميتات بعد الحرق. وقد أقسموا باسم الآلهة العظيمة في بابل شماش وآيا ومردوك و الملك عمي ديتانا الذي دون العقد في عهده، وأخيراً أسماء الشهود .

النساء اللواتي ينتمين إلى أسر ثرية كن يحصلن على الإماء كجزء من هبات ومهور زواجهن، فالإماء كن ذوات قيمة عالية للمرأة عند زواجهن، فبالإضافة إلى قيامهن بالأعمال المنزلية، كن مصدر دخل إضافي لهن كما تحدثنا من قبل. ففي الرسالة رقم 29 YOS من التاجر شماش- ماجير Samas - Magir نجد أنه يخبر فيها وكيله سين- إيريبام Sin - Eribam أن ابنته قد تزوجت وهو لا يملك أي شيء ليعطيها. ثم طلب منه أن يشتري عبيدين و ثلاثة إماء ويرسلهم له^(٢). ويبدو أنه كان يريد أن يعطيهم لابنته كهدية لزواجها .

لم تقتصر هبة أو مهر الزواج على أمة واحدة أو عبد واحد يقدمه الوالدان لابنتهم عند دخولها بيت الزوج، بل الأمر عائد إلى ثراء الأسرة. ففي النص التالي رقم BM 16465، المؤرخ في عهد مملكة بابل الأولى، مهر لعروس قدم فيه تسع إماء بالإضافة إلى العديد من الأشياء الثمينة كهدية، يقول النص: (مهر ناروبتوم Narubtum بنت إيكون- بي- سين Ikun - pi - Sin. واحد مينا من الفضة في شكل حلقة خاتم، خمسة شيقل من الذهب^(٣) في شكل حلقات أذن، خاتم أصبع من الفضة بوزن واحد شيقل، ٦٠٠٠ لتر من الشعير، ١٨٠ لتر من الطحين، ٢٤٠ لتر من زيت بذر الكتان؟، شعير مجروش، حبوب منقوعة و بيرة وخبز. أمة (اسمها) أخاتاني Ahatani أمة (اسمها) ماد- دوموقشا Mad - Dumuqsa، أمة (اسمها) دان- إيميسا Dan - Emissa، أمة (اسمها) أمات- أمور Amat- Amurru، أمة (اسمها) إيلتاني Itani، أمة (اسمها) موناويرتوم Munawwirtum، أمة (اسمها) أتكالشموم-

^١ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .

^٢ - Seri , A ., op . cit , p 52.

^٣ - الذهب : كانت معظم مصادر الذهب في الشرق الأدنى القديم تأتي من مصر ، ومن جنوب شرقي إيران . انظر : دانيال ، ج ١ ، المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

ليبلوت Atkalsum – Liblut، أمة (اسمها) عشتار – دامقات Istar – Damqat ((مع)) بنت رضية، [.....] نساجة أنثى، {عشرة صناديق متنوعة ؟}، واحد [....] خزانة، عشرة آنية مع عشرة ثياب من أجل أن تلبس في خزانة واحدة، خمسة ثياب في خزانة زينة واحدة، ثوبان، واحد منهما مزركش، ثوبان جيدان بدون زركشة، في خزانتي زينة، أربعون غطاء رأس في ثلاث خزانات زينة، غطاء واحد منسوج، أربعة بطانيات في خزانة واحدة، غطاء قماش، ثوب مزركش، كيس قماش غطاء رأس التي هي تلبس. كيس قماش غطاء رأس يكون في خزانة الزينة، قائمة أقمشة منسوجة، جميعها بالخياطة؟ جهاز، ((المجموع)) ٢٤ ثوب، ٤٢ غطاء رأس. مقلاة نحاس بسعة ستين لتر من الحبوب، مقلاة نحاس بسعة أربعين لتر من الحبوب، حجر رحى لطحن الدقيق مع حجر رحى أعلى، [.....] إبريق بسعة ستين لتر؟ من زيت بذر الكتان، من التي (موجودة) خمسين لتر من زيت بذر الكتان قد أخذت. جرة شكتم لعشرة لتر من زيت بذر الكتان المكرر. جرة شكتم ؟ [.....] (١).

يبدو أن ناروبتوم كانت تحظى بمكانة مميزة لدى والدها إيكون - بي - سين لعله كان من التجار الأثرياء في مدينته. فالمهر أو الجهاز المقدم لها مميز جداً، فقد تضمن حلياً من الفضة والذهب يظهر لأول مرة في الهبات والهدايا المقدمة من هذا العصر، وكميات كبيرة من الحبوب والطحين والزيت، وحجر رحى لطحن الحبوب، وثياب متنوعة وأغطية رأس وخزانات للألبسة، وبطانيات وأغطية، وأواني للزينة وأخرى للمطبخ وغيرها. وما يهمننا هو ما يميز مهر ناروبتوم وهو الإماء التسع اللاتي كانت إحداهن نساجة، لقد مر معنا العديد من نصوص المهور سواء للكهانات أو لنساء من الطبقة العامة في المجتمع البابلي، وقد وجدنا أن مهورهن كانت بسيطة تتضمن أمة أو أمتين أو عبداً ولم نجد أكثر من ذلك، أما هذا الجهاز فهو كثير .

ولسوء الحظ نهاية النص مهشمة ولم يرد ذكر اسم الزوج ، وربما كانت السطور المهشمة تضم اسم الزوج و القسم بأسماء الآلهة واسم الملك والشهود .

وأحياناً تكون الهبة من الأبناء إلى الأهل، فالبنات مثلاً قد تهب أمها أمة لخدمتها طيلة حياتها، كما جاء في العقد التالي من العصر نفسه، يقول النص: (أمة أسمها كوتي Kut ، نُتُبْتُم Nutuptum أعطتها إلى ثُلِشْتِمْ Tulistanim، ستعيّلها طالما كانت على قيد الحياة، عندما تذهب إلى أجلها، تعيدها، ثُلِشْتِمْ، إلى نُتُبْتُم ابنتها، كل ما تملك، وما ستحصل عليه، تأخذه نُتُبْتُم) (٢). في هذا العقد يبدو أن البنات قد وهبت أمها

¹ - Dalley , S ., op . cit , p 72 .

^٢ - سليمان ، كروان عامر ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

المسنة أمتها، لكي تساعدوا وتعيّلها طيلة حياتها، ولكن عندما تموت الأم تعود الأمة إلى البنت، وكل ما تملك الأم وما ستملكه في المستقبل ستأخذه ابنتها التي ربما كانت الوريثة الوحيدة لأمتها.

وهناك نصوص أخرى توضح تلك الحالة. فبين حين وآخر، نجد أمماً تستلم عبداً من أبنائها، من أجل إعالتها. ففي النص رقم 33 Ha ، 95 UET من مدينة أور جاء أن ثلاثة من أبناء تاريبوم Taribum أعطوا أمة تدعى عشتار - أومي - اينيشتي Istar - Ummi - Enisti إلى أمهم لإعالتها، بالإضافة إلى حصة من الطعام واللباس. كما تضمن النص فقرة شرطية مضمونها أنه إذا تزوجت أمهم في المستقبل (وهذا يعني أن والدهم كان متوفى)، فإن أبنائها سيأخذون الأمة^(١). من المفترض أنه بعد زوج الأم، يجب أن تعاد الأمة إلى أبنائها، ربما لأن زوجها الجديد هو المسئول عنها وهو الذي يجب أن يعيّلها ويؤمن لها الرعاية لا أبنائها.

٢ - العبيد كجزء من الإرث للأبناء :

يتردد ذكر العبيد كثيراً في عقود توزيع التركة، إذ كانوا من الممتلكات التي توزع بين الورثة باعتبارهم جزءاً من الممتلكات المنقولة، وكان يحرق عقد بذلك كما أسلفنا، فقد جاء في النص التالي الذي يؤرخ في عهد ريم - سين ملك لارسا، ما يأتي: [.....] سار مع بيت مشيد عليها بجوار بيت لـ [.....] أمة نانار - جميلات Nannar - Gamilat اسمها، أمة أخاتم Ahatum اسمها، أمة كو [...] توم Ku ...tum اسمها، عبد إيلي - أنين Anin - Ili اسمها، عبد شماش - خازر Samas - Hazr اسمها، عبد أشكر - إيكال Askur - Ikal اسمها، حصة شماش - ماجير Samas - Magir ٢١١. ٢ سار ببيت مشيد عليها بجوار بيت نندار - تير Nindar - Tiar، [.....]، أمة بلخوم Bilhum اسمها، [.....] ٢١١ إيكو ٣٠ سار بستان في مدينة أور [...]، أمة ساربيتوم Sarbitum اسمها، [.....]، حصة آبل - إيليشو Abl - Ilisu ٢٣١٢. ٢ سار ببيت مشيد عليها [...] سار أرض خالية، [.....] أمة عشتار - دمقات Istar - Damqat اسمها، عبد أبكو - سين Sin - Abku اسمها، [.....] حصة لبت - عشتار Libit - Istar . لقد اقتسموا بالتساوي البيت (و) البستان والإماء والعبيد، ممتلكات بيت أبيهم بقدر ما هو موجود. أقسموا بالإله نانا وشماش والملك ريم - سين أن لا يغير أخ ضد أخ. أسماء أربعة عشر شاهداً وأختامهم^(٢).

^١ - Seri , A ., op .cit , p 52 .

^٢ - سليمان ، كروان عامر ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

هذا النص عبارة عن عقد تقسيم تركة أب بين ثلاثة من أبنائه، هم شماش - ماجير الأخ الأكبر الذي كانت حصته مضاعفة ومميزة عن بقية إخوته، وهذا ما كان متعارفاً عليه في العصر البابلي القديم، وذلك لأن الابن الأكبر يحمل مسؤولية والده ورعاية إخوته الصغار بعد وفاة والده، ولكن لسوء الحظ بسبب تهشيمات في النص اغفل الكثير من المعلومات، لكن يمكن فهمه بسهولة فقد استلم الأخ الأكبر حصته مساحة بيت مبنية وأمتان وثلاثة عبيد. أما حصة أخيه الأوسط آبل - إيليشو فكانت مساحة بيت مشيد ومساحة بستان في مدينة أور وأمتين. وأما حصة الأخ الأصغر لبت - عشتار فكانت مساحة بيت مع أرض غير مفلوحة وأمة وعبد. الإماء والعبيد وزعوا على الورثة كباقي الممتلكات المنقولة وغير المنقولة. وأقسم الإخوة بالتراضي أمام رموز الآلهة العظيمة في لارسا وأمام الملك ريم - سين أن لا يغيروا ما جاء في العقد المنصوص عليه .

وفي نص آخر رقمه A 13120، يؤرخ في عهد ريم - سين ملك لارسا أيضاً، تم العثور عليه في مدينة لارسا، ولكنه كتب في مدينة أور. نجده يتحدث عن تقسيم تركة رجل يدعى إيمكور - سين Imgur-Sin بين ولديه، على الشكل التالي: (٢ سار و ١٠ غاين منزل، منزل على الشارع الرئيس مجاور لمنزل إيلشو - ناصر Iisu - Nasir بجانب الشارع. عبد اسمه سين - جاميل Sin - Gamil، عبد اسمه شوما - إيلوم Suma - Illum، عبد اسمه إيلما - آخي Ilima - Ahi، سلسلتان من النحاس، منجل بستاني مصنوع من النحاس. هاون من أجل الإسفلت الجاف، باب لمدخل غرفة الاستقبال، باب للبوابة الخارجية، طاولة أضحاي، سرير وأربع كراسي، حصة سين - موباليت Sin - Mubalit الأخ الأكبر. ٣ سار منزل مجاور لمنزل صانع البيرة واراد - سين Sin - Warad، ومجاور لمنزل النجار أخيمارشي Ahimarsi. ٢ سار قطعة أرض غير مبنية مجاور لمنزل ميسوم Misum، ومجاور لمنزل شماش. عبد اسمه إيلي - ناخلوان Ili - Nahluwan، عبد اسمه إيلي - تابي Ili - Tappe، عبد اسمه صيلي - شماش Silli - Samas، سلسلتان من النحاس، منجل حدائقي من النحاس، هاون من أجل الإسفلت الجاف، من خشب النخيل باب، طاولة، سرير وكرسي، ١٢ مينا وه شيقل من الفضة، حصة الأخ الأصغر أنليل - إيسو Enlil - Isu، تم تقسيم الحصص، ١٢ شاهد، الكاتب سين - ريمي، نيسان، ريم - سين، السنة العاشرة^(١).

1 - Farber , W ., Imgur – Sin und seine beiden shone : Eine (nicht ganz) neue Altbabylonische Erbtelungsurkunde aus Ur , gefunden wahrscheinlich in Larsa , from the workshop of the Chicago Assyrian Dictionary , Vol . 2 , Studies presented to Robert D , Biggs , the Oriental Institute of the University of Chicago, 2007 , p 70.

لقد تم تقسيم تركة إيمكور - سين بين ولديه، فكانت حصة الأخ الأكبر سين - موباليط منزلاً مبنياً جاهزاً للسكن، وثلاثة عبيد، وسلسلتان من النحاس ومنجل نحاسي وهاون، وأثاث منزلي من الخشب. وكانت حصة أخيه الأصغر أنليل - إيسو منزلاً مبنياً، وقطعة أرض غير مبنية، وقد تردد ذكر عبارة مجاور لمنزل فلان وهذا يعني بيان حدود المنزل أو حدود الأرض، وهذه الأرض مجاورة لمنزل شماش يعني أنها بجانب معبد الإله شماش، وثلاثة عبيد وسلسلتان من النحاس ومنجل وهاون، وأثاث مصنوع من خشب النخيل، بالإضافة إلى ذلك استلم مبلغاً من المال يقدر بنحو ٢٩٠ غراماً من الفضة. ويبدو أن القسمة هنا كانت عادلة إلى حد ما، فلم نجد حصة مميزة للأخ الأكبر كما هو معروف لنا، فقد استلم كل منهما ثلاثة عبيد، بل على العكس تبدو حصة الأخ الأصغر أكبر، ومما يميزها استلامه مبلغاً مالياً من الفضة. يظهر أن تقسيم العبيد على الورثة لا يتم بشكل مستقل عن مواد التركة الأخرى. وقد يذكرون بأسمائهم الشخصية .

وهناك نص دعوى قضائية برقم VAS 181، يؤرخ في عهد ريم - سين، بخصوص إماء وممتلكات أخرى للمرأة المدعوة ايلميشوم Elmesum، فقد قام ابن أخيها سين - شيمي Sin - Seme بن سين - إيقيشام Sin - Iqisam برفع دعوى بعد وفاتها على زوجها الذي يبدو أنه قد طلق عمته قبل وفاتها، وبعد أن تفحصت السلطات القضائية مضمون الدعوى، قامت بأخذ ممتلكات المرأة المطلقة من زوجها السابق وأعطائها لابن أخيها الذي يُعدُّ الوريث الشرعي لأنها لم تتجب أطفالاً^(١).

وفي بعض الأحيان كان الأب يلجأ إلى تقسيم ممتلكاته على الورثة وهو على قيد الحياة، حرصاً منه على عدم حدوث مشاكل بين الورثة بعد وفاته، كما جاء في النص التالي رقم BE 6 \ 2 48 من مدينة نيبور، يقول النص: (أويليا Awilya بن واراد - سين Warad - Sin تزوج نارامتوم Naramtum بنت سيناتوم Sinatum. أويليا قد أعطى إيبى - أنليل Ibbi - Enlil وريثه والابن الأكبر، وإيلشو - إبنيشو Ilisu - Ibbisu أخاه، وإيلما - آبي Ilima - Abi أخاهم، نارامتوم زوجته كورثة. منزل، حقل، بستان، عبيد وإماء، وأمتعة أسرة. بعد أن أخذ الابن الأكبر حصته المميزة، ستقسم الممتلكات بينهم بالتساوي. إذا أويليا قال لنارامتوم زوجته، أنت لست زوجتي، سيدفع ١١٢ مينا من الفضة. إذا قالت نارامتوم لـ أويليا زوجها، أنت لست زوجي، سيحلّقها ويضع علامة عبد عليها ويبيعها بالفضة. إذا إيبى - أنليل، إيلشو - إبنيشو، وإيلما - آبي أخواه قالوا لـ ناراتوم أنهم، أنت لست والدتنا، سيخسرون ممتلكات أويليا والدهم. إذا نارامتوم قالت لـ إيبى - أنليل، إيلشو - إبنيشو وإيلما - آبي أبنائها، أنتم لستم أبنائي، نارامتوم سوف (تخسر) ممتلكات أويليا زوجها (وتفقد) حق الوراثة (من زوجها). إيبى - أنليل الوريث والابن الأكبر، وإيلشو - إبنيشو، وإيلما - آبي إخوته سيعطون حصة سنوية لأهمهم ٢ كور من

¹ - Seri , A ., op . cit , p 53 .

الشعير، ٦ مينا من الصوف،و[.....] سيلا من الزيت من ممتلكات والدهم.في اتفاق بالتراضي أقسموا باسم الملك^(١).

يبدو أن زوجة أوليا الأولى قد توفيت وكانت قد أنجبت له ثلاثة أولاد،وبعد وفاتها تزوج امرأة أخرى تدعى نارامتوم بنت سيناتوم فأصبحت أمّاً لأبناء زوجها في القانون،وربما أراد أوليا أن تبقى عائلته متماسكة بعد وفاته وحرصاً منه على عدم حدوث خلافات بينهم على التركة وحتى يضمن حق زوجته الجديدة،قام بتقسيم ممتلكاته وهو على قيد الحياة وبكامل قواه العقلية والجسدية،وهو أمر لازال يمارس لدى معظم شعوب بلاد الرافدين. وكانت تشمل هذه الممتلكات على حقل وبستان وعبيد وإماء وأثاث منزلي وأوانٍ وغير ذلك من مستلزمات الأسرة.وقد أورد في هذا النص شروط جزائية على جميع أفراد العائلة،في حال إنكار أي منهم الآخر.وفي النهاية أورد شرط مضمونه أنه يجب على الأبناء الثلاثة إعالة والدتهم وتقديم حصة سنوية لها من المواد الضرورية للمعيشة كالحبوب والزيت والصوف،وبهذا أقسموا بالتراضي باسم الملك الذي لم يذكر بشكل صريح،ولكن من المحتمل أنه ريم- سين قياساً على النص السابق الذي جاءت صيغته مشابهة كثيراً لصيغة هذا النص، ولكن من الملاحظ أنه لم يرد ذكر قسم بأسماء الآله العظيمة في المدينة وربما كان السبب أن صاحب الملكية لا يزال على قيد الحياة ؟

ومن عهد داميق- إيليشو ١٨١٦ - ١٧٩٤ ق.م آخر ملك من سلالة إيسين،لدينا نصان عن تقسيم الميراث.ففي النص رقم No.23 تقسيم ثلث تركة والدة الأب(الجدّة) قام بتقسيمها بين ابنتيه اللتين كان قد تبناهما بعد وفاة زوجته،يقول النص:(ثلث سار وخمسة غاين منزل مبني،بجوار منزل بابار Babbar وأنليل Enlil، ٤٠ سار من حديقة مرتفعة،تنحدر إلى مستنقع أمامها؟،جانب من الحديقة بجوار علي- أخوشا- إيليتوم Ali - Ahusha- Ellitum،أمة(باسم)إشكور- ريم- إيلي Ishkur - Rim - Ili، الأمة حصة ميراث ناروبتوم Narubtum بنت ميجير- أنليل Enlil - Migir.ثلث سار وخمسة غاين منزل مبني،بجوار منزل أبكو- دامو Abku - Damu، ٤٠ سار من حديقة مرتفعة،تنحدر إلى مستنقع أمامها؟،جانب من الحديقة جوار إيكوتوم Ibkuatum، ١١٢ سار مساحة حقل،عبد(باسم)دومقي- عشتار Dumqi - Ishtar،أمة(باسم) تاريبوم Taribum، حصة ميراث أور- بابيلساجا Ur - Pabilsagga.ثلث ثروة نارامتوم Naramtum والدة ميجير- أنليل.ناروبتوم بنت ميجير- أنليل وأور- بابيلساجا،اللذان هو قد تبناهما كورثة بعد موت زوجته، قسمت إلى أجزاء متساوية.في المستقبل لن يملك الصلاحية لإلغاء هذه الاتفاقية.باسم الملك كلاهما أقسما^(٢).

¹ - Wyk ,S . V ., op . cit , p 159 .

² - Poebel , A ., op . cit , p 21 .

هذه الممتلكات لنارامتوم والددة ميجير - أنليل، وبما أنه وريث أمه الوحيد فقد أصبحت هذه الممتلكات من حقه، فقام بتقسيم ثلث ثروتها التي تركتها وهو على قيد الحياة على ابنتيه. وقد كانت حصة ناروبتوم منزلاً مبنياً جاهزاً للسكن وحديقة وأمة أسمها إشكور - ريم - ايلي. في حين كانت حصة أختها أور - بابيلساجا منزلاً وحديقة بنفس المساحة وحقلاً وعبداً باسم دومقي - عشتار وأمة باسم تاريبوم. من الملاحظ أن حصة أور - بابيلساجا كانت أكبر من حصة أختها ناروبتوم، فأختها استلمت أمة واحدة أما هي فاستلمت عبد وأمة. ومن الصعب فهم جميع ما جاء في النص، فقد ذكر أن ميجير - أنليل قد تبني الفتاتين كوريثتين له بعد وفاة زوجته التي لم يرد ذكرها في النص؟ ويذكر أيضاً أنه تم التقسيم بالتساوي! وهذا غير صحيح فقد وجدنا أن حصة أور - بابيلساجا أكبر من حصة أختها. وقد أقسم كل من الأختين باسم الملك داميق - إيليشو بقبول القسمة وعدم الادعاء في المستقبل.

وفي النص الآخر رقم No.26 من عهد داميق - إيليشو، نجد تقسيم تركة بين أربعة إخوة. لكن لسوء الحظ السطور الخمسة الأولى مهشمة بالكامل، وربما كانت تتضمن اسم الوالد المتوفى صاحب الممتلكات، وفي النص تهشيمات أخرى أغفلت بعض المعلومات. على أية حال، يمكننا فهم النص بسهولة، فقد كانت حصة الأخ الأكبر نانار - أرا - مونجين Nannar - Ara - Mungin، حقلاً مساحته واحد غاين و٣٦ سار (يعادل نحو ١٣٠٢ م^٢)، وحديقة مساحتها خمسة ونصف سار (تساوي نحو ١٩٨ م^٢)، و طعام وذرة وتمر، بالإضافة إلى مبلغ مالي اثنان شيقل من الفضة (يساوي نحو ١٦ غراماً) من ثمن شراء العبد واراد - نينشاخ Warad-Nin-Shah، وأخيراً زبدية من نوع زاكولا. وحصة الأخ الثاني إيليل - لوشاج Ellil-lushag، كانت حقلاً من القصب بدلاً من المنزل مساحته خمسة ونصف غاين (تعادل نحو ٢٩ م^٢)، وحقلاً آخر مساحته ٦ غاين (تعادل نحو ٣٦ م^٢)، وأرضاً صغيرة مساحتها ٣ غاين (تعادل نحو ١٨ م^٢). أما حصة الأخ الثالث أور - دونبا Ur-Dun-Ba فكانت منزلاً كبيراً مساحته ٤ غاين ونصف و ١١ سار (تعادل نحو ٢٣ م^٢)، وحديقة مساحتها ١٢ سار وثلث (تعادل نحو ٤٤٥ م^٢)، وحصصاً من الطعام والحبوب والتمر. أما حصة الأخ الرابع الأصغر أور - دوازاغا Ur- Duazagga، فكانت حصصاً من الطعام والحبوب، وأمة أسمها عشتار - ناخاري Ishtar - Nahrari كان ثمنها ١١ شيقلاً من الفضة (أي ما يعادل نحو ٨٨ غراماً من الفضة)، فقام بدفع نصف ثمنها إلى أخيه الثالث أور - دونبا من حصته من التركة، بالإضافة إلى باب جيد من نوع ميرزا قيمته ١١ غراماً من الفضة، وزبدية قيمتها شيقلاً ونصف (تعادل نحو ٤ غرامات من الفضة)، ومبلغ مالي ٤ شيقل (تعادل نحو ٣٢ غراماً من الفضة) دفعها له أخوه الثاني إيليل - لوشاج بدلاً من أثاث منزلي. ولسوء الحظ نهاية النص مهشمة أيضاً^(١).

¹ - Ibid ., p 24 .

نجد في هذا النص أن الأخ الأكبر قد استلم في حصته عبداً وكذلك الأخ الأصغر استلم أمة، ولم نجد في حصص الأخوين الآخرين عبيداً ؟

وفي نص آخر رقمه BM 92550 من العصر نفسه، ولكن لم يحدد فيه اسم الملك. جاء في النص أن تحصل فتاة وحيدة على جميع ممتلكات أمها المتوفاة كميراث ومن ضمن ذلك أمة واحدة، يقول النص: (واحد سار مساحة أرض مع منزل مبني عليها، في تركة من [.....]، حصّة من تركة أمها تارام- ساجيلا Taram-Sagila، بجانب منزل بيلسونو Belessunu أخت [.....]، والمنزل [.....]. أمة (اسمها) أدد- دومقي Adad - Dumqi، مقلاة سعة ٣٠ لتر، ١٠ شيقل من الفضة، شيقل من الذهب كحلقة أذن، خمسة ثياب مزركشة، عشرة أغطية رأس، ثوبان للبس، سجادتا وبر، حقبة جلدية، حجر رحي لطحن الدقيق، خاتمان للإصبع، أربع مقاحف برونزية، سرير خشبي، سبعة كراسي، خمسة خزانات (ثياب)؟ خمسة [.....] خشبية، خمسة [.....] خشبية، [.....]. هذه جميعها اشقودوم Asqudum والدها وتارام- ساجيلا أمها أعطيا لابنتهم دولوقتوم Duluqtum. يمكنها أن تعطي تركتها لأي شخص تحبه^(١).

هذه التركة حصلت عليها الفتاة دولوقتوم من أمها تارام - ساجيلا وأبيها اشقودوم، وكانت تتألف من مساحة أرض ٣٦م^٢ وعليها منزل مبني جاهز للسكن، وأمة باسم أدد- دومقي، ومقلاة بسعة ثلاثين لتراً، حجمها كبير جداً ربما كانت طنجرة ولكنها جاءت هنا في النص بترجمة مقلاة، ومبلغ من المال يقدر (بنحو ٨٠ غراماً من الفضة)، ومجوهرات للزينة وثياب فاخرة، وعدد من الأثاث المنزلي. ولكن هناك تهشيمات في النص أغفلت أشياء أخرى كانت قد استلمتها؟ ومن خلال هذه المواد المذكورة يبدو أن هذه التركة تشبه جهاز العروس أو مهرها، فقد مر معنا آنفاً أن الفتاة عندما تتزوج تأخذ معها من بيت والدها مثل هذه الأشياء المذكورة والتي كان العبيد والإماء جزءاً أساسياً فيها.

إذاً، كان العبيد يشكلون جزءاً مهماً في الإرث يتم اقتسامهم بين الورثة حسب الأحكام السائدة، وباتفاق الورثة. ويخرج من هذا الإطار العبيد الذين حصلوا على العتق أثناء حياة المورث أو حصلوا منه على وثيقة تؤمن لهم ذلك بعد موته. والأبناء الذين ولدوا لصاحب التركة من معاشرته لأمته، وكذلك العبيد الذين أعطاهم المورث كهبة في أثناء حياته لأحد أفراد أسرته أو لمن شاء من الأشخاص الآخرين الذين كتب لهم وصية بذلك^(٢).

^١ - Dalley , S ., op . cit , p 60 .

^٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

٣ - أعمال العبيد الخاصون :

العبيد والإماء الخاصون عاشوا وعملوا مع أفراد الأسرة في الأعمال المنزلية التي ذكرناها سابقاً، وضمن ممتلكات سيدهم. ولكننا نجد أن الإماء المنزليات قد لعبن دوراً أكبر من العبيد المنزليين، فقد وجدنا أن الإماء كن يقدمن كهيات وكمهور وفي جهاز العروس، وكن يعملن في مساعدة أفراد العائلة المسنين لاسيما النساء منهم. كما عملن كممرضات للأطفال في أسرهن التابعة لهن، وكذلك أجرن للإرضاع لأسر أخرى. ففي النص رقم 3 \ xii \ 41 Ha ، 143 دعوى قضائية من لارسا تؤرخ في عهد حمورابي مفادها إن: (ولوبات Kullupat كانت أمة في منزل نور - إيليشو Nur - Ilisu، وربما استؤجرت من قبل صيلي - عشتار Silli - Istar لإرضاع ابنته أخاسونو Ahassunu. يبدأ النص بالإشارة إلى أن دادا Dada بن نور - إيليشو أخذ أخاسونو من مرضعتها كولوبات عند بوابة مدينة لارسا). والد الطفلة صيلي - عشتار، بحث عن ابنته فوجدها أخيراً في منزل دادا بن نور - إيليشو. بعد ذلك ذهب صيلي - عشتار إلى سين إيدنيام^(١) مسؤول المدينة، الذي استدعى أخاتوم Ahatum زوجة دادا أمام السلطات (صرحت أخاتوم أن الفتاة أخاسونو لم تكن ابنة صيلي - عشتار، بل ابنة كولوبات، أمة في منزل والد أخاتوم الصهر) (يعني نور - إيليشو). بدوره أكد صيلي - عشتار بأن أخاسونو هي ابنته ولم تكن أمة، وهو قد تركها في منزل والد أخاتوم الصهر مع الأمة كولوبات لترضعها. عندئذ سين - إيدنيام جعل صيلي - عشتار يقسم أن أخاسونو هي بالفعل ابنته، في حين جعل أخاتوم تقسم بالإله شماش ومردوك و بالملك حمورابي أنها لن تقيم ادعاء بخصوص هذه المسألة)^(٢).

من المثير للاهتمام أن تكون المرأة أخاتوم وليس زوجها أو صهرها هو الذي وقف أمام المحكمة. وربما يشير ذلك إلى أن النساء كن المسؤولات المباشرات عن الإماء في المنزل، وأن الرجال كانوا مسؤولين عن العبيد الذكور. وربما كانت تخطط لتتبنى أخاسونو ابنة أو لتتخذها أمة في منزلها.

وهناك نشاطات أخرى للإماء المنزليات كان أسيادهن يعتمدون عليهن فيها، فقد كان يتم في معظم الأحيان إعارة الإماء بين الأصدقاء، للقيام بعمل ما ومن ثم تعود إلى سيدها. ففي الرسالة رقم 51 PBS 7 من سين - ماجير Sin - Magir نجد أنه يطلب من أحد الأشخاص إرسال أمته إليه، ربما لإنجاز بعض

^١ - سين إيدنيام : يبدو أنه كان يشغل منصباً مرموقاً في القصر البابلي ، فقد كان يخضع له عدد كبير من الموظفين الصغار . وربما كان يمثل الملك في لارسا ويدير أعماله وخاصة أمور القصر الاقتصادية . ولم يكن في حال يحسد عليه فعيون الملك " جواسيسه " كانت ترقب كل تحركاته . وكان معرضاً لتوبيخ الملك له عند أي تقصير في تنفيذ مهامه . انظر : كلينكل ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

^٢ - Seri , A ., op . cit , pp 56 - 57 .

الأعمال له، وحالما تنتهي من العمل سيعيدها إلى سيدها، يقول: (كلما احتجتك، دع أمتك تأتي إلي وأنا سأعيدها إليك). كما كان يعتمد عليهن في حمل الرسائل والهدايا المتبادلة بين أسيادهن وأشخاص آخرين في المدينة. ففي الرسالة رقم CT 44 58 المرسله من إيلي - أوصراني Ili - Ustranni إلى موناورتوم Munawwurtum نجد ما يأتي: (تخبرها أن أمة واراد - إيليشو Warad - Ilisu المدعوة إياتيا Ayatia، قد جلبت لها من واراد - إيليشو عبادة وأغطية رأس، وقد أرسلت نفس الأمة إليها مع خمسة مينا من الصوف)^(١).

ما يمكن فهمه من هذه الرسالة أن الإماء المنزليات كان يمكن الاعتماد عليهن بثقة ويمكن حرية التنقل وترك الأسرة لفترات قصيرة. كما يمكنهن الالتقاء مع بعضهن والتحدث مع أشخاص آخرين ضمن ممتلكات سيدهن بحرية.

أ - أعمال العبيد الخاصون في الغزل والنسيج والخياطة :

لقد ذكرنا سابقاً في بداية الحديث عن العبيد الخاصين أن الأسياد والتجار كانوا يفضلون العبيد والإماء الذين كانوا ولادة منزل وكانوا يفضلون أن تكون الأمة نساجة. فحرفة النسيج يمكن تعلمها في أي منزل ولا تحتاج إلى فترة طويلة لإتقانها تحت إشراف سيد المهنة، فمعظم النساء البابليات كن ينسجن ملابسهن الخاصة وينسجن لأفراد عائلتهن في منازلهن^(٢). ويبدو أن الدافع الرئيس لمالك العبد لاقتناء أمة نساجة أو تعليمها هذه الحرفة، هو القيام بأعمال النسيج الخاصة بالمنزل ولتكون سلعة مرغوبة في السوق سواء في البيع أو في التأجير. فقد كانت هذه الحرفة تقسم إلى قسمين، وهما حرفة الغزل: ولم تكن النساء العاملات في هذه الحرفة من طبقة اجتماعية واحدة فعلى الرغم من وجود بعض النساء الحرائر اللواتي كن يعملن فيها إلا أن أغلب العاملات فيها كن من الإماء. وتشير بعض النصوص الاقتصادية ذات العلاقة إلى أن النسوة كن يستلمن جرايات من مواد عينية كالصوف والقطن والقماش مقابل عملهن. والنسيج حرفة كانت النساء تشكل فيه الغالبية العظمى إلى جانب عدد قليل من الرجال، إذ يذكر أحد النصوص تنسيب مجموعة من النساء النساجات للعمل في أحد المشاغل وتسليمهن كميات من الصوف كمادة أولية لإنجاز عملهن، ولم تكن النساجات من طبقة اجتماعية واحدة أيضاً، بل كان منهن الحرائر وكان للإماء دور كبير في إنجاز تلك الأعمال، إذ وردت تسمية الأمة النساجة بالصيغة السومرية كيمي - أوس - بار - GEME - US - BAR ويقابلها بالأكدية أمات - إيسبارتو amat - ispartu. وكان عمال النسيج من الرجال

¹ -Ibid ., p 57 .

² -Mendelsohn , I ., op . cit , p113 .

والنساء يعملون مقابل أجور يومية وقد حُدِدت أجرة العامل الواحد في قانون حمورابي بمقدار خمس حبات من الفضة في اليوم الواحد. وفضلاً عن ذلك كان العمال يستلمون جرايات من مواد عينية كالصوف والزيت والشعير وكانت هذه الجرايات تصرف بشكل يومي لا سيما للعبيد والإماء^(١). كما عمل العبيد والإماء في تقصير الأقمشة، الذي كان يعمل فيه الأحرار والعبيد على حد سواء، في المشاغل العامة أو في المنازل. وقُصَّار الأقمشة يبدو أنهم كانوا منظمين في جمعيات خاصة بهم^(٢). وكانوا يستلمون جرايات من مواد عينية، كبعض الأقمشة التي تستعمل كلباس لهم أو ما كان يدفع لهم من شعير أو خبز أو غير ذلك، ولم تحدد كمية الجراية المدفوعة لهم وقد تكون يومية أو شهرية، وبعد عملية التقصير تكون الأنسجة مجهزة لعملية الصباغة وهي المرحلة اللاحقة. وكذلك عملت الإماء في حرفة الخياطة فتشير بعض المصادر إلى أن الإماء كن يشكلن مصدراً مهماً للأيدي العاملة في مشاغل الخياطة. وفضلاً عن ذلك كان الخياطون لاسيما العبيد والإماء منهم يستلمون جرايات عينية تتمثل بكميات من الشعير والصوف وبعض قطع الملابس أو الأقمشة^(٣).

وتلك الأعمال التي كان يقوم بها العبيد والإماء الخاصون كانت أجورها تعود إلى مالكيهم الأصلي، الذي كان يستلمها من صاحب الحرفة أو صاحب العمل.

ب - عقود تأجير العبيد: كان عماد الاقتصاد في بابل هو الزراعة التي تتطلب أيدي عاملة كثيرة لإنجاز أعمالها وخصوصاً في موسم الحصاد، الأمر الذي تطلب الاستعانة بقوى عاملة إضافية، ولم تكن هذه المسألة مقتصرة على العائلات الصغيرة فقط بل كان القصر والمعبد - وهما القطاعان الاقتصاديان الكبيران في الدولة - يحتاجان أيضاً إلى الاستعانة بعمال إضافيين^(٤).

وكان العمال يقسمون إلى قسمين أحرار وعبيد: أما الأحرار فكان يتم تأجيرهم من قبل ذويهم، لأنهم خضعوا لظروف معيشية قاسية كأن يكونوا قد استدانوا أو نفذت مؤونتهم فيضطرون للبحث عن عمل،

^١ - الحسنوي، فائز هادي علي، المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم الآثار، جامعة بغداد، ٢٠٠٩ م. ص ١١٨ - ١٢٠.

^٢ - Harris, R., Ancient Sippar, op. cit, p 271.

^٣ - الحسنوي، المرجع السابق، ص ١٢٤ - ١٢٨.

^٤ - Mieroop, M.V.D., the Ancient Mesopotamian city, clarendon press. Oxford, 1997, P 149.

ويعتقد أن منهم مدينين عجزوا عن سداد الدين، فوضعوا أنفسهم تحت تصرف الدائن الذي يقوم بدوره بتأجيرهم ليسترد قروضه منهم^(١).

أما العبيد فكان يتم يتأجيرهم من قبل التجار وكاهنات شماش من فئة الناديتو كما مر معنا. وقد لعب التاجر والمرابي المعروف بعل - موناخه دوراً كبيراً في تأجير عبيده، فقد كان يتوافد إليه المزارعون لاستئجار عبيده خاصة في مواسم الحصاد لإنجاز أعمالهم بسرعة. وكان يتم تحرير عقد من أجل استئجار العبيد وفق الصيغة القانونية المتعارف عليها. فيتم أولاً ذكر اسم العبد، ثم اسم مالكة، يليه اسم المستأجر، ومدة الاستئجار، ومبلغ التأجير، والشرط الجزائي، وأسماء الشهود، وأخيراً التاريخ، ولكن هذه الفقرات قد تختلف من مالك إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى. لدينا العديد من النصوص للتاجر والمرابي بعل - موناخه. فقد جاء في النص رقم YBT V 115: (عبد واحد، عبد بعل - موناخه، من بعل - موناخه، مالكة. أوبار - غولا Ubar-Gula قد أخذ (من أجل استئجاره). إذا هو هرب، ثلث مينا من الفضة هو سيدفع). وفي النص رقم YBT V 11: (عبد واحد، عبد بعل - موناخه، من بعل - موناخه، مالكة. بوزور - أمورو Puzur - Amurru قد أخذ (من أجل الاستئجار). إذا هو هرب، ثلث مينا من الفضة، هو سيدفع)^(٢).

يبدو من خلال هذين النصين أن بعل - موناخه قد أجر عبيدين من عبيده، الأول لأوبار - غولا والثاني لبوزور - أمورو من أجل القيام بأعمال لهما، وقد وضع شرطاً جزائياً مضمونه أنه إذا هرب العبد فإن المسؤولية تقع عليهما. وعليهما أن يدفعوا لـ بعل - موناخه غرامة مقدارها ثلث مينا من الفضة (ما يعادل نحو ١٦٦ غراماً من الفضة والتي تساوي ٢٠ شيقلاً)، وهو سعر العبد في ذاك العصر.

وفي النص رقم YBT V III 25: (باسم أوقا - إيلي Uqa - Ili، عبد بعل - موناخه، من بعل - موناخه مالكة. سين - تامكاري Sin - Tamkarri، والده، ضماناً (من أجل العبد) قد وافق. إذا هو هرب، انقطع عن العمل، عندئذ ثلث مينا من الفضة هو سيدفع). والنص الآخر رقم YBT V III 27: (عبد باسم شماش - رابي Shamash - Rabi، عبد بعل - موناخه من بعل - موناخه مالكة. أمورو - شيمي Amurru - shemi، أخوه، و شات عشتار Shat - Ishtar، زوجته، كفالة (للعبد) قد وافق. إذا شماش - رابي اختفى، هرب، عندئذ ثلث مينا من الفضة هم سيدفعون)^(٣).

^١ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .

^٢ - Mendelsohn , I ., op . cit , pp 59 - 60 .

^٣ - Ibid ., p 60 .

من خلال مقارنة هذين النصين بالسابقين، نجد أن اسم العبد لم يذكر في النصين الأولين، أما هنا فقد ذكرت أسماء العبيد المؤجرين من قبل بعل-موناخه، بالإضافة إلى ذلك لم نجد في النصين الأولين كفيلاً للعبيد المستأجرين، أما هنا فنجد ذكر للكفالة، الأول كان والد المستأجر، الذي كفل ابنه سين-تامكاري، الذي استأجر العبد من بعل-موناخه في حال هروب العبد أو توقفه عن العمل. وفي الثاني الكفلاء على المستأجر أمور-شيمي أخوه وزوجته شات-عشتار في حال اختفاء أو هروب العبد، ولكن لم تذكر أسماء المستأجرين في هذين النصين، وإنما ذكرت أسماء الكفلاء فقط ؟ ! . وفي جميع النصوص السابقة كان الشرط الجزائي في حال الهروب أو التوقف عن العمل هو غرامة مالية مقدارها ثلث مينا من الفضة التي تساوي ثمن عبد تدفع من قبل المستأجر أو الكفلاء ل بعل-موناخه.

وفي النص رقم 22 YBT V ni نجد ما يأتي: (عبد باسم شماش- أبي Shamash - Abi، عبد بعل-موناخه، من بعل-موناخه مالكه، إيدياتوم Idiatum كفل (للعبد) قد وافق. إذا هو هرب، غاب بنفسه، توقف عن العمل، عندئذ واحد مينا من الفضة هو سيدفع)^(١).

في هذا النص بعض الاختلاف عن النصوص السابقة فالكفل لم يكن من أقرباء المستأجر، والشرط الجزائي هو واحد مينا من الفضة (أي نحو ٥٠٠ غرام من الفضة، بما يعادل نحو ٦٣ شيقلاً) وهو مبلغ باهظ جداً. ولم تذكر هذه النصوص العمل الذي استؤجر من أجله العبد، وما ثمن أجره العبد، وكم مدة الاستئجار؟ لكننا نتوقع أن العبيد استؤجروا في مواسم الحصاد. وأجورهم ربما كان متعارفاً عليها بينهم ولذلك لم يذكروها صراحة في العقود.

ويبدو أن ظاهرة هروب العبيد من المستأجرين كانت منتشرة في هذه الفترة، وهذا ما يبرر خوف بعل-موناخه من هروب عبيده من المستأجرين، ولذا كانت الشروط الجزائية مبالغ مالية تساوي ثمن العبد أو أكثر وبذلك يحفظ المؤجر ثروته من الضياع.

وبالإضافة إلى تأجير العبيد، كان بعل-موناخه يؤجر سفناً تجارية وقت الحصاد، ولأنه من كبار الملاكين الزراعيين والعقاريين، كان يشتري بأمواله وأرباحها الكثير من الأراضي والبساتين، وقد ذكرت إحدى الوثائق امتلاكه بعض الحقول التي كانت تخص معبداً في مدينة أور. وهكذا نرى أن أملاك المعابد بدأت تنتقل تدريجياً إلى أيدي الأفراد وتتحول من ملكية الدولة إلى ملكية خاصة في مطلع العصر البابلي القديم، وقد تمكن بعل-موناخه ووالده سين-نور-ماتيم Sin - Nur - Matim من شراء أرض

¹ - Ibid ., p 61 .

ماساحتها ٨٢٤ م^٢ من المعبد لقاء مبلغ ٢ مينا من الفضة (أي ما يعادل نحو ١ كغ من الفضة وهو مبلغ كبير جداً)^(١).

فرص إيجاد عمال بأجور رخيصة جداً كانت متوفرة باستمرار، ويعود السبب في ذلك إلى أن عدداً كبيراً من المنتجين الصغار كانوا يقعون في ضائقة مالية نتيجة تراكم الديون عليهم، فيضطرون إلى تأجير أنفسهم كعمال مؤقتين بأجور زهيدة حتى يتمكنوا من تسديد ديونهم^(٢). وقد ذكرت النصوص أن الذي يقوم بتأجير الأبناء عند وقوع العائلة في ضائقة مالية هو الأب أو الأم أو الوالدان معاً أو الأخ الأكبر، ففي نص استئجار لفتاة من أمها من مدينة نيبور، يؤرخ في عهد ريم- سين، نجد ما يأتي: (إنليل - شاروم Sin - Sharrum استأجر أكشا - إيدنام Aksha - Idinnam من سيمات - سين Simat أمها، بأجر ستة شيقل من الفضة كل سنة. في شهر وراخ سيمانو Warah Simanu^(٣)، في اليوم السادس، هو سيأخذها)^(٤).

يبدو أن الأم قد وقعت في ضائقة مالية فقامت بتأجير ابنتها التي ربما كانت أمة و تبنتها وجعلتها كابنتها. الأجر ستة شيقل من الفضة (أي ما يعادل نحو ٤٨ غراماً من الفضة)، والمدة سنة (أي بمعدل نحو ٤ غرامات من الفضة كل شهر). والغرض من هذا الاستئجار غير محدد في العقد، ولكنه ربما كان للقيام بأعمال منزلية.

ونجد في نص آخر يؤرخ في عهد حمورابي، أن أباً يقوم بتأجير ابنه بالتبني لمدة شهر، يقول النص: (قام أبقو - أرصيتم Apqu - Arsitim بن أورنانا Urnanan باستئجار شماش - ماجير Samas Magir بن سيناتوم Sinatum من أبيه سيناتوم لمدة شهر ذي ٣٠ يوماً، ويدفع واحد وثلاث كور من الشعير كأجر لشهر واحد ذي ٣٠ يوماً)^(٥).

^١ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

^٢ - المرجع نفسه ، ص ٩١ .

^٣ - وراخ سيمانو : شهر سيمانو ، وهو شهر إله القمر سين ، ويقابله في التقويم الغريغوري مايو/أيونيو ، وفي التقويم العبري سيوان ، وفي التقويم الآرامي - السرياني حزيان . وعدد أيامه ثلاثون يوماً . انظر : مرعي ، التقويم وحساب الزمن ، ص ٣٠ .

^٤ - Chiera , E ., old Babylonian contracts , p164 .

^٥ - الحسنواي ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .

بشكل عام، يمكن القول إن العمل المأجور كان مطلوباً في كل المجالات التي تقتضي طبيعتها السرعة واستخدام أعداد كبيرة من العمال. ومن خلال هذا النص يبدو أن الغرض من الاستئجار هو إنجاز أعمال الحصاد، فمدة الاستئجار شهر، وقد كان العمال مطلوبين في هذا الموسم سواء كانوا أحراراً أم عبيداً. ومن خلال هذه الأجرة التي دفعت لـ شماش - ماجير يبدو أنه كان في الأصل عبداً، وقد تبناه سيناتوم و نسبه إليه .

فالعامل الحر المستأجر كان يستلم أجرته عادة أعلى من أجرة العبد، فأجرة الرجل الحر كانت تدفع بالفضة، وكان يستلم نصف شيقل أو ثلث شيقل وقد تصل إلى شيقلين من الفضة في الشهر. أما أجرة العبد فكانت تدفع بالشعير وتبلغ كور شعير لمدة شهر، وأحياناً كان يستلم ثلث شيقل من الفضة لمدة شهر^(١). وكانت الأجر التي تدفع لاستئجار العبيد والإماء إما فضة وإما مواداً عينية من المحاصيل كالشعير والزيت والصوف والتمور، ويحتسب إطعام الأجير من أجرته الشهرية ، وقد يدفع مواداً عينية أو مالية بالفضة، وغالباً ما كان صغار المزارعين يفضلون أسلوب التعامل بالمنتجات الزراعية ودفع الأجرة من محاصيلها^(٢).

ففي نص من مدينة سيبار يؤرخ في عهد حمورابي، جاء فيه: (ريمون - باني Rimmon - Bani استأجر سومي - ايزيتيم Sumi - Iztim كعامل لأخيه، لمدة ثلاثة أشهر، بأجر واحد ونصف شيقل، ٣ لتر من الحبوب و ١١٢ قا من الزيت. لن يكون هناك تراجع عن الاتفاقية. أبني - أمورو - Abni - A - murru وسيكني - أيا Sikni - Ea أكدوها. ريمون - باني استأجر العامل بحضور أبوم - إيلو Abum - Ilu (Abimael)، بن إبني - شماش Ibni - Samas، إيليسو - إبني Ilisu - Ibni، بن لغاس - ريمون Lgas - Rimmon، و أراد - بيل Arad - Bel، بن أخوام Akhuwam. (مؤرخة) اليوم الأول من سيفان (نيسان) ^(٣) .

مدة الاستئجار هنا حددت بثلاثة أشهر، والأجرة حددت بواحد شيقل ونصف (أي ما يعادل نحو ١٢ غراماً من الفضة، بمعدل ٤ غرامات لكل شهر)، وثلاثة لترات من الحبوب وواحد لتر ونصف من الزيت، وقد شهد عليها عدد من الأشخاص. ويبدو أن الأجرة استلمها العبد نفسه، ولذلك هو كان عملياً في وضع العامل الحر.

¹ - Harris , R ., Ancient Sippar , p 246 .

^٢ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ٨٩ .

³ - Sayce , A.H ., op . cit , pp 86 - 87 .

وفي نص آخر من عهد عمي - صدوقا يتحدث عن استئجار شخص لعبد من أجل القيام بأعمال زراعية، لمدة سنة، يقول النص: (ماروني **Maruni** بن إيتيل - بي - رامن **Etel-Bi-Ramman** قد استأجر واراد - رامن **Warad-Ramman** بن واراد - كوبي **Warad-kubi**: ماروني؟ بن إيتيل - بي - رامن قد استأجر واراد - رامن بن واراد - كوبي من والده واراد - كوبي، من اليوم الأول في شهر أيلول حتى (التالي) السنة الجديدة. أربعة شقيقات من الفضة هو دفعها كأجرة شهرية، إذا هو [.....]، هو سيفقد أجرته، تبع باسمي شاهدين^(١).

نجد أن معظم عقود التأجير تبدأ في شهر أيلول وهو شهر الحصاد في بلاد الرافدين كما أسلفنا، ولكن هنا يبدو أن مدة الاستئجار تستمر لمدة سنة حتى شهر أيلول القادم من السنة الجديدة، وقد حددت الأجرة بأربعة شقيقات من الفضة شهرياً. والفقرة المفقودة من النص يمكن مقارنتها بالنص التالي التي تقول إذا وجد شيء في يد العبد يفقد أجرته، وربما تكون إذا توقف عن العمل أو هرب يفقد أجرته مقارنة بعقود سابقة. واختتم النص باسمي شاهدين كما هو متعارف عليه في العقود في العقود النظامية الرسمية.

وفي نص يؤرخ في السنة الثالثة عشر من حكم الملك عمي - صدوقا، قام أحد مالكي العبيد بتأجير عبده لشخص آخر، لطحن الدقيق وتعبئة مياه للمنزل، يقول النص: (يستأجر مردوك موباليط **Mrduk - Mubalit**، أريب - أوراش **Arip-Urash**، من سيده إيدين - أوراش **Iddin - Urash** كطحان لمدة شهرين. فعليه أن يطحن ٦٠ قا من الدقيق الناعم في اليوم، ويعبئ يومياً عشرة أسطل من الماء. ويحصل يومياً (مقابل ذلك) على ٢ قا طعاماً له و ٣ قا خمر تمر شرايه. ويكال لسيده إيدين - أوراش إضافة لذلك ١١٢ ٢ كور من الحبوب أجرته لمدة شهرين. وإذا عثر على شيء في يده، يفقد (سيده) أجرته. ويحصل من أجرته على ٢١٣ شيفل فضة. (أسماء الشهود) الشهر أيار (الثاني) اليوم الأول منه، السنة عمي - صدوقا، عندما رفع الراية الملكية^(٢).

كان السيد يعطي عبده عند الولادة أو عند شرائه كنيته، وهذا ما نجده في هذا النص وفي نص سيناتوم السابق الذكر، فاسم المالك هنا إيدين - أوراش واسم عبده أريب - أوراش. مدة الاستئجار هنا شهران، والعمل المستأجر من أجله هو طحن دقيق ناعم بمقدار ١٢٠ لتر يومياً، وجلب الماء للمنزل بمقدار عشرة أسطل يومياً. جلب المياه إلى المنزل لم يكن بالأمر اليسير، فمن المعلوم أن سكان منطقة بلاد الرافدين كانوا يجلبون المياه من نهري دجلة والفرات وفروعهما، وإلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي كان يتم جلب

^١ - Ranke, H., op. cit., p 22.

^٢ - سليمان، توفيق، المرجع السابق، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

مياه الشرب من هذين النهرين بصعوبة، فقد كان يتم نقله عن طريق الحمير، وبعض النساء كن يحملن الماء على رؤوسهن. كما يقع على عاتق المستأجر تقديم الطعام والشراب للعبد، أما الأجرة فكانت نحو ٧٥٠ لتراً من الحبوب يستلمها صاحب العبد (أي بمعدل نحو ٣٧٥ لتراً لكل شهر). وقد أورد شرطاً جزائياً مضمونه أنه في حال قام العبد بسرقة شيء من المستأجر فإن سيده يخسر أجرة عبده من الحبوب، ولكنه يستلم من أجرته المالية نحو خمسة شقيقات ونصف من الفضة. واختتم النص بأسماء الشهود والتاريخ.

كانت مهنة الطحان من المهن المهمة في العصر البابلي القديم، إذ يعد الطحين المادة الأساسية في صناعة الكثير من المواد الغذائية وأهمها الخبز والبيرة والمعجنات^(١). ولم يقتصر هذا العمل على أحد الجنسين دون الآخر، بل كان يعمل فيه الرجال والنساء على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، من الأحرار ومن العبيد ذكور وإناث، سواء كان ذلك في البيوت أو في القصر أو في المعبد. وربما كان طحن الدقيق من عمل الإماء اللواتي وهبهن الآباء لبناتهم عند زواجهن، ويمكن استنتاج ذلك من أحجار الرحي التي كانت ضمن جهاز العروس. ففي نص من شمالي بابل نجد أن امرأة تطلب من والدها أن يرسل لها أمة لكي لا تطحن الدقيق بنفسها^(٢).

كما أن هناك إشارة إلى أن صاحب الحانة الذي كان يبيع البيرة في حانته كان يصنعها أيضاً. فقد جاء في نص من سيبار (أن قيشتي - أيا Qisti - Ea بن قيش - أيا Qis - Ea قد استأجر عبداً من أجل طحن شعير له لمدة سنة واحدة)^(٣).

وكان يلحق بمهنة الطحانين مهنة الخبازين التي كان يعمل فيها الرجال والنساء أيضاً، وكانوا يعملون مقابل أجر معين تدفع لهم، إذ ورد في أحد النصوص الاقتصادية (أن شخصاً قام باستئجار عبد وأمة ليعملوا كخبازين مأجورين وقد دفع لهم عشرة شقيقات من الفضة)^(٤). كما كان يستخدم العبيد كأجراء لدى البنائين من أجل بناء منازل من القصب. وكذلك استخدموا إلى جانب عمال أحرار للقيام بأعمال شعبية عامة كصيانة قنوات الري وقد حصلوا على أجرة في بعض الأحيان لقاء هذه الأعمال^(٥).

^١ - الحسنوي ، المرجع السابق ، ص ٩٢ .

^٢ - Seri , A ., op . cit , p 56 .

^٣ - Harris , R ., Ancient Sippar , p 282 .

^٤ - الحسنوي ، المرجع السابق ، ٩٥ .

^٥ - Harris , R ., Ancient Sippar , p 344 .

أياً يكن، فقد كان اقتناء العبيد مكلفاً بالنسبة للعائلات الصغيرة ذات المردود الاقتصادي المحدود، فقد كان يقع على عاتق الأسرة إسكان العبيد وإكساؤهم وإطعامهم مما يشكل عليهم عبئاً اقتصادياً ثقيلاً، وخصوصاً في الأوقات التي لا يكون فيها عمل لهم. فقد كانت تكاليف معيشتهم تصل وسطياً إلى نصف شغل من الفضة شهرياً للعبد الواحد، فضلاً عن العجز والأمراض التي قد تلج بهم فنقعدهم عن العمل. ولذا لم يتأثر المالك الصغير بتفاوت أسعار العبيد حسب العرض والطلب في سوق العبيد، وإذا كان لديه عدد منهم ولم يكن بحاجة إلى جهدهم كان يؤجرهم لأشخاص آخرين للقيام بأعمال مختلفة زراعية أو منزلية أو غير ذلك، ليستفيد من أجورهم المدفوعة. وبهذا يتخلص من تكاليف معيشتهم وفي الوقت نفسه يوفر لهم مصدر دخل إضافي^(١).

^١ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ٨٥ .

الفصل الرابع - وضع العبد القانوني

أولاً - زواج العبيد :

١- زواج العبد بامرأة حرة.

٢- زواج الأمة برجل حر.

٣- تقديم الكاهنات إماء لأزواجهن للإنجاب.

ثانياً- هروب العبيد.

ثالثاً -علامات العبودية:

١- طبيعة علامات العبودية.

٢ - إزالة علامات العبودية.

رابعاً - إيذاء العبيد.

خامساً- بيع العبيد.

سادساً- إعتاق العبيد.

١-العتق الإلزامي(المشروط قانوناً):

أ- تحرير أسرى الحرب .

ب - تحرير عبيد الدين .

٢ - العتق غير الإلزامي :

أ - عن طريق التبنّي .

ب - عن طريق الشراء .

الفصل الرابع

وضع العبد القانوني

ظهرت الفوارق الطبقية في المجتمع الرافدي القديم وظهر عدم المساواة بين أفرادهم منذ ظهور المجتمعات التي تجاوزت المراحل البدائية. فقد ميز المجتمع بين أفرادهم في الحقوق والواجبات وفق أسس معينة، ويبدو هذا واضحاً من خلال نظرة القوانين إلى الأفراد وتحديد مسؤولياتهم وتأكيد حقوقهم وواجباتهم. فالمجتمع الرافدي نسب إليه الإيمان المطلق بالتمايز الطبقي من خلال تشريعاته، ووقوف هذه القوانين إلى جانب الطبقة العليا من الأحرار على حساب الطبقات الأخرى من المجتمع. وقد حرص الملوك البابليون القدماء على المحافظة على القانون والسهر على تنفيذه ومعاقبة المخالفين له. وقد كانت العدالة والحرية والمساواة مفردات أساسية في لغة القانون الرافدي، ومن هذا المنطلق ازدهر القانون في بلاد الرافدين القديم وخاصة في العصر البابلي القديم، وتطورت العلاقات المنظمة في أوجهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وعبرت تلك القوانين عن مدى التطور الاجتماعي والفكري القادر على تجريد بعض المعاني والمفاهيم ووضعها في قوانين تؤمن استقرار العلاقات بين أفراد وطبقات المجتمع^(١).

بيد أن هذه القوانين لم تتصف العبيد، وعدت لهم هم وما يملكون ملكاً لسيدهم، ولم يكن العبد ينسب إلى أبويه بل كان ينسب إلى مالكه. وكان ينظر إليه على أنه متاع وملكية منقولة يمكن أن تباع أو تشتري أو تؤجر أو توهب بالرغم من أن العبد لم يكن يختلف عن مالكه من حيث اللون أو الجنس أو الزي إلا إذا كان يحمل علامة خاصة. وسندرس هنا وضع العبيد من خلال القوانين والنصوص المسمارية المتعلقة بوضعهم القانوني في العصر البابلي القديم :

أولاً - زواج العبيد :

على الرغم من وضع العبد السيء فقد كانت له بعض الحقوق التي كان يشترط فيها قبول ورضا سيده حسبما يخدم مصلحته، فكان له حق الزواج الشرعي وتكوين عائلة، كما كان يجوز للعبد أن يتزوج امرأة حرة، وبالعكس يجوز للأمة أن تتزوج رجلاً حراً. ففي الحالة الأولى كان الأولاد الناتجون عن الزواج يُعدّون

^١ - تلحي ، المرجع السابق ، ص ١٥٧ - ١٥٩ .

أحراراً، أما في الحالة الثانية فإن اعترف صاحب الأمة أو سيدها ببنوة الأولاد، فإنهم يصبحون أحراراً بعد وفاة والدهم، ويقتسمون تركة أبيهم مع أولاده الحقيقيين، وتمنح الحرية للأُم كذلك^(١).

ومما يلفت الانتباه في القوانين البابلية القديمة، النظرة الإنسانية المتقدمة التي جعلها القانون للعبيد والإماء من ناحية مثل هذه العلاقات الإنسانية. فالإماء في كل الأعراف والقوانين كن ملك يمين، ويحق لصاحب الأمة أن يفعل بها ما شاء ومتى شاء، وهذا الأمر قد يثمر أبناء، وعندها يتدخل القانون لمنع حالة الضياع التي يتعرض لها عدد من الأبناء في مجتمعات تعرف العبودية. فهم أحرار لأنهم من صلب رجل آخر حر، كما أن حريتهم تؤخذ لصالح أهم، حيث لا يحق لصاحب الأمة (أم ولد) بيعها، كبقية إماءه، وهي تنال حريتها الكاملة بعد وفاة مالِكها^(٢).

١ - زواج العبد بامرأة حرة :

شاع في هذا العصر زواج العبد بامرأة حرة ، وذلك بقبول سيد العبد. فالعبد يمكن أن يتزوج امرأة حرة ويعقد زواجاً شرعياً معها. فقد حدد قانون حمورابي هذه الحالة بوضوح وبشرعية الزواج القائم بين عبد وامرأة حرة في المادتين ١٧٥ - ١٧٦ دون سواء من الشرائع والقوانين الرافدية القديمة الأخرى. فقد جاء في المادة ١٧٥ : (إذا تزوج (حرفياً : أخذ) عبد القصر أو عبد موشكينوم ابنة إنسان (إنسان حر)، وولدت أولاداً، فإن صاحب العبد لا يحق له أن يدعي العبودية على أولاد ابنة الإنسان (الحر). وتلتها المادة ١٧٦ - أ: (إذا تزوج (أخذ) عبد القصر أو عبد موشكينوم ابنة إنسان (حر)، وعندما تزوجها دخلت مع بائلة بيت أبيها إلى بيت عبد القصر أو عبد الموشكينوم، وبعد أن اجتمعا معاً بنيا بيتاً واقتنيا أثاثاً، بعد ذلك ذهب عبد القصر أو عبد الموشكينوم إلى قدره (مات)، (عندئذ) تأخذ ابنة الإنسان (الحر) باننتها، وما كسباه زوجها وهي منذ أن اجتمعا معاً يقسمه المرء إلى نصفين، نصف يأخذه مالك العبد، والنصف (الآخر) تأخذه ابنة الإنسان (الحر) لأولادها). وتبعتها المادة ١٧٦ - ب: (إذا لم يكن لدى ابنة الإنسان (الحر) بائلة، فعلى المرء أن يقسم ما كسباه زوجها وهي منذ أن اجتمعا معاً إلى نصفين، نصف يأخذه مالك العبد، والنصف (الآخر) تأخذه ابنة الإنسان (الحر) لأولادها)^(٣).

١ - المرجع نفسه ، ص ١٦٤ .

٢ - الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ٩٢ .

٣ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٨٠ .

تناولت هاتان المادتان حالة زواج نوعين من العبيد (عبد القصر وعبد الموشكينوم) بامرأة حرة. وهذان الصنفان من العبيد هم عبيد القصر وعبيد الملكية الخاصة (عبيد المنزل)، ولم يرد ذكر النوع الثالث وهم عبيد المعبد، وهذا لا يعني أنه كان محظوراً عليهم التزوج بالحرائر فالقانون لم يستنفذ كافة الأعراف و التقاليد الاجتماعية .

يبدو بشكل واضح أن الهدف المباشر لهاتين المادتين، هو تبعية أبناء هذا النوع من الزواج وكيفية تصريف تركة العبد. ويمكن استدراج المادة ١٧٥ لتفصح و بشكل غير مباشر عن إمكانية سكنى أسرة العبد في بيت السيد واعتمادها عليه. أما بالنسبة للمادة ١٧٦ فقد جاءت لتتناول ظرفاً معيناً لسكنى تلك العائلة، يمثل استقلالها في بيت خارج مسكن السيد، واعتمادها على نفسها في كل ما يترتب على هذا الاستقلال المشروط من تجميع ثروة خاصة بالعبد مع اعتراف هذه المادة ضمناً بما جاء في المادة السابقة بخصوص تبعية الأبناء لطرف الأم حرة المولد. ويجدر التنويه بأن تلك المواد القانونية لا تصف زوجة العبد ذات المولد الحر بزوجة العبد وإنما تصفها بابنة رجل، كما أن الأطفال لا يدعون أطفال العبد وإنما يدعون أبناء ابنة الرجل الحر^(١).

كان زواج العبد بأمة أمراً مألوفاً، كما كان زواجه بحرة ممكناً في ظروف خاصة، وذلك منذ عصر أور الثالثة على أقل تقدير. وهناك عدة طرق لتحقيق ذلك الزواج، منها شراء السيد عروساً لعبده. وهناك حالات يشتري فيها سيد فتاة حرة المولد لتكون زوجة لأحد عبيده، ولتعطى بعد وفاته كزوجة لأي شخص يحبه مشتريها^(٢).

٢- زواج الأمة بالرجل الحر :

الأسرة البابلية القديمة كانت تقوم على أساس زوجة واحدة، ولكن في بعض الحالات يمكن أن يتخذ الرجل زوجة ثانية، منها أن تكون زوجته الأولى لا تتجب أطفالاً أو مصابة بمرض عضال يمنعها من الإنجاب. وبما أن الأهل الأثرياء كانوا يمنحون بناتهم عند زواجهن إماء كجزء من مهرهن أو جهازهن، لمساعدتهن بالأعمال المنزلية، وإذا كانت هذه الزوجة لا تتجب أطفالاً، كانت تمنح إحدى هذه الإماء لزوجها، من أجل استيلاد أطفال لهما، وبذلك تمنع زوجها من اتخاذ زوجة ثانية تقاسمها في زوجها وما يملكه. فسلطة السيدة على إماءها اللاتي جلبتهن معها كجزء من مهرها كانت مطلقة، فمعظم السيدات

^١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

^٢ - المرجع نفسه ، ص ١٣٨ .

الغيورات يمكن أن يفعلن ذلك. لذا لا نستطيع أن نسمي هذا الزواج- زواجا بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما كانت تستخدم الأمة كزوجة ثانوية تلبية لرغبة سيدها الجنسية أو من أجل إنجاب أطفال له. ولكن على أية حال، يبدو أن الأمة التي كانت تستخدم كزوجة كانت تتمتع بمكانة مميزة لدى مالكيها. فيبدو أنها تعاشر سيدها دون أن تسكن في جناح الخدم ودون أن تحمل صفة العبودية. وقد تساعد رسالة تؤرخ في عهد بيلالاما من أمة إلى سيدها على الاطلاع على نوع العلاقة التي بينهما. فتخاطب تلك الأمة سيدها بالقول: إن المولود الذي في رحمها قد مات، وإن حالتها متردية، وإنها دون مساعدة أو اعتناء، وتستعطفه لكي يعمل شيئاً لعونها، وتخبره أن الموت إن كان قدرها، فأمنيتها أن ترى وجهه. وفي نهاية الرسالة تعاتبه في عدم إرساله مبعوثاً من قبله للاطمئنان عليها. رقم الرسالة TIM I 15، تقول: (أخبر سيدي: أمتك دابيتوم Dabitum أرسلت الرسالة التالية: ما أنا أخبرك به الآن قد حدث لي: لمدة سبعة أشهر طفل كان في جسمي (لم يولد بعد)، لكن بعد شهر الطفل قد مات. الآن، لا أحد يريد أن يعتني بي. ربما أنه رجاء سيدي (أن تفعل شيء ما) لئلا أموت أنا. تعال لزيارتي ودعني أرى وجه سيدي! [.....] لماذا لم تصلني هدية منك؟ وإذا كنت سأموت، دعني أموت بعد أن أرى وجه سيدي مرة ثانية!)^(١).

يبدو من سياق النص أن تلك الأمة كانت تقيم في بيت خاص بها، ويظهر أنها كانت ذات حظوة لدى سيدها. ولذا نجد في هذه الرسالة نوعاً من العتاب اللطيف تجاه سيدها.

وإذا لم تجلب الفتاة معها في جهازها إماء، وكانت عاقراً وأراد زوجها أن يتزوج أخرى لتتجب له أطفالاً، كانت تشتري له من مالها الخاص أمة لتكون زوجة له. ففي نص يؤرخ في السنة الثانية عشرة من عهد حمورابي نجد ما يوضح هذه الحالة، يقول النص: (شماش- نوري Samas - Nuri، بنت إبي- شان Ibbi - Shan، من إبي- شان، بونين- أبي Bunin - Abi وبيلسونو Belsunu اشتريا. لبونين- أبي هي تكون زوجة، لبيلسونو هي تكون عبد. في يوم من الأيام إذا قالت شماش- نوري لبيلسونو سيدتها أنت لست سيدتي، هي ستقص مقدمة شعرها وتبيعهها بالمال)^(٢).

يبدو أن بيلسونو لم تكن تتجب أطفالاً ولكي تمنع زوجها من الزواج بأمرأة ثانية قامت بشراء فتاة، ربما كانت في الأصل أمة وتبناها إبي- شان، وربما لضائقة اقتصادية تعرض لها قام ببيعها. أياً يكن، فقد اشترت بيلسونو وزوجها تلك الفتاة، لتخدم عنها كأمة وتكون في الوقت نفسه محظية لزوجها لتتجب له أطفالاً. وبالرغم من أنه جاء في العقد أن الزوج والزوجة قد اشتريا الفتاة معاً، لكن من المحتمل أن المال

¹ – Oppenheim , A . L . , Letters from Mesopotamia, p 85.

² – Mendelsohn , I . , op . cit , pp 50 – 51 .

الذي قد دفع كان من مال بيلسونو الخاص وليس من بونين- أبي، فقد جاء في العقد شرط جزائي مضمونه أنه إذا انكرت الفتاة شماش- نوري سيدتها بيلسونو، ولم يأت شرط جزائي في حال أنكرت سيدها، فسيدتها ستعاقبها وتحلق مقدمة شعرها وتبيعها كأمة.

وقد عالج قانون لبت- عشتار هذا الزواج في المادتين ٢٥ و ٢٦. فقد جاء في المادة ٢٥ أنه: (إذا تزوج رجل امرأة وأنجبت له أطفالاً وأولئك الأطفال بقوا على قيد الحياة، وأنجبت أمة أيضاً أطفالاً لسيدها، والأب منح الحرية للأمة ولأطفالها. أطفال الأمة لا يحق لهم اقتسام الممتلكات مع أطفال سيدهم). وتبعتها المادة ٢٦ التي جاء فيها أنه: (إذا زوجته الأولى توفيت (و) بعد وفاتها هو أخذ أمتة كزوجة، الأطفال من زوجته الأولى هم ورثته، الأطفال الذين أنجبتهم الأمة لسيدها سيكونون مثل (أطفاله)، منزله هم يستفيدون)^(١).

يبدو من خلال هاتين المادتين أن أبناء الزوجة الحرة هم الورثة الأصليون لوالدهم، ففي المادة ٢٥ نرى أن أولاد الأمة لا يقتسمون تركة والدهم مع إختهم من المرأة الحرة، وكانوا يمنحون الحرية مع أمهم، وقد عدّ المشرع الحرية مكافأة لهم. وأما في المادة ٢٦ فنرى أن أولاد الأمة سيأخذون بالإضافة إلى حريتهم منزل والدهم الذي يعيشون فيه.

وكذلك الأمر في قوانين حمورابي، فالأمة (الزوجة أو المحظية) وأطفالها يصبحون أحراراً بعد وفاة سيدهم إذا اعترف السيد بأطفالها قبل وفاته، ويتم ذلك إذا ناداهم يا أطفالي، وهنا يقتسمون تركة والدهم مع أولاد المرأة الحرة، وتكون حصة الابن الأكبر مميزة والذي حدده المشرع يجب أن يكون ابن المرأة الحرة، وقد جاء ذلك في المادة ١٧٠: (إذا رجل ولد له زوجته الأولى أولاداً، وولدت له أمتة أولاداً (أيضاً)، فإذا قال الأب في حياته لأولاد الذين ولدتهم له الأمة، أولادي، وسأوهم مع أولاد الزوجة الأولى، فبعد أن يذهب الأب إلى قدره (يموت)، على أولاد الزوجة الأولى وأولاد الأمة أن يتقاسموا ممتلكات بيت أبيهم بالتساوي، الابن البكر، ابن الزوجة الأولى (يُسمح له) أن يختار ويأخذ حصته (أولاً))^(٢).

وإذا لم يعترف الأب في حياته بأطفال الأمة ولم ينادهم بأنهم أطفاله، فإنها لا تتال نصيباً من تركة سيدهم ووالدهم بعد وفاته، ولكنهم يحصلون على حريتهم مع أمهم، ولا يحق لأبناء المرأة الحرة استعبادهم.

¹ – Kramer , S . N , The Sumerians , their history , culture , and character , the university of Chicago press Chicago , 1963 . p 338 .

^٢ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٧٩ .

وهي دون شك نظرة إنسانية تعزز مواقع الخير في الحياة بين الناس، وتهدف لمنع وقوع الأطفال الذين لا إرادة لهم، في العبودية^(١).

وتحصل المرأة الحرة على جهازها وكل المنح التي أعطاها لها زوجها قبل وفاته وسجل لها ذلك في وثيقة، وتسكن في بيت زوجها طيلة حياتها ولكن لا يحق لها بيعه لأنه من حق أطفالها، جاء ذلك في المادة ١٧١-أ من قانون حمورابي: (وإذا لم يقل الأب في حياته للأولاد الذين ولدتهم له الأمة، أولادي، فبعد أن يذهب الأب إلى قدره (يموت)، (لا يتقاسم) أبناء الأمة ممتلكات بيت الأب مع أبناء الزوجة الأولى، ولكن تُعق الأمة وأولادها، ولا يجوز لأولاد المرأة الأولى أن يدعوا العبودية على أولاد الأمة). وتكمل المادة ١٧١-ب وضع الزوجة الأولى فتقول: (يمكن للزوجة الأولى أن تأخذ بائناتها وهدية الزواج التي أعطاها إليها زوجها وكتبتها لها على لوح مختوم، وأن تبقى ساكنة في مسكن زوجها، وتنتفع (بذلك) طوال الحياة، (ولكن) لا يحق لها أن تبيع (هذه الأشياء) مقابل فضة، وتعود تركتها إلى أولادها (من بعدها)^(٢).

٣ - تقديم الكاهنات إماء لأزواجهن من أجل الإنجاب:

عرف البابليون القدماء التزوج بالكاهنات، ويتضح ذلك من خلال دخول هذا الزواج في قانون حمورابي. ومن قواعد الزواج بهن كما عرضت في القوانين، وبخاصة العادة التي تلزمهن تقديم إماء لأزواجهن لغرض الإنجاب. يشير ذلك إلى أن الزواج بهن لم يكن شائعاً، بل هو من نوع الارتباط الاجتماعي، الذي ينشد الرجل من ورائه تحقيق مكاسب اجتماعية واقتصادية، وخصوصاً أن الدرجات العليا من الوظائف الكهنوتية كانت حكراً على بنات الطبقة الحاكمة من ملوك وأمراء وموظفين كبار، بالإضافة إلى شهرة عدد من الكاهنات بالثروات الطائلة، فمثلاً يقدر أن الكاهنة من صنف ناديتوم في مدينة سيبار مطلع الألف الثاني قبل الميلاد كانت من أثرياء عصرها لما تملكه من أراضي وعقارات وماشية وأموال^(٣).

^١ - الهاشمي، المرجع السابق، ص ٩٢.

^٢ - مرعي، قوانين بلاد ما بين النهرين، ص ٧٩.

^٣ - الهاشمي، المرجع السابق، ص ٩١.

وقد خصص حمورابي أربعة مواد من قانونه للزواج بالكاهنات. فقد جاء في المادة ١٤٤: (إذا تزوج رجل كاهنة ناديتو وأعطت لزوجها أمة، وولدت له أطفالاً، فإذا عزم الرجل على الزواج من الشوجيتو فلا يسمح لذلك الرجل بالزواج، وعليه أن لا يتزوج الشوجيتو)^(١).

هنا إذا وفرت الناديتو لزوجها من تتجب له أطفالاً من إحدى إمائها، فلا يحق له الزواج من الشوجيتو التي تأتي في مرتبة أدنى من الناديتو في المعبد وكان يحق لها الزواج والإنجاب كما أسلفنا. أما في المادة ١٤٥ فنجد أنه يمكنه الزواج من الشوجيتو وإن كان متزوجاً من الناديتو، إذا لم توفر له الناديتو من تتجب له أطفالاً من إمائها. تقول المادة: (إذا تزوج رجل كاهنة ناديتو، ولم تجهزه بالأطفال، وعزم على أن يتزوج الشوجيتو، فيمكنه ذلك ويدخلها إلى بيته، ويجب على الشوجيتو أن لا تساوي نفسها مع كاهنة الناديتو)^(٢).

هذه المادة سمحت للرجل بالزواج بالشوجيتو، وإسكانها مع الناديتو في بيت واحد، ولكن لا يحق للشوجيتو مساواة نفسها بالناديتو، حتى وإن أنجبت له أطفالاً. وهذا الأمر ينطبق كذلك على الأمة التي قدمتها الناديتو لزوجها من أجل إنجاب الأطفال. كما جاء في المادة ١٤٦ أنه: (إذا تزوج رجل كاهنة ناديتو وأعطت لزوجها أمة، فولدت هذه الأمة منه أطفالاً، وبعد ذلك ساوت الأمة نفسها مع سيدتها، بسبب إنجابها الأطفال لا يحق لسيدتها بيعها بالمال ولكن يمكنها أن تضع عليها (علامة العبودية)، وتعتبرها من الإماء)^(٣).

إنجاب الأطفال كان حفظاً للأمة من البيع وفي كسب حريتها أيضاً كما مر معنا سابقاً. وهنا إذا أنجبت أطفالاً وساوت نفسها بسيدتها لا يحق لها بيعها، لكن يمكنها أن تعاقبها بأن تضع عليها علامة العبودية وتعاملها كالإماء. أما إذا لم تتجب هذه الأمة أطفالاً لسيدها، وسواء ساوت نفسها بسيدتها أم لم تساوي، ففي كلتا الحالتين تبقى أمة ويحق لسيدتها بيعها بالمال، كما جاء في المادة ١٤٧: (فإذا لم تنجب (الأمة) أطفالاً، فللسيدتها الحق أن تبيعها بالمال)^(٤).

^١ - رشيد ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

^٢ - المرجع نفسه ، ص ١٤٤ .

^٣ - المرجع نفسه ، ص ١٤٤ .

^٤ - المرجع نفسه ، ص ١٤٤ .

قلنا سابقاً إن الأساس في الزواج البابلي القديم هو الاقتران بزوجة واحدة، ولكن عدداً من المواد تشير بشكل واضح إلى الزوجة الأولى أو الرئيسة، مما يعني ضمناً وجود زوجات أخريات للرجل، فقد كان الرجل يتزوج ثانية للإنجاب، وتؤكد القوانين أن الزوجة الثانية تبقى في منزلة دون المنزلة الاجتماعية للزوجة الكاهنة، والزوجة الأولى^(١).

ثانياً - هروب العبيد:

ميل العبد للهروب يعد أمراً طبيعياً تفرضه نوازع إنسانية متأصلة في ذاته البشرية، كالرغبة في الحرية والاستقلال والتخلص من نير الاستعباد. ومما ساعد على نمو فكرة هروب العبيد الجو السياسي العام، وعدم وجود سلطة مركزية مهيمنة على كل المناطق، فقد وجد العبيد ملجأ لهم وملذاً في دول المدن المتنافسة فيما بينها دون أن يرغمهم أحد الحكام على العودة إلى أسيادهم، والعائق الوحيد الذي كان يقف حائلاً أمام هروبهم، هو ارتباطهم العائلي والعاطفة التي تشدهم إلى مسقط رأسهم، وربما جهلهم أيضاً بالمصير الذي ينتظرهم، فقد يكون أسوأ مما هم عليه في أوطانهم، ومع ذلك كانت سبل العودة ميسرة أمامهم بعد مضي فترة من الزمن. أما الهروب إلى الجبال والبادي أو المناطق البعيدة عن أعين السلطة، فلم يكن سهلاً لأن ذلك يعني ضرورة التأقلم في مناطق غير مألوفة لهم، إلا إذا كان لهم هناك روابط عشائرية أو قرابة دم أو اضطروا إلى ذلك في حالات صعبة^(٢).

ومن الناحية القانونية يعدُّ هروب العبيد أخطر مشكلة يواجهها المالك، لذلك شرعت بعض المواد القانونية لمعالجة هذا الأمر من زوايا متعددة. بالإضافة إلى الإجراءات الوقائية التي يتخذها السيد ضماناً لحقوقه. إن مؤشرات ميل العبيد للهروب واضحة من خلال معالجة قوانين العصر البابلي القديم قضايا هروبهم، ومن الحيطة والحذر الظاهر في عقود شراء و ارتهان وتأجير العبيد في هذا العصر، وذلك للحفاظ على هذه الثروة من الضياع^(٣).

وقد خصص لبت - عشتار مادتين من مواد قانونه لمعالجة هذه الظاهرة. فقد جاء في المادة ١٢ أنه: (إذا أمة أو عبد رجل هربا إلى قلب المدينة(و) قد أثبت أن هو أو هي عاشا في منزل رجل آخر لمدة شهر واحد، هو سوف يعطي عبداً بعدد). هناك بعض الأعمال التي يلجأ إليها بعض الأشخاص الأحرار

^١ - الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ٩١ .

^٢ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

^٣ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .

في الغش و الخديعة وإيواء عبيد هاربين واستخدامهم كأنهم ملكه. كان الإيواء مشكلة رئيسة، وعقوبة الإيواء كانت بشكل أساسي التعويض والإعادة في قانوني لبت - عشتار و أشنونا، أما في قانون حمورابي فقد كانت العقوبة هي الموت. في هذه الحالة يجب أن يرد الأمة أو العبد الذي عاش عنده لمدة شهر وعلاوة على ذلك يعوض بعداً آخر صاحب العبد الأول. أما إذا لم يكن لديه عبد فيجب أن يدفع ١٥ شيقلاً من الفضة لصاحب العبد، كما جاء في نص المادة ١٣ من قانون لبت - عشتار: (إذا هو لا يملك عبد، يجب عليه أن يدفع ١٥ شيقلاً من الفضة)^(١). وهذا السعر يمثل قيمة عبد في ذاك العصر وهو ١٥ شيقلاً ويساوي نحو ١٢٠ غراماً من الفضة.

ويمكن مقارنة هاتين المادتين بالمادتين التاليتين من قانون أشنونا، فقد جاء في المادة ٥٠ أنه: (إذا قبض على رجل ومعه عبد مسروق أو أمة مسروقة، فعليه أن يعوض عبداً بعبد وأمة بأمة). العقوبة هنا التعويض. وتبعتها المادة ٥١ فقالت: (إذا قبض رئيس المدينة أو مراقب القنوات أو أي موظف آخر على عبد هارب أو أمة هاربة أو ثور مفقود أو حمار مفقود يعود إلى القصر أو إلى مولى (موشكينوم) ولم يسلمه (في الحال) إلى مدينة أشنونا، بل احتفظ به في بيته. وعند مضي سبعة أيام من الشهر (والعبد لم يسلم بعد)، فإن القصر سيعتبره (أي الموظف المحتفظ بالعبد) سارقاً)^(٢).

العقوبة هنا إلقاء القبض على الهارب، من قبل موظفين من السلطات المختصة، سواء كانت تعود للقصر أو للموشكينوم (العبيد الخاصون) وإذا لم يسلمها الموظف خلال مدة أقصاها سبعة أيام، فإن ذلك الموظف يعتبر سارقاً.

لقد خصص حمورابي ستة مواد من قانونه لظاهرة هروب العبيد، وفي هذا دليل على انتشار هذه الظاهرة في عصره. كانت قوانينه أشد صرامة على من يساعد العبد أو الأمة على الهرب، سواء كان العبد أو الأمة يخصصون القصر أو الموشكينوم، فقد كانت عقوبته الموت، جاء ذلك في المادة ١٥ التي تقول: (إذا جعل إنسان عبد القصر أو أمة القصر، أو عبد موشكينوم أو أمة موشكينوم يخرج من بوابة المدينة (يساعده على الهروب) يُقتل). وتبعتها المادة ١٦ فقالت: (إذا خبأ إنسان في بيته عبداً أو أمة هاربة

¹ - Kramer, S. N., op. cit., p 337.

^٢ - رشيد، المرجع السابق، ص ٩٤.

تخص القصر أو أحد الموشكينوم ولم يخرجهما (أثر نداء المنادي)^(١)، فإن سيد هذا البيت يُقتل^(٢).

في المادة ١٥: نجد أن من يساعد العبد أو الأمة على الهرب خارج بوابة مدينة بابل تكون عقوبته الموت. أما في المادة ١٦: فنجد أن من يخفي عبداً أو أمة في بيته ولا يخبر عنهما، على الرغم من المنادة عنهم في شوارع مدينة بابل، تكون عقوبته الموت.

يبدو أن هروب العبيد لم يكن مقتصرًا على عبيد العامة وعبيد الدين وغيرهم، بل كان عبيد القصر يهربون إذا ما أُسيئت معاملتهم أو شعروا بالظلم من قبل أسيادهم. ولهذا جاءت هاتان المادتان بخصوص عبيد القصر.

وقد وصلتنا رسالتان من مدينة ماري تتحدثان عن هروب عبيد يخصصون الملك زمري - ليم. ففي الرسالة رقم 61 27 الموجهة من حاكم قطونان إلى زمري - ليم، نجد أنه يخبره فيها عن هروب أحد عبيد القصر، الذين يعملون تحت إمرة داريش ليبور Daris - Libour^(٣)، فيقول: (إلى سيدي أتحدث! خادمك زاكيرا - حمو يقول: مدينة قطونان والمنطقة بخير. حول راعي داريش - ليبور الذي هرب، بخصوص الذي سيدي كتب لي - قبل أن يصل لوح سيدي، غلام داريش - ليبور الذي يعيش في زاري Zarri^(٤) جاء وقال لي أن ذلك الراعي قد اختفى، ومباشرة أنا كتبت إلى طاباتوم Tabatum^(٥)، سيلخاند Silhand^(٦)، إلى الصيادين على ضفة نهر الخابور وإلى رئيس الرعاة إيبال - بي - إيل Ibal-pi-El. أنا قلت، راعي داريش - ليبور هرب. ذلك الرجل هو ساميساروم Samisarum. علامة العبد لم تكن موضوعة عليه. ذلك الرجل يجب أن لا يفلت من يديكم. هكذا أنا كتبت لهم. الآن أنا سمعت لوح سيدي، وبطريقة مماثلة أنا

^١ - المنادي : هو الشخص الذي يُستأجر من أجل التفتيش عما يفقده الناس من ممتلكات أو حيوانات أو أطفال أو عبيد . كان يجوب أزقة المناطق السكنية منادياً بصوت جهوري عالٍ على ما هو مفقود وطالباً تسليمه إليه . وقد كانت هذه العادة متبعة إلى وقت قريب في العراق وخصوصاً عندما يفقد طفل صغير . انظر : المرجع نفسه ، ص ١٢٢ .

^٢ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٥٨ .

^٣ - داريش ليبور : هو موظف مهم في قصر ماري ، مهمته العناية بخزانة ثياب الملك زمري - ليم . انظر : Heimpel , w , op . cit , p 534 .

^٤ - زاري : حقول تابعة للملك في مملكة ماري . انظر : Ibid . , p 628 .

^٥ - طاباتوم : حديثاً تل طابان ، في شمال قطونان . انظر : Ibid . , p 626 .

^٦ - سيلخاند : مدينة في منطقة قطونان ، غير معروفة بالتحديد . انظر : Ibid . , p 622 .

كتبت لهم.وأنا أعطيت أوامر صارمة للرجال على نقطة الحدود الأمامية.إذا عرفني إله سيدي،ذلك الرجل يجب أن لا يفلت من يدي. وأنا سأقبض عليه وأسوقه إلى سيدي^(١).

هذه الرسالة من حاكم قطونان التابع لزمري- ليم في منطقة الخابور الأوسط، يخبره فيها عن هروب أحد العبيد التابعين للقصر واسم العبد ساميساروم، كان يعمل في رعي الأغنام لدى أحد موظفي القصر المهمين وهو داريش- ليبور. فيذكر زاكيرا- حمو أن خبر هروب ذلك العبد قد وصله من قبل أحد العبيد الآخرين التابعين لداريش- ليبور، والذي كان يرعى قطعاً آخر من أغنام القصر في حقول تابعة لمملكة ماري على ضفاف الخابور. فقام الحاكم بدوره بالاهتمام بهذه القضية بنفسه، فكتب إلى المدن التابعة له في منطقة الخابور، وإلى صيادي السمك على نهر الخابور وإلى رئيس الرعاة، وكذلك إلى الجنود الذين كانوا يخدمون كحرس على حدود قطونان، من أجل البحث عن ذلك العبد الهارب وإلقاء القبض عليه وتسليمه للملك.

وفي رسالة أخرى رقم 27 68 من الحاكم السابق الذكر إلى زمري- ليم، نجده يرسل كتيبة إنقاذ كاملة للبحث عن عبد من عبيد القصر قد هرب، يقول: (عبد من القصر في قطونان قد اختفى، وأنا أرسلت كتيبة الإنقاذ وراء ذلك العبد، وكتيبة الإنقاذ بحثت (قرب المكان) عن ذلك العبد)^(٢). (انظر ملحق النصوص).

هروب عبيد القصر أمراً خطيراً ومهماً، وإلا لما تجشم الحاكم وكبار المسؤولين في الدولة عناء البحث عن هذا العبد. هذا الاهتمام الكبير من قبل الملك وحكامه وقواده بإلقاء القبض على عبيد القصر الهاربين، ربما يعزى إلى أن أولئك العبيد كانوا يعرفون أسراراً كثيرة عن القصر وعن جنود الملك لكونهم يعيشون داخله، وخشية الملك من تسريب معلومات إلى الأعداء عن طريقهم، لاسيما أن أعداء ماري كانوا يحيطون بها من جميع الجهات. ولو لم يكن الأمر كذلك، لما اهتم القصر بأكمله بهروب عبد من عبيده، فباستطاعته أن يشتري جماعة من العبيد من خلال وارداته من الضرائب والجزية وغيرها.

ثم يتابع حمورابي في المادة ١٧ من قانونه التي جاء فيها نوع من الترغيب في إلقاء القبض على عبد هارب وإعادته إلى صاحبه، تقول المادة: (إذا ضبط إنسان عبد أو أمة هاربة في الخلاء وقاده إلى سيده، يدفع له صاحب العبد شيفلين من الفضة)^(٣).

¹ - Ibid ., p431 .

² - Ibid ., p 433 .

^٣ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٥٨ .

تعد حياة العبد بهذه الصورة من الوجهة القانونية أمراً غير شرعي وتعدياً على حقوق الآخرين. وعلى هذا الأساس اتخذت إجراءات قانونية بهذا الخصوص، يعمل بعضها على ترغيب المواطنين في القبض على العبد الهارب وذلك بإعطائهم مكافأة نقدية تصل إلى شيقلين من الفضة التي تساوي نحو ١٦ غراماً.

ومما تجدر ملاحظته أن المكافأة المذكورة تعطى في حالة القبض على العبيد الهاربين أثناء تواجدهم خارج أسوار المدينة، وهذا يعني أن بإمكان العبد التحرك والعمل في الأحوال الاعتيادية داخل المدينة دونما قيد، إلا أن تواجده خارج المدينة فقط سيجعله عرضة للقانون. في هذه المادة الشخص الذي ألقى القبض على العبد أو الأمة الهاربين، قد يستطيع التعرف على مالكمهم بسؤالهم عنه أو بطريقة أخرى من خلال علامة وسموا بها.

أما إذا لم يستطع الشخص القابض عليهم التعرف على مالكمهم، ولم يتمكن من استجوابهم، فإنه يأخذهم إلى القصر، الذي يقوم بدوره بمعرفة مالكمهم وإعادتهم إليه، جاء في المادة ١٨ من قانون حمورابي: (إذا لم يذكر ذلك العبد سيده، يقوده) (الذي ضبطه) إلى القصر (حيث) يفحص وضعه (هناك) ويعاد إلى صاحبه). إذا احتفظ القابض بالعبد في بيته، ووجد عنده تكون عقوبته الموت. نصت على ذلك المادة ١٩: (إذا احتفظ بهذا العبد في بيته، و(لكن) فيما بعد ضبط العبد في بيته، فإن هذا الإنسان يقتل). أما إذا تمكن العبد من الهرب من يد القابض فلا تقع عليه المسؤولية وعليه أن يؤدي القسم أمام الآلهة أنه هرب منه ولم يتمكن من الإمساك به، نصت على ذلك المادة ٢٠ فقالت: (إذا هرب العبد من يد القابض عليه، يقسم هذا الإنسان بحياة الإله لصاحب العبد) (اليمن) (ويصبح بريئاً)^(١).

عند هروب العبد كان المالك يقوم أولاً بالبحث عنه عن طريق المنادي، وإذا فشل في ذلك كان يلجأ إلى إبلاغ السلطات بذلك، وإعطائهم مواصفات عبده أو أمته. ويبدو أن هنالك جهازاً في القصر مهمته البحث عن العبيد الهاربين وإلقاء القبض عليهم.

ويبدو أن جهاز الدولة هذا يتعدى مهمة التحقيق إلى القيام الفعلي بالبحث عن عبيد الملكية الخاصة الهاربين. ففي رسالة من حمورابي إلى حاكم مدينة سيبار وقضاتها، يأمرهم فيها بإلقاء القبض على أمة هاربة تعود لمواطن بابلي. ويبدو أن مالك الأمة كان قد استنجد بالسلطات المختصة لمساعدته في البحث عن أمته، ومن الواضح أنه قد حظي باهتمام المسؤولين وعلى رأسهم الملك. فقد كتب حمورابي إلى موظف الغابو (gabbau الشرطة) المدعو أبيسو Abesu، وإلى موظف آخر هو الدوغاب Dugab (ويبدو أن مهمتهما تعقب العبيد الهاربين) للبحث عن أمة هذا الشخص الذي يدعى خالو Hallu، وأمرهما بالذهاب

^١ - المرجع نفسه ، ص ٥٨ - ٥٩ .

إلى مدينة سيبار وأخبار حاكمها عن مكان تواجد الأمة الهاربة، في مدينة سيبار - أمنانوم، ويبدو أن موظف الدوغاب قام باستلام تلك الأمة وإعادتها إلى بابل وتسليمها لمالكها الأصلي. ويبدو من خلال هذه الحادثة اهتمام حمورابي بشكوى هذا الرجل عن أمتة الهاربة وتجشم موظفيه العناء في البحث عنها وذكر مراتبهم الوظيفية، يعكس حجم هذا الجهاز وأهميته في حماية ثروة المواطنين من العبيد^(١).

ولكن هذا الجهاز ربما اختفى أو فقد أهميته في عهد خلفاء حمورابي. ففي عهد الملك إيبى - إيشوخ الخليفة الثاني لحمورابي، نجد أنه يطلب من المواطنين أن يساعدوه في إيجاد عبيده الهاربين، الذين لجؤوا إلى مدينة سيبار. كما أرسل إلى حاكم المدينة رسولاً ليطلب له العبيد الهاربين إلى مدينة سيبار ويعود بهم إلى بابل. وفي مسألة أخرى تخص عبداً لناديتو مردوك، كان يعيش في بابل ثم هرب إلى مدينة سيبار أمنانوم، نجد أن إيبى - إيشوخ قام بإرسال رسالة إلى الموظفين في سيبار يخبرهم عن العبد وأنه يجب البحث عنه وإعادته إلى بابل^(٢).

من خلال هذه الرسائل يبدو من الواضح أن مدينة سيبار وضواحيها كانت ملجأ للعبيد الهاربين، ولكن السبب في ذلك غير واضح ؟

ونتيجة لظاهرة هروب العبيد المتكررة في هذا العصر، نجد أن مالكيهم كانوا يراقبون بحذر عبيدهم الذين كان لديهم ميول إلى الهرب. فالسيد الذي كان يؤجر أو يُعير عبده للقيام ببعض الأعمال خارج ممتلكاته، كان يكتب إلى مراقبه أن يقوم بحراسته بحذر. وبسبب خوف مالكي العبيد من شراء عبد مطرود لأنه عنيد أو لديه ميول للهرب، أدرجت فقرة خاصة في بعض عقود البيع، أن المشتري يحق له ثلاثة أيام للتحقق من عدم ميول العبد للهرب بعد استلامه من البائع كما مر معنا سابقاً، وفي حال اكتشف أن العبد ميال للهرب أو كان هارباً، فإن عملية البيع تكون باطلة، ويعاد إلى المشتري الثمن الذي دفعه كاملاً^(٣).

هناك حادثة طريفة ونادرة وردت في إحدى الرسائل من عهد حمورابي على الشكل التالي: شاهد أحد الموظفين وهو على الأغلب شماش - خازر Samas-Hazr^(٤) خلال جولة تفقدية طباحاً، وهو عبد يجيد

^١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٨٩ .

^٢ - Harris , R ., Ancient Sippar , p 350 .

^٣ - Mendelsohn , I ., op . cit , p 61 .

^٤ - شماش- خازر : موظف مهم في قصر الملك حمورابي، ومن خلال الرسائل الموجهة إليه من الملك التي كان معظمها يتعلق بالأمور الزراعية . نستنتج أنه كان مكلفاً بإدارة شؤون الأراضي الملكية في المناطق المحيطة بمدينة لارسا ، وقد كان يتلقى تعليماته من حمورابي مباشرة ، كما كان معرضاً لتوبيخات الملك ، وقد كانت ترفع الشكاوى ضده إلى القصر . انظر : كلينكل ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

الطبخ بمهارة عالية، فعرض الموظف مبلغاً من الفضة على صاحبه ليتخلى عنه، إلا أن سيد العبد رفض بإصرار، ولم تقلح كل المحاولات والمغريات في أن تترجحه عن رأيه المتصلب، عندها تحايل الموظف على الطباخ، وأغراه بالوعود المجزية ليهرب من سيده في مدينة بابل ويلجأ إليه ربما إلى مدينة لارسا، وفعلاً تم له ما أراد، فامتلكه ثم باعه بريح وفيير^(١). فكتب صاحب العبد إلى شماش - هازر الذي أخذ عبده رسالة يقول له فيها: ((أنت أفسدت أفكار عبدي، لكي عبدي يهرب إليك من بابل، أنت ملكت العبد، الذي لا يخصك، أخذته على طول، ومن ثم أنت بعته إلى شخص آخر))^(٢).

هذه الرسالة فيها نوع من العتاب من قبل صاحب العبد لشماش - هازر الذي امتلك العبد بطريقة غير شرعية، وبما أن صاحب العبد من العامة وليس له صفة رسمية في الدولة، بخلاف شماش - هازر الذي كان مسؤولاً مهماً في القصر، نلاحظ في رسالته أنها موجهة من شخص أدنى مرتبة إلى شخص أعلى. وربما اشتكى صاحب العبد إلى الملك حمورابي من أجل استعادة عبده، فهناك الكثير من الشكاوى وصلت إلى حمورابي على شماش - هازر وتجاوزاته على العامة.

وهناك قضية أخرى بخصوص عبد يدعى واراد - بونين Warad - Bunene بيع من قبل سيده بيرخي - إيليشو Pirhi-ilisu لأشنونا بسعر ١١٢ مينا من الفضة، وبعد قضائه مدة خمس سنوات في العبودية في تلك البلاد، عاد هارباً إلى مدينة بابل. واستدعي من قبل اثنين من موظفي الجيش الأبني صابي، وبعد تفحص حالته أعلنوا حرثته، وقرروا أن يخدم في الجيش كريدوم. لكن ظهر أنه كان مُتَبَنًى من قبل سيده الأول وهو ملتزم بأداء خدمة إيلكو^(٣) في ممتلكات والده التي ورثها منه مع إخوته^(٤). يؤرخ هذا النص في عهد الملك عمي - ديتانا، جاء فيه كالتالي: (A من B، سيده قد باعه إلى مدينة أشنونا مقابل واحد ونصف مينا من الفضة، بعد هو أن خدم كعبد لمدة خمس سنوات في أشنونا، هرب إلى بابل C. و D، موظفي الجيش، ألقوا القبض على A وقالوا: ((أنت نظفت وأزلت علامة عبوديتك. أنت سوف تخدم بقوة السلاح)). A أجاب: ((أنا سوف لن أخدم مع الجنود، أنا سأقوم بخدمة إقطاعية لمنزل والدي)). إخوته X

^١ - المرجع نفسه ، ص ٢٤٦ .

^٢ - Snell , D ., op . cit , p 12 .

^٣ - الإيلكو : هي أراض ملكية يمنحها الملك للجنود كهبة ، كان الجندي يعمل بها بالإضافة إلى أعمال أخرى تخص الملك كحفر القنوات و بناء التحصينات وغيرها . و قد كان يمنح لعائلة هذا الجندي منزل و أرض من قبل الملك ، ويبدو أن جميع أفراد العائلة كانوا يشتركون في واجب الإيلكو ، وهذه الأرض التي كانت تقدر مساحتها بنحو ٦٥ هكتار ، وكانت تمنح لمن يقوم بخدمة الإيلكو ، تبقى للملك و لا يمكن تأجيرها أو بيعها ، ويمكن أن تعاد إلى الملك متى شاء . والواقع أن مدة الخدمة في الإيلكوم ليست محددة . انظر : Nigel , S , op . cit , pp 20 - 21 .

^٤ - Harris , R ., Ancient Sippar , p 350 .

Y، و Z أقسموا بالإله مردوك والملك عمي- ديتانا. ليس هناك ادعاء على أخيه A. لأجل الخدمة، طالما هو على قيد الحياة، A سيقوم بخدمة إقطاعية منزل والدهم مع إخوته^(١).

غير واضح لماذا بيع هذا الرجل إلى أشنونا؟ لكن من الواضح أنه كان رجلاً حراً ومُتَبَنًى من قبل شخص يدعى بيرخي - إيليشو، وقد باعه إلى شخص آخر في مدينة أشنونا، ربما لأجل دين وقع على والده .

هروب العبيد كان ظاهرة اجتماعية لم تؤثر على العبيد فقط بل أثرت على جميع طبقات المجتمع، وكان من أسبابها الدّين الظالم أو أعمال السخرة المرهقة. وفي حالة هروب العبيد، كانت العقوبة تفرض على العبد نفسه وعلى من يساعده أو يؤويه^(٢).

ولكن لم تكن القسوة و سوء المعاملة هي الدافع الرئيس لهروب العبيد فقط، فالعبيد الذين كانوا ولادة منزل عوملوا كأحد أفراد العائلة، ومعظمهم كانت حالتهم أفضل من عبيد الدين وعبيد الحرب والمجلوبين عن طريق التجارة، والذين استخدموا في الأعمال الزراعية أو في أعمال السخرة. لكن على كل حال، سواء عومل العبد بشكل جيد أو بشكل سيء، فقد كان مستاء وغير راضٍ عن عبوديته، وقد عبر عنها في جميع أنحاء تاريخ بلاد الرافدين بطريقة واحدة، يعني، في هروبه من العبودية. فالعبد كان في نظر القانون سلعة يباع ويشترى، ولكن بنظره الشخصي هو إنسان يملك مشاعر وأحاسيس، والإنسان الذي يشتري ويباع، يوسم بالعار ويذل، ولن يكون سعيداً تحت أفضل معاملة وأفضل ظروف. فالعبد كان يهرب لأنه كان يرفض العبودية^(٣).

ثالثاً - علامات العبودية :

إن أخطر مشكلة كانت تواجه مالكي العبيد هي ميل عبيدهم إلى الهرب كما أسلفنا. ونتيجة لذلك كان مالك العبد الذي يلاحظ على عبده أنه ميال للهرب يراقبه بإحكام ويضع عليه علامة العبودية، سواء بالوسم أو بالوشم أو على اليدين أو القدمين أو في بقعة ظاهرة من الجسم متعارف عليها، وذلك لسهولة التعرف عليه خارج أبواب المدينة وإلقاء القبض عليه ومن ثم إعادته إلى مالكه أو إلى القصر. وهي من الإجراءات الاحترازية التي شاع استخدامها في هذا العصر لإعاقة حرية تنقل العبيد وهروبهم. وأقدم ذكر لعلامات العبودية هي علامة أبوتوم، التي جاءت من السلسلة القانونية المعروفة بـ (ana ittisu أنا اتيشو)

¹ - Westbrook ,R ., op . cit , p 1672

² - Ibid ., p 1670 .

³ - Mendelsohn ,I ., op . cit , p 66 .

والتي وردت في اللوح السابع المعروف بقانون العائلة السومرية، ثم توالى ذكر علامات العبودية في القوانين البابلية القديمة، وفي عقود التبنّي والزواج ومعاملات البيع، كما في قانون أشنونا وقانون حمورابي بالإضافة إلى العديد من النصوص البابلية والآشورية^(١).

فقد حظر قانون أشنونا على العبيد الذين يحملون علامات العبودية الخروج من مدينة أشنونا، فجاء في المادة ٥٢ من قانونه: (لا يحق للعبد أو الأمة العائدين لمدينة أشنونا والموسومين بـ(الكانوم أو المشكانوم أو الأبوتوم) أن يخرجوا من باب مدينة أشنونا دون إذن سيدهما). وتبعتها المادة ٥٣ التي جاء فيها: (يجب وضع علامة على العبد أو الأمة ممن دخل باب مدينة أشنونا لحراسة سفير (مبعوث أجنبي) بالكانوم والمشكانوم والأبوتوم ويبقى (العبد أو الأمة) في حراسة سيده)^(٢).

من خلال نص هاتين المادتين يبدو أن هذه العلامات كانت توضع وتترك في ظروف معينة على العبيد والإماء كرمز على العبودية، ويبدو أن العبد في مدينة أشنونا كان يتحرك بحرية داخل أسوار المدينة لكنه لا يستطيع الخروج منها. في حين كان العبيد الخاصون بالسفراء يحملون علامات تميزهم عن بقية العبيد. ولكن السؤال ما نوع هذه العلامات وما طبيعتها، وكيف يمكن إزالتها؟

لقد اختلفت الآراء وتعددت النظريات حول هذه العلامات الثلاث، فالكانوم ربما كانت رباطة نحاسية كانت تشد على رقبة العبد أو على جبهته. أما بالنسبة للعلامة مشكانوم فقد جاءت بمعنى أغلال أو سلاسل مصنوعة من النحاس أو كانت مشبكاً معدنياً يثبت حول خصلة من الشعر، إذ يفترض أن تكون هناك تسريحة خاصة تتم بإزالة جميع الشعر ما عدا خصلة منه، ربما تكون لربط المشبك عليها وهذا تفسير المادة ٥٣ بوضع هذه العلامات على عبيد السفير الأجنبي^(٣).

أما أبرز مصطلح استخدم للدلالة على علامات العبودية يكتب بالسومرية GAR وبالأكدية أبوتو abbuttu وشاكانو Sakanu وتعني وضع ، لبس الأبوتو على قصة شعر^(٤). وجاء في بعض النصوص السومرية والبابلية مسبقاً بالعلامة الدالة على (الجلد أوزو UZU، وبالأكدية شيرو Siru لحم)

^١ - عبد الكريم ، قصي منصور ، جراحة التجميل في العراق القديم ، دراسة في ضوء الكتابات المسمارية القانونية ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية ، العدد الثالث - أيلول - ٢٠١٢ م . ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

^٢ - رشيد ، المرجع السابق ، ص ٩٤ .

^٣ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

^٤ - Black, J. , op . cit , pp 2 – 348.

بعلامة دالة على البرونز أورود urud. كما ورد ليشكل عبارة اصطلاحية تعني تثبيت أو وضع أبوتوم. وكذلك وردت كلمة أبوتوم لتعني قيد^(١).

والأبوتوم ربما كانت لوحاً صغيراً من الطين أو المعدن تعلق بسلسلة في رقبة العبد أو على معصمه أو كاحله أو في شعره . ويعزز هذا الرأي ورود الفعل يكسر - يزيل كإجراء للعنق من العبودية. اعتمد هذا الاحتمال على نصوص إعتاق ومواد قانونية من العصر البابلي القديم، وقد استنتج عملية كسر أو تحطيم علامة العبودية بأنها ذات طبيعة صلبة من خلال نصوص الإعتاق التي سنأتي على ذكرها لاحقاً^(٢).

١ - طبيعة علامات العبودية :

عُدَّ ذكر الأبوتوم وغيرها من علامات العبودية في المواد القانونية أساساً للفرضية القائلة بتعميم وضعها على العبيد، غير أن الجانب العملي الذي تعكسه النصوص يبين خلاف ذلك. إذ يتبين أن هنالك ظروفًا معينة وأسباباً خاصة تستدعي وضع تلك العلامات. فالعبيد الذين كانوا ولادة منزل عاشوا وترعرعوا بين أفراد الأسرة وأصبحوا كأنهم من أفرادها ويعاملون كالأحرار، فلا ضرورة هنا لوضع علامة العبودية عليهم^(٣).

ومن خلال النصوص المتعلقة بالعبيد في هذا العصر، نجد أن علامة العبودية لم تأخذ صفة الشمولية، فقد كان العبيد في بابل يميزون بوشم أو كي على الوجه أو في ظهر الكف، وكانت مثل هذه العلامات توضع على العبيد الذين لديهم ميول للهرب، وكانوا يوثقون بالسلاسل أو يكتب على صدورهم أو وجوههم كلمات (هارب. ألق القبض عليه)^(٤).

وهناك حالات أخرى مرت معنا يتم فيها وضع علامات العبودية كعقوبة، تبين المادة ١٤٦ من قانون حمورابي أن الأمة التي يتخذها سيدها زوجة من أجل إنجاب الأطفال، توضع عليها علامة العبودية في حال تناولت على سيدتها أو ساوت نفسها بها، كأن تقول لها أنت لست سيدتي، ولكن لا يحق لها بيعها بالمال إذا أنجبت أطفالاً، كما في حالة الأمة شماش - نوري السابقة الذكر .

^١ - المرجع نفسه ، ص ١٠٤ .

^٢ - عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

^٣ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

^٤ - ساغر ، عظمة بابل ، ص ١٩٠ .

كما كانت توضع على الزوجة التي تنكر زوجها أو تتناول على سيدتها، كما مر معنا في بعض عقود الزواج التي وضع فيها شرط جزائي مضمونه أنه إذا أنكرت زوجها توضع عليها علامة العبودية وتباع بالفضة كأمة.

وكانت علامة العبودية توضع أيضاً، على الابن المتبنى الذي ينكر والديه، فقد ذكرنا فيما سبق أن العبودية كانت تنزل بحق الشخص المتبنى ذكراً كان أم أنثى كعقوبة إذا أنكر والديه، وكان يرافق هذه العقوبة في معظم الحالات وضع علامة العبودية أولاً، وهي قص الشعر للذكر والأنثى ومن ثم بيعهم بالمال. النص التالي رقم No.57 أنموذج، يؤرخ في عهد سمسو - إيلونا يقول النص: (تاب - بالاتو **Tab Balatu** - بن إيتل - بي - شماش **Etel - bi - Shamash** وبيلتيا **Beltia** زوجته، قد تبني خابيل - أخي **Ahi - Habil** كابنهم. منزل، حقل، وجميع الممتلكات الموجودة في المنزل، بعد نينيب - جميل **NinIB - Gamil**، الأخ الأكبر، سيستلم حصته مميزة، هم سيقتسمون الممتلكات بالتساوي. أبناء تاب - بالاتو، أبلوم **Ablum**، كالو **Kalu**، ونينيب - جميل سوف لن يدعوا على الحقل، المنزل وحديقة خابيل - أخي، إذا قال خابيل - أخي ل تاب - بالاتو والده ولد بيلتيا أمه (أنت لست أبي، أنت لست أمي)، هما سيضعان عليه علامة العبودية ويبيعانه بالمال)^(١).

جاء في هذا النص تبني زوجين لطفل، وقد جعلاه كابن لهما وعاملهما كما يعامل الأبناء، وسيقتسم ممتلكات والديه مع إخوته بالتساوي بعد أن يأخذ الابن الأكبر حصة مميزة، وقد وضع شرطاً جزائياً على هذا الابن المتبنى إذا أنكر والديه أو أحدهما فإنه سيعاقب بوضع علامة العبودية عليه وبيع كعبد .

لقد وردت علامة قص الشعر في العديد من عقود التبني، التي جاء فيها، وضع شرط جزائي على الولد الذكر وعلى الفتاة وهو أنه إذا أنكر متبنيهما فإنهم سيحلقونهما ويبيعانهما بالمال. ولكنها لا يمكن أن تكون كالعلاقات السابقة كالأبوتوم والكانوم والمشكانوم. فقصة الشعر، يمكن أن تطبق على العبد الذكر، لكنها لا تصلح إطلاقاً للإماء، لأن الإماء بالإضافة إلى أعمالهن المختلفة اللواتي يقدمنها لأسيادهن، كان لهن وظائف أخرى في الممارسة الجنسية من قبل أسيادهن وكمحظيات، وبالتالي لا يمكن أن يكون السيد راغباً بمعاشرته أمته إذا كانت قبيحة المنظر، ولذلك يفضل وضع علامة العبودية على يديها أو قدميها ولا يقص شعرها. وأما ما جاء في الشرط الجزائي الخاص بالإناث من قص شعرهن، فربما كانت السيدة هي التي تقوم بقص جزء من شعرها، وعلى الأرجح من مقدمته. أما في المقابل فلم يتردد المشرع القانوني بقص شعر العبد الذكر المخالف الذي لا يستجيب لأوامر سيده، بل يصل الأمر أحياناً إلى أن تصلم أذنه، كما

¹ - Poebel ,A , op . cit , p 31 .

ورد ذلك في المادة ٢٨٢ من قانون حمورابي التي تنص على أنه: (إذا قال العبد لسيده أنت لست سيدي، وثبت أنه عبده، فعلى سيده أن يقطع أذنه). هذه الحقيقة، تعني، أن أسلوب العقوبة فرض من قبل القانون والعرف ولم يكن يترك لاجتهاد سيده، والقانون والعرف لم ينكرا الطبيعة البشرية للعبد، ولذلك لا يملك السيد الصلاحية على حياته ولا يستطيع قتله^(١).

٢ - إزالة علامات العبودية :

يظهر من خلال النصوص القانونية أن إزالة علامات العبودية كانت تستوجب الاستعانة بخبرة شخص متخصص، وهو الحلاق (كالبوم gallabum)، وقد فرضت القوانين البابلية القديمة عقوبة صارمة على الحلاقين، وهي أن من يقوم بإزالتها منهم تقطع يده. فقد جاء في المادة ٢٢٦ من قانون حمورابي: (إذا أزال حلاق علامة عبد دون معرفة صاحب العبد، يقطعون يد ذلك الحلاق). وهناك أيضاً عقوبة الموت شنعاً لمن يتواطأ مع العبد الهارب بالتحايل على الحلاق لإزالة علامة العبودية نصت على ذلك المادة ٢٢٧: (إذا خدع رجل حلاقاً وأزال علامة العبد دون معرفة، يقتلون ذلك الرجل ويعلقونه في بابه (و) يقسم الحلاق (لم أزل عن معرفة) ويخلى سبيله)^(٢).

من خلال نص المادتين السابقتين يظهر أن الحلاق هو من يقوم بعملية إزالة علامات العبودية، فالحلاق منذ القديم وحتى وقت قريب من خمسينيات القرن الماضي في أغلب مدن الشرق القديم كان يقوم بإجراء عمليات صغرى كالختان والحجامة وقلع الاسنان، كما كان يقوم بمداواة بعض الأمراض، فقد كان يمتلك في حانوته أو حقييته بعض الأدوية والمساحيق والأعشاب الطبية، وكان من أهم واجبات وأعمال الحلاق في بلاد الرافدين وضع علامة العبودية وإزالتها، ومن خلال هذه الأعمال يبدو التقارب شديداً بين مهنة الحلاق ومهنة الطبيب الجراح. ومن الجدير بالذكر أن مواد قانون حمورابي تضع المواد القانونية الخاصة بالحلاقين مباشرة بعد المواد القانونية الخاصة بالطبيب الجراح والطبيب البيطري، كما أن النصوص المسمارية المعجمية الخاصة بالأسماء قد رتبت بحيث جاء اسم الحلاق بعد اسم الطبيب، مع العلم أن ترتيب هذه الأسماء في السياقات المعجمية يخضع للتقارب بين التخصصات. من خلال هذا الاستعراض لعلامات العبودية يبدو أن قص شعر الرأس لم يكن من علامات العبودية، ومن غير المعقول أن يكون من علاماتها، وبالتالي إذا نوى العبد الهرب فلا يحتاج إلى أن يذهب إلى الحلاق ليقص له شعره، لأنه يمكنه أن يجعل شخصاً آخر يقص له شعره أو يغطي رأسه. وإن عقوبة قص الشعر التي وردت

¹ - Mendelsohn, I., op. cit., p 66.

^٢ - الرويح، المرجع السابق، ص ٨٧.

في النصوص، ليست إلا عقوبة مبدئية القصد منها إلحاق الإهانة ومن ثم يأتي بعدها وضع علامة العبودية والبيع. ولو كان قص الشعر هو علامة العبودية لما احتاج أن تدرج له مادة قانونية، بل إن المادة القانونية تنص على معاقبة الحلاق الذي يقوم بإزالة وشم ملكية العبد بقطع يده، مع أنه أزالها دون معرفة بصاحب العبد، فما العقوبة إذا كان يعرف؟ العقوبة هي الموت. وذلك يبدو واضحاً من خلال المادة التي تلتها، في عقوبة الموت شقاً على من يخدع حلاقاً لإزالة علامة عبد لا يخصه. ولكن الوشم والوشم على بقع ظاهرة من الجسم كالوجه أو الجبين أو القدمين أو اليدين، هما العلامتان الرئيستان للعبودية في العصرين البابلي القديم والحديث^(١). ومن الجدير بالذكر هنا أن الرافديين القدماء عرفوا الوشم بالكي، وهو معروف حتى اليوم بشكل واسع بالنسبة لقطعان الحيوانات، وذلك لبيان ملكيتها لأصحابها، فقد كان لكل صاحب قطيع من الحيوانات وسمه الخاص الذي يوسم به قطعانه. وقد وردت الإشارة إلى مثل هذه العلامات بالكي في قوانين حمورابي في المادة ٢٦٥: (إذا الراعي الذي أعطيت له ماشية أو غنم للرعي، غش أو غير العلامة الموسومة بها ماشيته) أو باع بالفضة، يثبتون ذلك عليه يعيد عشرة أمثال ماسرق من الماشية والغنم إلى صاحبها). وبما أن العبد يُعد في نظر القانون و العرف مجرد ملكية منقولة كالماشية وغيرها كما أسلفنا، فيمكن أن يكون هذا الوشم شبيهاً بالوشم الذي كان يوضع على العبد كعلامة للعبودية، فعلمة العبودية الموضوعة على العبد تُعد من جهة علامة لتشخيص ملكية العبد ومن جهة أخرى ميله للهروب. وفي هذا تعتبر علامة العبودية كإجراء وقائي لحماية الثروة وإقرار شرعيتها^(٢). وربما لهذا السبب تشير النصوص في عصور لاحقة إلى وشم العبد كقطعان الماشية^(٣).

رابعاً - إيذاء العبيد :

على الرغم من أن العبد كان في نظر القانون مجرد متاع وصنف مع الممتلكات المنقولة، إلا أننا نلاحظ أن القانون والمجتمع كانا يعترفان بطبيعته البشرية. ولذا نجد هناك تناقضاً في حالته، فمن جهة عُد ملكية ذات طبيعة بشرية، ومن جهة أخرى عُد مجرد متاع وبذلك ألغيت أية حقوق بشرية له، وهذا ما نلاحظه من خلال المواد القانونية المتعلقة بإيذائه^(٤). فقد عُد القانون الأضرار الواقعة على العبد، من جراء

١ - عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

٣ - عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

٤ - Mendelsohn , I , op . cit , p 64 .

اعتداء طرف ثانٍ عليه أضراراً بثروة مالك العبد. فإذا فقد العبد سنه أو عينه أو حياته، فإن هذا كان ينظر إليه على أنه مجرد قدر ليس إلا، أما بالنسبة لسيده فيستلم تعويضاً كاملاً من قبل المعتدي^(١).

ومن الاعتداءات والإيذاءات التي كان يتعرض لها العبيد وعالجتها المواد القانونية الاغتصاب الذي كانت تتعرض له الإماء. فقد جاء في المادة ٣١ من قانون أشنونا: (إذا فضَّ رجل بكارة أمة رجل آخر، فعليه أن يدفع ثلث مينا فضة، وتبقى الأمة ملكاً لسيدها)^(٢).

الاعتداء على عبيد الآخرين عُدَّ مخالفة يعاقب عليها القانون، وهنا كانت العقوبة غرامة مالية قدرها ثلث مينا من الفضة (أي ما يعادل نحو عشرين شيقلاً)، وهو سعر العبد في هذا العصر .

وفي كثير من الأحيان كان الإيذاء يؤدي بحياة العبد، من قبل الحيوانات المنزلية كالثور النطاح والكلب المسعور، التي كانت تؤذي الحر والعبد معاً وتؤدي إلى وفاتهما ولكن التعويض كان مختلفاً. كما جاء في المادة ٥٤ من قانون أشنونا: (إذا كان هناك ثور نطاح، وأعلنت السلطات صاحبه بذلك، ولكنه لم يقيد رأسه، فإذا نطح بعد ذلك إنساناً وقتله، فعلى صاحب الثور أن يدفع ثلثي مينا فضة). وتبعته المادة ٥٥: (وإذا نطح عبداً وقتله، فعليه أن يدفع خمسة عشر شيقلاً فضة)^(٣).

يبدو واضحاً من خلال هاتين المادتين أن التعويض نتيجة إيذاء الرجل الحر أكبر بكثير من التعويض نتيجة إيذاء العبد. فالتعويض للرجل الحر بلغ ثلثي مينا من الفضة (أي ما يعادل نحو ٤٠ شيقلاً من الفضة)، أما التعويض للعبد فبلغ ١٥ شيقلاً (أي ما يعادل نحو ١٢٠ غراماً من الفضة).

ويمكن مقارنة هاتين المادتين بالمادتين ٢٥١ و ٢٥٢ من قانون حمورابي، فقد جاء في المادة ٢٥١: (إذا عرف ثور رجل بعادة النطح، وأخبرته سلطات مدينته أنه ينطح، ولكنه لم يخفف قرنيه ولم يربطه، وذلك الثور نطح شخصاً حراً وأماته، هو (صاحب الثور) سيدفع ثلاثون شيقلاً من الفضة). وتبعته المادة ٢٥٢: (إذا كان عبد رجل (من قتل بالنطح)، هو (صاحب الثور) سيعطي عشرين شيقلاً من الفضة)^(٤).

^١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٩٦ .

^٢ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٤٠ .

^٣ - المرجع نفسه ، ص ٤٣ .

^٤ - Roth , M . T . , Law collections from Mesopotamia and Asia minor , second edition, Vol.6 , Society of Biblical literature, Writings from the Ancient world series, scholars press, Atlanta , Georgia , 1997 . p 128 .

وبمقارنة التعويض بين قانون أشنونا وقانون حمورابي، نجد أن التعويض للرجل الحر كان أكثر عند أشنونا من حمورابي، وربما يعود ذلك إلى اختلاف القيمة النقدية بينهما، أما التعويض للعبد فهو عند حمورابي أكثر من أشنونا. وربما يعود ذلك إلى ارتفاع سعر العبد في عهد حمورابي .

ومن الحيوانات الأخرى التي ذكرت في القانون، الكلاب المسعورة. فقد جاء ذكرها في المادتين ٥٦ و ٥٧ من قانون أشنونا وهي مشابهة للمادتين السابقتين من قانونها، فقد جاء في المادة ٥٦: (إذا كان هناك كلب مسعور، واعلمت السلطات صاحبه بذلك، لكن هذا لم يحرس كلبه، وعض إنساناً وسبب موته، فعلى صاحب الكلب أن يدفع ثلثي مينا من الفضة). وتتابع المادة ٥٧ فتقول: (إذا عض عبداً وسبب موته، على صاحب الكلب أن يدفع خمسة عشر شيقلاً من الفضة)^(١). التعويض هنا مشابه للمادتين السابقتين من قانون أشنونا ٥٤ و ٥٥ .

نظرة حمورابي في العدل لم تشمل العبيد، بل كان مجحفاً بحقهم، نجد ذلك في بعض مواد قوانينه للإيذاء المستحق للعقاب، فإذا آذى شخص ما عبداً تكون عقوبته أخف من عقوبة الذي يؤدي رجلاً حر^(٢). فقد جاء في المادة ١٩٩ من قانونه: (إذا فحاً رجل حر عين عبد رجل حر أو كسر عظم عبد رجل حر، فعليه أن يدفع نصف ثمنه بالفضة)^(٣). وجاء في المادة ٢٠٥ من قانونه: (إذا عبد رجل صفع ابن رجل على وجنته، هم سيقطعون أذنه)^(٤).

من خلال هاتين المادتين نجد أنه إذا فحنت عين العبد أو كسرت رجله من قبل رجل حر، فأدى ذلك إلى تشويه خلقته فرضت على المعتدي غرامة مالية، تدفع إلى صاحب العبد وهي نصف ثمنه. أما إذا تجاوز العبد وضرب رجلاً حرّاً على وجهه فقد عدّها المشرع جريمة عقوبتها تشويه منظره وهي قطع أذنه. عقوبة قطع الأذن وردت مرتين في قوانين حمورابي في هذه المادة وفي المادة ٢٨٢ إذا تناول العبد وأنكر سيده. ومن هنا نجد أن هذه العقوبة فرضت على تعدي العبيد على الأحرار، وهي عقوبة قاسية.

أما إذا قام رجل حر بضرب أمة رجل حر آخر وكانت حاملاً وأدى ذلك إلى إسقاط جنينها وقتل نفس بشرية، فالتعويض شيقلان من الفضة (بما يعادل نحو ١٦ غراماً من الفضة)، والذي لا يساوي ربع ثمنها. كما

^١ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، المرجع السابق ، ص ٤٣ - ٤٤ .

^٢ - Snell , D ., op . cit , p 12 .

^٣ - Slanski , K . E ., The law of Hammurabi and its audience , Yale journal of law and the humanities , Vol . 24 , Issue . 1 , article 3 , 2012 . p 105 .

^٤ - Roth , M . T ., op . cit , p 122 .

جاء ذلك في المادة ٢١٣ من قانون حمورابي: (إذا ضرب رجل أمة رجل وتسبب في إجهاضها، فعليه أن يدفع شيقلين من الفضة). وإذا توفيت الأمة نتيجة الضرب فالغرامة تكون ثلث مينا من الفضة (أي ما يعادل نحو ٢٠ شيقلاً بما يساوي نحو ١٦٦ غراماً من الفضة) تدفع لصاحب الأمة. كما جاء ذلك في المادة ٢١٤: (فإن ماتت تلك الأمة، فعليه أن يدفع ثلث مينا من الفضة)^(١).

وقد ذكرنا سابقاً حالات اعتداء تسبب موت العبد جاءت في المادة ١١٦ من قانون حمورابي، وتتمثل في ضرب العبد المرتهن مقابل دين وموته، وقد حددت عقوبة الرجل المعتدي بغرامة قدرها ثلث مينا من الفضة مع خسارة دينه.

وهناك حالات أخرى عالجتها قوانين حمورابي، وهي إذا عالج طبيب عبد رجل وشفي هذا العبد فصاحب العبد سيعطي الطبيب كأجرة له شيقلان من الفضة. جاء ذلك في المادة ٢١٧: (إذا أجرى طبيب عملية جراحية كبيرة بسكين من البرونز لعبد رجل أو فتح له خراجاً وأنقذ عينه، فعلى سيد العبد أن يعطي الطبيب شيقلين من الفضة). ولكن إذا توفي العبد فإن الطبيب يغرم بإعطاء عبد بدلاً عنه لصاحب العبد. جاء ذلك في المادة ٢١٩: (إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين برونزية لعبد رجل وسبب موته، هو سيعوض عبداً بعد بقيمة مساوية). وتتبع بالمادتين التاليتين في حال قام الطبيب بمعالجة عبد الرجل وخرب عينه فإن الطبيب يغرم بنصف ثمن العبد، جاء ذلك في المادة ٢٢٠: (إذا هو فتح له (للعبد) خراجاً بسكين برونزية وخرب له عينه، هو سيزن ويسلم فضة مساوية لنصف قيمته)^(٢).

وإذا شفي العبد على يد الطبيب فعلى صاحب العبد أن يدفع له أجرته التي حددها القانون شيقلان من الفضة (أي ما يعادل نحو ١٦ غراماً من الفضة). كما جاء ذلك في المادة ٢٢٣: (إذا كان عبد رجل، فعلى صاحب العبد أن يعطي الطبيب شيقلين من الفضة). وهناك حالة أخرى تؤدي إلى وفاة العبد، وهي إذا قام ببناء بتشيد منزل ولم يحكم بناؤه فانهار وأدى إلى وفاة عبد صاحب البيت، فإن البناء يغرم نتيجة ذلك بإعطاء عبد لصاحب البيت بدلاً من عبده. كما جاء في المادة ٢٣١: (إذا تسبب بموت عبد صاحب البيت، هو سيعطي لصاحب البيت عبداً بقيمة مساوية للعبد)^(٣).

^١ - مكنيل ، وليم ، وآخرون ، شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم ، ترجمة أسامة سراس ، ط2 ، دار علاء الدين ، دمشق ، ١٩٩٣ م ، ص ٣٧ .

^٢ - Roth , M . T . , op .cit ,P 123 .

^٣ - Ibid . , Pp 124 – 125 .

يبدو أن هذه الحالة والحالات السابقة، التي كانت تؤدي إلى وفاة الحر والعبد دون استثناء كانت منتشرة في هذا العصر ولذلك أدرج لها مواد خاصة بها لمعالجتها.

نلاحظ في جميع حالات الإيذاء التي وقعت على العبيد أن المتضرر هو العبد بينما التعويض لسيده. أي أن صاحب العبد هو الرابح في جميع الحالات. فالقوانين هنا جاءت لحماية ملكية صاحب العبد، وليس لحماية العبد نفسه. ونلاحظ أيضاً أن الإيذاء الواقع على العبيد يكون بالغرامة المالية، أما العقوبة الواقعة على العبد بسبب إيذائه رجلاً حراً فتكون جسدية تشويهية.

خامساً - بيع العبيد :

كان العبيد يباعون فرادى أو مجموعات. ويبدو أن مصلحة السيد هي التي كانت تحدد شكل ذلك البيع، كأن يبيع العائلة المستعبدة بأكملها مرة واحدة، أو يبيع أفرادها كلاً على حدة، مع مراعاة بعض الجوانب الإنسانية في بيع الأطفال الرضع مع أمهاتهم الإماء، الذين يوصفون في عقود البيع بـ أطفال على الصدر^(١).

لقد تحدثنا عن تجارة العبيد كأحد مصادر العبودية، وأوردنا العديد من نصوص البيع التي كانت تتم بتراضي الطرفين البائع و المشتري، أما هنا فنستحدث عن بيع العبيد ونظرة القانون لها. فقد أجازت القوانين البابلية القديمة بيع العبيد ضمن شروط نصت عليها، لإقرار شرعيتها وحماية هذه الثروة من الضياع. فقد جاء في المادة ٤٠ من قانون أشنونا: (إذا اشترى رجل عبداً أو أمة أو ثوراً أو أية بضاعة، ولم يستطع التعرف على البائع، فإنه يعد سارقاً)^(٢).

هذه المادة تفرض وجوب اقرار عملية البيع بشكل قانوني وإبرام عقد بذلك وإشهاد شهود على عملية البيع. لأنه إذا لم يستطع البائع إثبات عملية البيع لهذه الممتلكات المنقولة يُعَدُّ البائع لصاً، ويعاقب بتهمة السرقة. وفي الوقت نفسه حذر قانون أشنونا من التعامل مع العبيد في التجارة، فقد جاء في المادة ١٥: (لا يجوز للتاجر أو لبائعة الخمر أن يستلم من عبد أو من أمة فضة أو شعيراً أو صوفاً أو زيتاً بغية المتاجرة بهم). وتبعها المادة ١٦ فقالت: (لا يجوز إبرام قرض (بصورة شرعية) مع شريك بالإرث أو مع عبد)^(٣).

^١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٧٣ .

^٢ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٤١ .

^٣ - رشيد ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .

يتبين من هاتين المادتين أن العبيد لا يجوز لهم القيام بأعمال البيع، لأنه وما ملك ملك لسيده. كما أن حصة الوريث من الإرث الذي لم يقسم بعد، لا يمكن رهنها وذلك لأنها لم تحدد بعد^(١).

أما قوانين حمورابي فهي أشد صرامة في نقل هذه الممتلكات من شخص إلى آخر عن طريق البيع والشراء دون إثباتها بشكل قانوني. جاء في المادة ٧ من قانونه: (إذا اشترى رجل أو استلم على سبيل الأمانة إما فضة أو ذهباً أو عبداً أو أمة أو ثوراً أو شاة أو حماراً أو أي شيء (آخر) من يد ابن رجل أو يد عبد رجل دون شهود وعقود، فإن ذلك الرجل سارق ويجب أن يعدم)^(٢).

هنا فرض حمورابي على المشتري وليس على البائع بعكس قانون أشنونا، إبرام عقد وإشهاد شهود على عملية البيع حتى تكون العملية صحيحة، وإذا لم يفعل ذلك فإن المشتري يُعَدُّ سارقاً وتفرض عليه عقوبة الموت.

كما حدد حمورابي مدة شهر كضمانة، لمعرفة ما إذا كان العبد المباع مصاباً بمرض البينو، جاء ذلك في المادة ٢٧٨: (إذا اشترى إنسان عبداً أو أمة، وقبل أن يمضي شهر (على ذلك) وأصابه (حرفياً: سقط عليه) مرض بينو bennu، فإنه يمكن له أن يرده إلى بائعه، ويأخذ المشتري الفضة التي دفعها (حرفياً: وزنها)^(٣). مرض البينو وهو الصرع لا يمكن أن يظهر على العبد المصاب به خلال عملية البيع، لذلك حدد المشرع مدة شهر ضمانة لكشف هذا المرض، فإذا ظهر على العبد خلال هذه المدة فإن عملية البيع تلغى ويعيد المشتري العبد ويستعيد ماله الذي دفعه للبائع.

وقد أورد حمورابي ضمانة أخرى يقدمها البائع للمشتري، جاء ذلك في المادة ٢٧٩ من قانونه: (إذا اشترى إنسان عبداً أو أمة، وظهر بشأنها ادعاء، فإن بائعها يتحمل مسؤولية الادعاء)^(٤). يعني ظهور الادعاء أو المطالبة بالعبد من قبل طرف ثالث، وإذا كان الشرطان الأولان قد حددا بزمن معين فإن الشرط الثالث لم يحدد له زمن معين في وثائق البيع، لسبب بسيط وهو استمرار متابعة صاحب العبد الشرعي عبده لأنه جزء من ممتلكاته.

^١ - المرجع نفسه ، ص ١٠٠ .

^٢ - المرجع نفسه ، ص ١٢٠ .

^٣ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٩٥ .

^٤ - المرجع نفسه ، ص ٩٥ .

لقد أوردنا سابقاً بعض النصوص ذات العلاقة بعقود بيع العبيد المجلوبين من الخارج عن طريق التجارة، التي تعكس مدى التطبيق القانوني لهذه المواد. ولكننا سنورد هنا عقود بيع العبيد المحليين الخاصين التي كانت مشابهة بشكل كبير لعقود بيع العبيد المجلوبين من الخارج. فبالرغم من أن العبيد كانوا يُعدّون من الأموال المنقولة التي لا تحتاج عادة إلى تحرير عقد عند البيع، نجد أن القانون فرض عند عملية بيع العبيد تحرير عقد بذلك كما أسلفنا، وفق الصيغة الرئيسة المنصوص عليها، والتي تبدأ بذكر مكان العقد، فيذكر اسم العبد أولاً ثم العدد والجنس، ومن ثم تذكر أسماء الأطراف المتعاقدة (البائع والمشتري) ثم صيغة إبرام العقد وهو بالسومرية أين - شي - شام **IN - SE - SAM**، وعادة يذكر أن المبلغ قد دفع كاملاً ويذكر تحديد المسؤولية في حالة الادعاء ثم الشرط الجزائي والتاريخ والشهود والقسم^(١).

لدينا العديد من نصوص بيع العبيد المحليين من هذا العصر توضح هذه الحالة. ففي النص التالي عقد بيع لعبد من مالكة إلى التاجر المرابي بعل - موناخه، يعود تاريخه في السنة الخامسة عشرة من حكم الملك العيلامي ريم - سين، يقول النص: (اشترى بعل - موناخه من نيتيني **Nitini** عبداً اسمه شو - عمورو **Su - Amuru** ملك نيتيني. وزن له ١٣ شيقلاً من الفضة كامل ثمنه. وأمام مانو **Manu** الكوكورد وأمام الساقى بارا **Bara** وأمام الصائغ ريشيرا **Risira** وأمام ليساميل **Lisamil** وأمام مخمر البيرة شماش - جميل **Samas - Gamil** وأمام شو **Su** بن تابي - إيلو **Tabi - Ilu** وأمام نيديتو **Niditu**. وأمام التاجر لاكيبو **Lakipu** وأمام لوني - شوبوركا **Luni - Supurka** بن شيمي - إيبى **Simi - Ibi** وأمام آخو - باتيرو **Ahu - Batiru**. (أختام الشهود). شهر آذار (الثاني عشر) عام كايدا ومدينة نازارو التي احتلها الملك بالسلاح الفتاك^(٢).

هذا التاجر المرابي المشهور بعل - موناخه مر معنا من قبل في نشاطات بيع وشراء العبيد وغيرها من النشاطات الاقتصادية التي كان يمارسها في لارسا، وشراء هذا العبد هو إحدى صفقاته التجارية، وقد دفع سعر العبد كاملاً، وكان يعادل نحو ١٠٤ غراماً من الفضة. ونلاحظ هنا أن الشهود على عملية البيع كانوا من أصحاب الحرف المعروفة والمنتشرة في ذلك العصر، كساقى المياه، والصائغ، ومخمر البيرة، والتاجر، وكانت لهم مكانة مميزة بين العامة ولا يمكن الطعن بشهادتهم. وأخيراً ذكر التاريخ والسنة التي أخضع فيها

^١ - سليمان ، كروان عامر ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

^٢ - سليمان ، توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .

الملك الحاكم مدينة نازارو. فقد دأب الملوك العيلاميون على تأريخ سنوات حكمهم بالأعمال العظيمة التي قاموا بها وتفاخروا بها تقليداً لملوك بلاد الرافدين .

ولدينا العديد من عقود بيع العبيد جاءتنا من عهد الملك البابلي سمسو - إيلونا، ابن وخليفة حمورابي، والتي يمكن تأريخها في السنوات الأولى من حكمه. فقد جاء في العقد رقم CT 48 28 Si 9 (أمة) باسم [فلانة]، سجادة مزينة بالعقد. من البائع المشتري قد اشترى. لسعرها الكامل المشتري دفع [...] فضة. (العبد) مرر على بوكانوم. قلب بائعه راضٍ، الصفقة اكتملت، هم (البائع والمشتري) أقسما بشماش، آيا، مردوك والملك سمسو - إيلونا أن لا أحد سيدعي ضد الآخر. (الشهود والتاريخ)، (طبعة ختم البائع)^(١).

اسم الأمة وثمنها مفقودان في النص. لقد ابتيعت أمة مع سجادة مزخرفة، وربما كانت تلك السجادة ملكاً خاصاً للأمة وقد أخذتها معها، وقد تمت الصفقة بالتراضي بين الطرفين البائع والمشتري، وأقسما بالآلهة العظيمة في المدينة شماش وآيا ومردوك والملك سمسو - إيلونا الذي دون في عهده العقد، أن لا يدعيان على بعضهما في المستقبل. واختتمت بأسماء الشهود والتاريخ وطبعة ختم البائع .

وفي العقد التالي رقم IM.10110، بيع عبد يؤرخ في عهد سمسو - إيلونا، يقول النص: (العبد اسمه شماش - كيما - إيليا Samas - Kima - Ilia، من إيلياتوم Iliatum، وأويل - إيلي Ili - Awil أخوه، أبناء سوليلاتوم Sulilatam، سيده (مالكه)، سين - أمكور - آني Sin - imgur - Anni بن ببلي Beli اشترى، ١٣ شيفل فضة، ثمنه بالكامل، يزن. في الأيام القادمة، في المستقبل، الادعاء الشرعي (فيما يتعلق بـ) العبد، (من قبل) القصر، وعامة الناس (الساكين). (كل من) إيلياتوم وأويل - إيلي، سيكونان مسئولين (أي سيقفون ضد أي ادعاء)، وسوف لن يدعي أحدهما على الآخر، ترك العبد (مع سيده الجديد). باسم الملك سمسو - إيلونا أقسموا. اختتم العقد بأسماء أحد عشر شاهداً، ثم التاريخ شهر آب، اليوم الثالث. السنة (التي عمل بها) الملك سمسو - إيلونا المصطبة الملكية (ممثلاً كـ) (الجبل والنهر). وأخيراً طبعة ختم البائع)^(٢).

¹ - Koppen , F . V . , op . cit , p 10 .

^٢ - معضد ، علي هاشم ، نصوص اقتصادية (عقود بيع عبيد) من العصر البابلي القديم ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد السابع عشر ، العدد 4 ، جامعة القادسية ، ٢٠١٤ . ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .

قام سين- أمكور- آني بن بيلي بشراء عبد اسمه شماش- كيما- إيليا من أبناء سوليلاتوم، إيلياتوم وأخوه أويل- إيلي، وقد دفع سين- أمكور- آني ثمنه نحو ١٠٤ غراماً من الفضة. سيكون الأخوان مسؤولين عن أي ادعاء على ملكية العبد إذا ما ظهر شخص آخر يدعي ملكيته في المستقبل، وقد أقسموا باسم الملك سمسو- إيلونا أما اسم الإله فمفقود. واختتم العقد بأسماء أحد عشر شاهداً على عملية البيع (انظر ملحق النصوص)، وذكر تاريخ العقد في اليوم الثالث من شهر آب، والسنة التي قام فيها سمسو- إيلونا ببناء المصطبة الملكية التي كانت على شكل الجبل والنهر. فقد دأب الملوك البابليون في هذا العصر على التأريخ بالأعمال المهمة التي كانوا يقومون بها، وهنا الملك سمسو- إيلونا سار على نهج سلفه حمورابي الذي أرخ سنوات حكمه بالأعمال المهمة التي قام بها .

في بعض الأحيان كان الورثة يقومون ببيع حصصهم من العبيد التي ورثوها من آبائهم، كما جاء في النص التالي، الذي يؤرخ في عهد الملك سمسو- إيلونا، يقول النص: (أمة واحدة اسمها أمات - شالا Amat - Sala، أمة أبلا - أدد Abala - Add، بن إل- إدينام Iddinam - IL، وشلب- أي- جميل Sulb - E - Gamil أخوه، من أبل- أدد Appl - Add، وشلب- أي - جميل، مالكيها، ألوم Alum بن إل - نشي Inisi رئيس عرفاء، اشترى، ورن ١١ شيقل و ٦١١ شيقل فضة، ثمنها بالكامل، في المستقبل والأيام المقبلة يقف أبل - أدد، وشلب- أي - جميل، مسؤولين، ضد الادعاء اقسما بسمسو- إيلونا الملك لا رجوع، لا ادعاء. أسماء أربعة شهود وطبعات الأختام)^(١).

يتضمن العقد بيع أمة، هي ملكية لأخوين يبدو أنهما قد ورثاها من تركة والدهما. كما ذكر في العقد سعر الأمة الذي يساوي نحو ١٠٠ غراماً من الفضة، وأنه قد دفع بالكامل للبائع، وكذلك ضمن العقد للمشتري أنه إذا ما ادعى في المستقبل أي شخص الأمة فإن الأخوين صاحبي الأمة يكونان مسئولين أمام الادعاء. ويلاحظ أن القسم قد تم باسم الملك وليس بالإله .

وفي العقد التالي رقم 43846 . IM ، نجد ما يأتي: (السيد [.....] من آبي Abi ، مالكه، سين- ميلاني Sin-Millani ، اشترى، لثمنه الكامل، فضة سيزن، قلبه راضٍ، كلمتهم تمت، وختمه مرره، في الأيام القادمة رجل إلى رجل، سوف لا يتراجع، بحياة الإله تشباك والملك [.....] أقسما. واختتم العقد بأسماء اثني عشر شاهداً)^(٢).

^١ - سليمان ، كروان عامر ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

^٢ - معضد ، المرجع السابق ، ص ٥١٢ .

قام سين - ميلاني بشراء عبد من سيده أبي، لكن السعر لم يذكر بشكل صريح، واكتفي بذكر أن سعره الكامل قد دفع بالفضة، وقد تمت العملية بالتراضي بين الطرفين وختم البائع على العقد، وقد أفسما باسم الإله تشباك والملك أن لا أحد في المستقبل سيتراجع عن عملية البيع. واسم الملك مفقود، ولكن ربما يكون سمسو - إيلونا، فقد ذكر اسم أحد الشهود المدعو أنبوشا بن سين - إمكور - آني (انظر ملحق النصوص)، ففي العقد السابق رقم IM.10110 جاء ذكر اسم والده سين - إمكور - آني الذي اشترى العبد شماش - كيما - إيليا من أبناء سوليلاتوم، فهذه العائلة ربما كان نشاطها التجاري في بيع وشراء العبيد والشهادة على عمليات البيع .

وفي العصر الآشوري الحديث (٩١١ - ٦٠٩ ق.م) ظهرت فقرة ضمان ثلاثية في عقود بيع العبيد وهو ضمان ضد مرض البينو ومرض الصيبو sibtu ، وأحيانا كان يذكر البينو إلى جانب الصيبو، ويعني حرفياً (نوبة) وضد سرقة العبيد من مالهم الأصلي. وتحدد نصوص هذه الفقرة بمئة يوم للتأكد من عدم إصابته بأي مرض بينما ولم تحدد زمناً للمسروقين من مالك آخر^(١).

سادساً - إعتاق العبيد :

إن عتق عبد ما يعني من الناحية القانونية تخليصه من مظاهر العبودية وإعادته إلى حالة المواطنة، وهي بمثابة منحه الجنسية البابلية، أي إنهاء علاقته بسيده وحصوله على حقوق الأفراد الأحرار. والنصوص ذات العلاقة بعتق العبيد توضح أن علاقة العبد بسيده تنتهي بشكل مباشر بعد إعلان العتق، أو بشكل مؤجل إلى حين وفاة السيد المعتق. وعند إتمام شروط الحاليتين يصبح العبد متحرراً من أي التزام تجاه السيد أو ورثته^(٢).

لقد حدد قانونا لبت - عشتار وحمورابي بعض الطرق القانونية التي يمكن للعبد من خلالها أن يحصل على حريته، وقد رافق ذلك الجانب القانوني في مهمته تلك، ممارسات اجتماعية عرفية لم نجد لها انعكاسات في القوانين. وتتميز بكونها انعكاساً عملياً لمفهوم البابليين القدماء عن العبودية. وتتمثل تلك الممارسات في عقود العتق المتمثلة بأساليب العتق عن طريق شراء الحرية والتبني. وإذا ما اعتمدنا على تلك المصادر القانونية جميعاً (الشرائع والنصوص الأخرى القانونية) لرسم ما يتعلق برأي البابليين القدماء عن العبودية. لوجدنا وبصورة عامة أن المجتمع البابلي لم يغلق أبواب الحرية بوجه أولئك الذين وقعوا في

١ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ٧٦ .

٢ - المرجع نفسه ، ص ١٣٤ .

العبودية. ودون شك إن عتق العبيد كان يعتمد بالدرجة الأولى على رضى سيدهم. ولكن بالرغم من ذلك جاءت بعض المواد القانونية ملزمة بالعتق في ظروف معينة، وعلى هذا الأساس يقسم موضوع العتق إلى عتق إلزامي (مشروط قانوناً) وعتق غير إلزامي^(١).

١- العتق الإلزامي (المشروط قانوناً) :

هذا النوع من العتق نصت عليه القوانين البابلية القديمة، وقد مر معنا بعض منها فيما سبق: فأولاد الأمة المحظية يصبحون أحراراً بعد وفاة سيدهم دون قيد أو شرط، وقد وضحت تلك الحالة في المادتين ٢٥ و٢٦ من قانون لبت- عشتار والمادتين ١٧٠ و١٧١ من قانون حمورابي، ويؤخذ تعهد من أبناء الزوجة الأولى (حرة المولد) بعدم المطالبة بعبوديتهم. ويبدو أن إنجاب الأمة أولاداً لسيدها كان عاملاً يمنحها حق التحرر وذلك لأسباب اجتماعية - إنسانية. خلافاً لبقية الإماء. وقد شمل هذا الأسلوب من هم في حالة العبودية الكاملة التي من أبرز مظاهرها ملكية السيد المطلقة لعبده، وهذا النوع من العتق يُعدّ فعالاً في تلطيف جو العبودية وبالتالي زيادة عدد المعتقين من العبيد^(٢).

أ- تحرير أسرى الحرب :

لقد ذكرت قوانين حمورابي نوعاً آخر من العبيد الذين يجب إعتاقهم، وهم الأسرى الذين أصبحوا عبيداً في بلاد أجنبية فقد قام التجار بافتدائهم وجلبهم إلى بابل وقد نصت على ذلك المادة ٣٢ من قانونه كما أسلفنا والتي جاء فيها أنه، إذا دفع تاجر فدية جندي كان مأسوراً في بلاد أجنبية وأحضره إلى بابل فإن فديته تقع على عاتق الجندي في الدرجة الأولى، وإذا لم يكن يملك شيئاً يفتدي به نفسه ويدفعه للتاجر، فإن معبد مدينته يتولى الأمر وإذا لم يكن المعبد يملك الفدية، فالقصر مسؤول عن دفع فديته للتاجر. وبهذه الطريقة يتم تحرير الجندي الذي وقع في العبودية نتيجة الأسر^(٣).

من خلال نص هذه المادة نجد أن عمل التاجر لم يكن يقتصر على بيع و شراء السلع فقط، بل كثيراً ما كان ينجز أعماله الخارجية من خلال بيع و شراء العبيد أيضاً. إذ كانت عملية شراء العبيد في البلدان الخارجية من الأعمال المهمة التي يقوم بها التاجر على مستوى التجارة الخارجية، لا سيما عندما يكون أولئك العبيد من السكان البابليين الذين أسروا في المعارك. فقد جرت العادة أن يباع أولئك الأسرى في

^١ - المرجع نفسه ، ص ١١٦ - ١١٧ .

^٢ - المرجع نفسه ، ص ١٢٣ .

^٣ - الأسود ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

الأسواق الخارجية. ولكن كان يحق لهم التحرر من العبودية إذا أعادهم التاجر إلى بلدهم مقابل إعطاء التاجر المبلغ الذي دفعه من أجل افتداء الجندي الأسير. وقد ذكرت عملية شراء عبيد أسرى من قبل التجار في العديد من الرسائل، وفي رسالة تؤرخ في عهد حمورابي يذكر فيها دفع ١٠ شقيقات من الفضة من أموال معبد سين إلى التاجر لقيامه بشراء جندي مأسور (مستعبد) بعد أن وقع أسيراً عند الأعداء. وتذكر رسالة أخرى أن اثنين من الجنود المأسورين أو المستعبدين في البلاد الخارجية بعثا رسالة إلى أبويهما يطلبان منهما دفع الفدية لأحد التجار مقابل شرائهما والعودة بهما إلى بلادهم^(١). كما فرضت المادة ٢٨٠ من قانون حمورابي إعتاق العبيد من أصل محلي فتقول: (إذا اشترى إنسان في بلاد الأعداء عبد أو أمة إنسان (آخر)، وعند عودته إلى بلاده تعرّف صاحب العبد أو الأمة على عبده أو أمته، فيجب، إذا كان العبد أو الأمة هؤلاء من أبناء البلد (المقصود بابل)، أن يطلق سراحهما دون دفع أي تعويض مادي (حرفياً: فضة)). ثم تعقب المادة ٢٨١ والتي تتعلق بسابقتها جاء فيها: (أما إذا كانوا (العبد أو الأمة) أبناء بلد آخر، فيجب على المشتري أن يذكر أمام الإله (مقدار) الفضة التي دفعها (حرفياً: وزنها) (أي التاجر)، ويفك عبده أو أمته)^(٢).

يتضح من نص هاتين المادتين أن من جملة صفقات التاجر في البلدان الأجنبية شراء العبيد وبيعهم في مدينة بابل، وقد يصادف أن يكون منهم عبيد لمواطنين بابليين، وجدوا في الأسواق الأجنبية بطريقة السرقة أو البيع غير الشرعي أو الهروب أو كانوا أسرى حرب. ويبدو أن هناك جهازاً حكومياً مهمته التحقيق في هوية العبيد المجلوبين من بلاد أجنبية. ومن ناحية أخرى يبدو أن قدوم التاجر ببضاعته التي منها العبيد كانت تثير رغبة البابليين الذين لديهم عبيد مفقودون في التعرف على العبيد المجلوبين. وإذا وجد مثل أولئك العبيد، وتم التعرف عليهم، يُستدعى مالكوهم الأصليون، فإن كان العبد أو الأمة من أصل حر، تقام له الإجراءات اللازمة لتحريره وإزالة علامة العبودية إن وجدت. وإصدار وثائق عتق رسمية بذلك وتعاد له كافة حقوق المواطنة. أما إذا كان مصدر ذلك العبد أو الأمة المجلوبين في الأصل من بلاد أجنبية، فعلى التاجر أن يقسم أمام الإله بصحة ما دفعه من ثمن لشرائهم. وعند ذلك يعادون إلى مالكيهم الحقيقيين، ولكن مقابل إعطاء التاجر ما ادعى من ثمن. وعلى الرغم من هذه العوائق والمنغصات التي كانت تعترض تجار العبيد، فإن التجار المتعاملين باستجلاب العبيد يُعدّون من ناحية ثانية الأمل الكبير لأسرى الحرب في حصولهم على الحرية، وكذلك لمن وقع في عبودية خارج البلاد^(٣).

^١ - الحسنوي، المرجع السابق، ص ١٦٧.

^٢ - مرعي، قوانين بلاد ما بين النهرين، ص ٩٥.

^٣ - الرويح، المرجع السابق، ص ١١٨.

ب - تحرير عبيد الدين :

كان أحد مصادر العبيد هو التخلف في تسديد الدين أو العجز عن تسديده، وقد ازداد بيع المدين لذويه مع بداية العصر البابلي القديم، فقد أصبحت التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها هذا العصر منذ بدايته تشكل معضلة رئيسة للدولة وللحكام، إذ أدت إلى إغراق المواطنين بالديون وهددت المزارعين والمنتجين والحرفيين الصغار بالإفلاس، وبما أن الحكام أنفسهم كانوا من المزارعين والتجار والملاكين الكبار، فإنهم كانوا معنيين بالحالة البائسة التي وصل إليها المجتمع، ومن جهة أخرى كان عليهم أن يهتموا بقضايا رعاياهم ويدافعوا عنها لأنهم مسؤولون عن ذلك. ويحرصون على مصالحهم الشخصية ومصلحة الدولة خوفاً من انفجار الرعية، كان لابد لهم من تخفيف وطأة الظلم الاجتماعي ببعض المسكنات التشريعية. وقد حرص حكام بلاد الرافدين على التأكيد في كتاباتهم وتشريعاتهم على حمايتهم للمظلومين كالأرامل واليتامى والمساكين والفقراء من ظلم الأقوياء المتنفذين والأغنياء، ولم يكن ذلك نتيجة شعورهم الإنساني الطيب وإنما لتسيير أمور الدولة دون قلق، وليظهروا أمام العامة أنهم الأب الرحيم راعي البلاد وحاميها، لا سيما أن أولئك الفقراء يمثلون الغالبية العظمى في الدولة وهم دعامة الاقتصاد والعمود الفقري للجيش وهو الركن الأساس في تثبيت دعائم الحكم والتصدي للأعداء، وهذا الأمر يختلف من حاكم إلى آخر^(١).

جاء في مقدمة قانون لبت- عشتار أن الآلهة الكبيرة أوكلت إليه مهمة إقامة العدل في البلاد، وأنه قام بإعادة الحرية إلى أبناء وبنات نيبور وأبناء وبنات أور وأبناء وبنات إيسين وأبناء وبنات سومر وأكاد الذين وضعوا في العبودية بسبب الدين. ويشير هذا إلى أنه أصدر قراراً بعنق العديد من أبناء تلك المناطق من عبودية الدين في مملكته، وكان الهدف منه منع تشكل تباينات اجتماعية كبيرة في المجتمع السومري والأكادي^(٢).

كما جاء في مقدمة حمورابي أن الآلهة هي التي اختارته لإقامة العدل وحماية الضعفاء. فنجدته يغير عبودية الدين من دائمة إلى مؤقتة، وذلك بالخدمة لمدة ثلاث سنوات في بيت الدائن وفي السنة الرابعة يمنح حريته وتنتهي بعدها العلاقة بين الطرفين، الدائن والمدين، حسب ما جاء معنا سابقاً في المادة ١١٧ من قانونه.

^١ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

^٢ - مرعي ، قوانين بلاد ما بين النهرين ، ص ٢٣ .

وهناك دلائل تشير إلى أن أبواب المسؤولين لم تكن موصدة بوجه العبيد لعرض مشاكلهم وسماع شكواهم. ففي نص من مدينة سيبار يؤرخ في عهد الملك حمورابي، جاء فيه أن عبد المعبد (واراد - إيكاليم Warad - Ekallim) قد وُهبَ للمعبد عندما كان طفلاً، وعندما أصبح شاباً طالب بحريته بناءً على وثيقة وجدها في أرشيف المعبد، تثبت أن والده كان موظفاً في الدولة ولديه أرض خاصة به. ومن خلال تحري العبد بنفسه عن الوثيقة في السجلات وجد أن والده كان يمتلك أرضاً، وعندما توفي أخذ أرضه شخص آخر وطرده ابنه من ممتلكات والده، وأصبح يتيماً ومشرداً، ولذلك أرسل من قبل سلطات المدينة إلى المعبد ليخدم به كعبد، وهو الآن يطالب بحريته^(١). ولسوء الحظ نهاية النص كانت مشوهة. لكن من المحتمل أن السلطات بعد أن تأكدت من صحة الوثيقة أعلنت حريته.

ويتابع ابن حمورابي وخليفته سمسو - إيلونا مسيرة والده في تحقيق العدالة ويضيف إلى ذلك أنه قام بإلغاء الديون عن المستأجرين، وقد جاء في رسالة وجهها إلى موظف كبير يدعى إيتيل - بي - مردوك Etel-pi-Marduk، ما يأتي: (إلى إيتيل - بي - مردوك: هكذا سمسو - إيلونا يتحدث. الملك والدي [.....] حتى [.....] الأرض، أنا لقد أخذت مكاني على العرش في منزل والدي. علاوة على ذلك، حتى أدمع المستأجرين، أنا أعفيت المتأخرين عن دفع الدين، المزارعون المستأجرون ورعاة الأغنام، ألواح الدين للجندي (ريدوم وبائيروم)، صائد السمك، وألواح الدين أنا حطمتها، ورسخت العدالة في الأرض. في الأرض [.....] لا أحد يطالب بمنزل الجندي، صائد السمك... وحالما تقرأ لوحي، أنت والراشدون في الأرض الذين تحت سلطتك أن تأتوا هنا وتقابلونني)^(٢).

لقد قام خليفة حمورابي بإرسال رسالة إلى موظف كبير يدعى إيتيل - بي - مردوك يخبره فيها عن المرسوم الذي أصدره ويجب تنفيذه، ويطلب منه أن يأتي إلى بابل ويصطحب معه كبار المسؤولين في المدينة، ليطلعهم على فحوى هذا المرسوم .

لقد أعلن سمسو - إيلونا تحرير سومر وأكاد (أي بلاد بابل) بعد توليه الحكم مقتنياً أثر والده حمورابي من قبله، والذي سار عليه خلفاؤه من بعده أيضاً مثل إيبى - إيشوخ وعمي - ديتانا وعمي - صدوقا، وقد دون في النص السابق الرقم ٢، ولا بد أن لهذا الرقم أهمية خاصة ترتبط بحدث من الأحداث العظيمة التي تستحق التأريخ، وهو في هذه الحالة يشير إلى السنة التي أعلن فيها سمسو - إيلونا تحرير كل بلاد سومر وأكاد. وقد ثبت فعلاً أن مضمون الرسالة لم يكن كلاماً فارغاً بقصد الدعاية لشخص الحاكم الجديد، بل

¹ - Mendelsohn , I ., op . cit , p 103 .

² - Pritchard , J ., op . cit , p 627 .

كان قراراً هاماً وجد طريقه إلى التنفيذ العملي على شكل مرسوم. ودليلنا على ذلك عثور علماء الآثار على رقيم في مدينة سيبار يذكر فحوى هذا المرسوم، ورغم أن الرقيم في حالة سيئة جداً ويصعب قراءته إلا أن اللغويين فهموا منه قراراً بإعفاء المزارعين والمستأجرين وصاحبات الحانات من دفع الضرائب المتراكمة عليهم عبر السنوات الماضية، ويحظر المرسوم استخدام القوة في جباية الضرائب أو تحصيل الديون. كما تمكن اللغويون بصعوبة من قراءة مادة تعالج شؤون المدينين الذين يقعون في العبودية، وهي مادة مشابهة تماماً لمادة جاءت في مرسوم عمي- صدوقا الذي صدر بعد مائة عام من حكم سمسو- إيلونا، ويعزى هذا التشابه إلى افتراضيين، الأول: أنه كان يوجد صيغة جاهزة لمثل هذه المراسيم. والثاني: أن الكتبة الذين صاغوا مرسوم عمي- صدوقا اعتمدوا في صياغتهم على مرسوم سمسو- إيلونا، والباعث على إصدار مثل هذه المراسيم كان ومازال هو العفو العام نتيجة تراكم الديون على المنتجين الزراعيين الصغار^(١).

صدر مرسوم عمي- صدوقا بعد توليه الحكم مباشرة. ويتصدر هذا المرسوم مواد الإعفاء من الضرائب المتراكمة خلال السنوات التي سبقت حكمه، وكان معظم مواده عن إلغاء الديون وخصوصاً المادتين الرابعة والسادسة، وما يهمننا من هذه المواد، المتعلقة بتحرير عبيد الدين جاء في المادتين ٢٠- ٢١. تقول المادة ٢٠: (إذا أدى التزام إلى حبس رهينة ضد مواطن نومييا Numhia، مواطن يموت بعل، مواطن أدمرص، مواطن أوروك، مواطن إيسين، مواطن كيسورا، أو مواطن مالجيوم Malgium^(٢))، في النتيجة أنه وضع شخص يخصصه، زوجته أو أطفاله في عبودية الدين من أجل الفضة، أو كرهينة- لأن الملك قد أعلن الميثاروم misarum (العدالة) في الأرض، هو يطلق سراحه، حريته تُعطى). وتبعتها المادة ٢١ فقالت: (إذا أمة ولادة منزل أو عبد مواطن نومييا، مواطن يموت بعل، مواطن إدمرص، مواطن أوروك، مواطن إيسين، مواطن كيسورا أو مواطن مالجيوم [.....] الذين بثمان [.....]، قد بيعوا من أجل المال، أو أعطوا بسبب عبودية الدين، أو تركوا كرهينة، حريته سوف لن تحجز)^(٣).

هاتان المادتان تتصان على تحرير الأشخاص الذين وقعوا في عبودية الدين ضمن المدن المذكورة التي كانت تحت سيطرة عمي- صدوقا مباشرة، وذلك لأن الملك قد أعلن الميثاروم (العدالة).

^١ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

^٢ - مالجيوم : أرض ومدينة ملكية بين أشنونا و دير ايشتاران . لم يعرف موقعها بالتحديد . انظر : Heimpel ,W., op . cit , p 616 .

^٣ - Pritchard , J ., op . cit , p 528 .

وتظهر عملية الميثاروم في نصوص بلاد الرافدين عند وصول أحد الملوك إلى عرش السلطة أو في مناسبة يختارها بعد سنوات من حكمه ^(١).

ولكن رغم كل المراسيم والقوانين التي استنتها الملوك وعلى رأسهم حمورابي، نشدوا من ورائها خلق نظام متوازن يسوده العدل ولا يضطهد القوي فيه الضعيف ولا الغني الفقير، كان التطور يسير في اتجاه معاكس تماماً، وبقيت الادعاءات والبيانات السياسية التي تبشر بمولد عهد جديد، ينتفي فيه الظلم حبراً على ورق، فالمنتجون الزراعيون الصغار كانوا يتهاوون تدريجياً تحت سيطرة كبار المتنفذين ويتحولون إلى مجرد عبيد، وهم الغالبية العظمى في المجتمع التي تشكل دعامة الدولة الاقتصادية في وقت الأزمات، ولكننا لا نستطيع تعميم هذا الرأي على جميع مناطق بابل ^(٢).

٢ - العتق غير الإلزامي :

هنالك أسلوبان للعتق لم يرد ذكرهما في القوانين البابلية القديمة، ويبدو أنها كانا شائعين وفعالين ويخصان من هم في حالة العبودية الكاملة. وهما العتق عن طريق التبني أو الشراء. وجدير بالذكر أن العتق بموجب هاتين الطريقتين أولاً وأخيراً يتم بناء على رغبة السيد الذي قد تعزى موافقته على العتق إلى شعوره بأن عبده قد أصبح عالة عليه إما لكبر سنه أو لمرضه أو لرغبته الصادقة تقديراً منه لخدمة عبده وجزاءً على إخلاصه ^(٣).

أ - **عن طريق التبني:** تحدثنا سابقاً عن فرض عقوبة العبودية على الولد العاق الذي ينكر والديه المتبنين، ولكن الأمر هنا مختلف تماماً، سنتحدث عن التبني كأسلوب للإعتاق من العبودية. واستخدام التبني كطريقة لإعتاق العبيد كان بمثابة منحه جنسية جديدة كما أسلفنا. فبعد وفاة الوالدين المتبنين، الابن أو البنت المتبنيان سيأخذان حريتهما كاملة، ولن يملك عليهما أي من عائلة الوالدين في المستقبل ادعاء. وفي معظم الحالات كان الابن المتبنى له حق من تركة والديه، وفي حالات أخرى اعتبرت الحرية مكافأة له ولا يرث من التركة شيئاً .

^١ - الحوراني ، يوسف ، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم ، ط ٢ ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٩٢ ، ص ٣٩٥ .

^٢ - كلينكل ، المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

^٣ - الرويج ، المرجع السابق . ص ١٢٤ .

لقد حاولت بعض الإماء منح الحرية لأطفالهن باستخدام الحيلة، من خلال إعطاء أطفالهن بعد الولادة إلى رجل حر للتبني، ويبدو أن هذا النوع من الغش والخداع كان منتشرًا في هذا العصر. ولذا نجد قانون أشنونا قد عالجه، وخصص له ثلاثة مواد لحماية أملاك أصحاب العبيد من الضياع ومنهم القصر، جاء في المادة ٣٣: (إذا تحالفت أمة وأعطت ابنها إلى ابنة رجل (حرة)، فبعد أن يكبر الولد إذا رآه سيده (وتعرف عليه)، يمكنه أن يلقي القبض عليه ويعيده إلى البيت). وكذلك الأمر بالنسبة لعبيد القصر، فقد جاء في المادة ٣٤: (إذا أعطت أمة القصر ابنها أو ابنتها إلى موشكينوم للتربية، فإن القصر يستعيد الابن أو الابنة التي أعطتها)^(١).

نلاحظ من نص هاتين المادتين أن المشرع اكتفى بإعادة العبد إلى سيده أو إلى القصر دون قيد أو شرط ودون معاقبة الشخص المتبني، وربما ترك المشرع ذلك لسيد الأمة. وتبعتها المادة ٣٥ من نفس القانون فقالت: (وعلى الأب المتبني الذي يأخذ ابن أمة القصر، أن يعطي القصر طفلاً بنفس القيمة)^(٢).

هذه المواد الثلاث عالجت طريقة التبني غير الشرعية التي كانت الغاية منها منح الحرية لأطفال الأمة. وإن إعطاء الأمة لطفلها بهذه الطريقة دون علم سيدها تعدّ على أملاكه، ولكن لا نجد عقوبة تفرض عليها من قبل القانون .

ولدينا العديد من النصوص التي توضح حصول العبيد على حريتهم عن طريق التبني، وكما أسلفنا كان التشابه بين عقود التبني وعقود البيع كبيراً جداً ذلك يدفعنا إلى القول أن التبني كان في حقيقته صورة أخرى من صور البيع، كما جاء في النص التالي رقم CBS 7195 من مدينة نيبور، الذي يؤرخ في عهد الملك إنليل - باني (البستاني) ملك إيسين، يوضح هذه الحالة، يقول النص: (طفل رضيع، باسم إيلي - أويليم Erishtum - Ili بن أجاتوم Ajartum، من أجاتوم أمه، وإيريشتوم Erishtum زوجها، إيسيروم lasirum وأما - سين Ama - Sin قد أخذه كابنهم. إيسيروم وأما - سين سيعطون لأجاتوم وإيريشتوم ١٠ شقيقات من الفضة واثنين مينا من الصوف كهدية لولادته. إيسيروم وأما - سين، سيأخذون إيلي - أويليم من أجاتوم وإيريشتوم ويغادران)^(٣).

^١ - مرعي، قوانين بلاد ما بين النهرين، المرجع السابق، ص ٤٠ - ٤١ .

^٢ - المرجع نفسه، ص ٤١ .

^٣ - Chiera, E., old Babylonian contracts, p 130 .

هذا النص عقد تبني في الظاهر لكنه في الحقيقة عقد شراء، ونلاحظ أن اسم الطفل الصغير قد كان مسجلاً، وهذا يدل على أن الأطفال كانوا يُسمون عند الولادة. أياً يكن، فإن هذا الطفل قد حصل على حريته عن طريق التبني.

لقد مال البابليون إلى تخفيف هذه اللفظة من بيع وشراء إلى تبني، نلاحظ ذلك من خلال تقديم سعر الطفل إيلي - أوليم فلم يذكر في النص على أنه ثمن للطفل و إنما هدية ولادته. لاسيما ونحن نعرف أن بيع الأطفال كان منتشرًا كما ذكرنا آنفاً.

ومن المواضيع المهمة التي تؤيد وجهة نظرنا السالفة الذكر، ما كان يقوم به البابليون القدماء من بيع أولادهم بسبب الدين أو الفقر أو الأمراض أو الفيضانات أو القحط أو المجاعة في كل الظروف الصعبة التي تحتم على رب الأسرة أن يضحي ببعض أفراد أسرته ليعيش الآخرون، وقد صنفناها سابقاً أنها من مصادر العبودية بسبب المجاعة لكنهم صنفوها تحت عنوان آخر هو التبني و النذور والهبات و غير ذلك من الكلمات الرقيقة التي لا تجرح مشاعر الإنسانية كما أسلفنا .

ولكن عقود تحرير العبيد عن طريق التبني تختلف بعض الشيء عن عقود التبني التي مرت معنا مسبقاً. فنجد هنا أنه عند إعتاق العبد أو الأمة بهذه الطريقة يتم تحرير عقد بذلك وفق الصيغة القانونية المعتمدة، فيتضمن العقد أولاً اسم العبد أو الأمة ثم اسم المالك، وفترة الإعتاق، ثم فقرة بخصوص مساعدة المعتق طيلة فترة حياته وبعد وفاته سيبدأ تنفيذ العقد، وأخيراً القسم باسم الآلهة العظيمة في المدينة واسم الملك الذي دون في عهده العقد والشهود. قد جاء ذلك في النص التالي رقم BIN vii 296، من مدينة سيار، يؤرخ في عهد إيبيل - سين والد سين - موباليط، يقول النص: (أدد - إيمدي Adad - imdi، ابنة كونتوم Kunutum وإيرتوم Aiartum. كونتوم وإيرتوم قد طهرا أدد - إيمدي ونسلها، بقدر ما هي ولدت وستلد. طالما كونتوم وإيرتوم على قيد الحياة، أدد - إيمدي ستساعدهما. بعد كونتوم وإيرتوم سيدعيان بعيداً من قبل إلههم لا أحد سيملك على أدد - إيمدي وأطفالها، بقدر ما هي ولدت وستلد، أي ادعاء. باسم شماش، مردوك وإيبيل - سين ومدينة سيار هم أقسموا أنهم سوف لن يغيروا محتوى هذا اللوح)^(١).

يبدو أن الأمة أدد - إيمدي كانت متبناة من قبل الزوجين كونتوم وإيرتوم، وقد قاما بإعتاقها وتطهيرها من العبودية هي وأولادها الذين ولدتهم والذين ستلدهم في المستقبل، ولا أحد يستطيع الادعاء عليها أو على أطفالها. ولكن هذا العتق لن يكون ساري المفعول فوراً، وإنما بعد وفاة الوالدين المتبنين، فيجب على

¹ - Mendelsohn , I ., op . cit , p 79 .

الأمة المتبناة والمعتقة أن تساعدتهما وتعليهما طيلة حياتهما، ولكن بعد أن يتوفيا ينفذ هذا العقد وتنتال الأمة حريتهما، واختتم العقد بالقسم باسم الإلهين شماش ومردوك إلهي سيار وبابل الرئيسين بعدم مخالفة ما جاء في العقد وباسم ملك بابل، ونجد هنا القسم أيضاً بالمدينة التي دون فيها العقد وهي سيار .

وفي نص آخر رقمه Sm , VAS 8 55 ، يؤرخ في عهد الملك سين - موباليط والد حمورابي، جاء فيه أن: (أختوم **Ahatum** بنت نور أد **Nur - Adad** تبنت وحررت واراد - توتوب **Warad - Tutub** وبيلسونو **Belessunu** ، سيساعدانها طالما هي على قيد الحياة، ولا يملك عليهما أحد أي ادعاء في المستقبل)^(١).

ولا شك أن حرية المعتق تبقى مشروطة بتنفيذ تلك الالتزامات تجاه متبنيه، ويهدد في بعض الأحيان بإرجاعه إلى حالة العبودية السابقة إذا أخل بشروط عقد التبني. فقد جاء في العديد من النصوص أنهم سيخلقون شعره ويبيعونه كعبد. أما إذا التزم العبد بواجباته تجاه المتبني فإنه بعد موته يعتق دون شرط^(٢).

وفي النص رقم BIN vii 206 من مدينة سيار، الذي يؤرخ في عهد الملك سمسو - إيلونا، يقول: (جميلوم **Gimillum** وكوريتوم **Kurritum** زوجته. إيدي - لجمال **Idi - Lagamal** أمام شماش قد طهرهما. ل تاشميتوم - ماتي **Tashmetum - Mati** زوجته، قد أعطاهما بالتبني. طالما تاشميتوم - ماتي على قيد الحياة هما سيساعدانها، وفي المستقبل أطفال إيدي - لجمال ضد جميلوم وكوريتوم سوف لن يدعوا. باسم أوراش **Urash**^(٣) وسمسو - إيلونا الملك هم أقسموا. [.....]. إذا جميلوم وكوريتوم، زوجته، إلى تاشميتوم - ماتي، أمهما (أنت لست أمنا) قالاً، هم سيقصون مقدمة شعرهما ويبيعونهما بالمال)^(٤).

إيدي - لجمال قام بإعتاق كل من جميلوم وزوجته كوريتوم وأعلن حريتهما في معبد الإله شماش في مدينة سيار، ووهبهما لزوجته تاشميتوم - ماتي لإعالتها طيلة حياتها. ولكن بعد وفاتها سيصبحان أحراراً، ولن يملك عليهما أي ادعاء من قبل أولاد إيدي - لجمال في المستقبل. و وضع شرطاً جزائياً عليهما

¹ - Seri , A ., op . cit , p 57 .

^٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

^٣ - أوراش : إلهة الأرض في بلاد الرافدين القديم . تزوجت من أنو إله السماء ، ابنتهما كانت نين أنسينا إلهة الشفاء.
انظر : Jordan , M ., op . cit , P329

⁴ - Mendelsohn , I ., op . cit , pp 79 – 80 .

مضمونه أنه في حال إنكارهما زوجة إيدي- لجمال وأمهما بالتبني أن توضع عليهما علامة العبودية وبيعان بالمال، وبهذا يكون العقد ملغياً، وأقسموا باسم الإله والملك بعدم مخالفة ما جاء في العقد.

من خلال هذين النصين نلاحظ أن إعتاق العبيد والإماء بالتبني يشبه تبني الأطفال الأحرار، فتبقى التزاماته تجاه المتبني طيلة حياته، وتنتهي العلاقة بموت المعتق.

لكن في بعض الأحيان نجد أن الأمة تحصل على حريتها قبل وفاة المتبني. ففي النص رقم CBS 4886 ، من مدينة سيبار يؤرخ في عهد سمسو- إيلونا نجد ما يوضح هذه الحالة، يقول النص: (عشتار - أوتاري Ishtar-Utari، أمة نودوبتوم Nudubtum بنت صيلي- شماش Sili - Shamash، قد حررتها. جبينها هي نظفته. وعلامة(?) عبوديتها قد حطمت. وثيقة إعتاقها هي قد أعطتها)^(١).

نودوبتوم قد أعتقت أمتها عشتار - أوتاري، وأعلنت حريتها، ثم طهرت جبينها وكسرت علامة عبوديتها، وخلصتها من جميع مظاهر العبودية وعلاماتها، وأعطتها وثيقة تنص على أنها أصبحت فتاة حرة .

النصوص القانونية وبعض الوثائق الخاصة بالعبيد تفيد أنه عند تبني العبيد أو تحريرهم وعتقهم من العبودية، لا يصح أن تظهر عليهم علامات العبودية في وضعهم الجديد باعتبارهم أصبحوا أحراراً، بل لا بد من إزالتها، لأن مسألة عتق سيد عبده أو عتقه بغرض التبني، يقصد بها تغيير نوع العلاقة التي تربط السيد بعبده إلى علاقة متبني ومتبني، فتصبح كالعلاقة بين الأب والابن الشرعي أو العلاقة بين الأشخاص الأحرار^(٢).

وفي النص التالي رقم No.96 ، من مدينة سيبار، يؤرخ في عهد الملك عمي- صدوقا، عقد إعتاق بالتبني لامرأة مع طفلتها الرضيعة من قبل كاهنة شماش الناديتو إيريشتي- آجا Erishti-Aja ، يقول النص: (سوراتوم Surratum، سوية مع ابنتها الرضيعة، هي ابنة كاهنة شماش إيريشتي- آجا، إن كاهنة شماش إيريشتي- آجا، أمها، قد طهرت وتبنت [.....] كاهنة شماش إيريشتي- آجا بنت شاروم- رامن Sharrum - Ramman ، قد طهرتها وأدارت وجهها نحو الشمس المشرقة. طالما أمها إيريشتي- آجا على قيد الحياة، هي (المتبنة) ستساعدها. إذا كاهنة شماش إيريشتي- آجا، أمها، استدعت بعيداً من قبل إلهها (إذا توفيت)، هي (سوراتوم) ستطهر. هي ستصبح حرة. جميع رغباتها هي ستحصل. لجميع أزمنة المستقبل لا أحد من أطفال كاهنة شماش إيريشتي- آجا بنت شاروم- رامن،

¹ - Chiera , E ., old Babylonian contracts ,p 132 .

^٢ - عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

وأطفال أخيها كالوموم Kalumum، ذكر وأنثى، الذين كانوا أو سيكونون، سيدعون ضد سوراتوم بنت إيريشتي - آجا وابنتها الرضيعة. طبعة ختم إيريشتي - آجا، كاهنة شماش بنت شاروم - رامان. [أسماء الشهود محطمة] ^(١).

الكاهنة الناديتو أعنتت أمتها وطهرتها من العبودية مع ابنتها الرضيعة، ولكن هذا الإعتاق لا ينفذ طالما الكاهنة على قيد الحياة، وستقوم الأمة سوراتوم بخدمة الكاهنة ومساعدتها. وبعد وفاتها ستصبح حرة مع ابنتها، ولا أحد من أبناء الكاهنة أو من أبناء أخيها له الحق في الادعاء عليهما في المستقبل. وختمت العقد باسمها وأسماء الشهود.

إن ضرورة إعطاء كيان جديد لعبد محرر اقتضت في عرف البابليين القدمات إقامة إجراءات شكلية ذات صبغة دينية، تتضمن بالدرجة الأولى تطهير جبين العبد، وإدارة الوجه نحو الشمس المشرقة. ولا يعرف بالضبط كيف يتم تطهير الجبين. وأعتقد بعضهم أنه شكل من أشكال التطهير بالماء. واستندوا في ذلك إلى أهمية دوره وقديسيته في حياة الرافديين القدمات. فقد جاء في المادة ١٦٢ من قانون حمورابي، إن النهر استخدم كوسيط أو كحكم لإثبات المذنب من البريء وتسمى هذه العملية بالاختبار، راجع قانون (حمورابي مادة ٢ و ١٣٢). بالإضافة إلى تطهير الجبين هناك طقس آخر مرتبط بتحرير العبد، وهو إدارة وجهه نحو الشمس المشرقة، وربما كان هذا الطقس الرمزي يتم أمام تمثال أو رمز الإله شماش ^(٢).

وأخيراً، نلاحظ أن عقود التبني تختلف من حيث صياغتها، بحسب اختلاف الزمان و المكان، حتى في الحقبة الزمنية الواحدة، ولكنها متشابهة في شكلها ومضمونها العام، وبموجب هذا الاتفاق (العقد) كان يتقرر على المتبني التزامات واضحة منها: إعطاء الطفل المتبني لقب الابن، وهذا ما دفع العبيد إلى إعطاء آبائهم والتخلي عنهم إلى رجل حر لكي يتخلصوا من عبوديتهم (كما مر معنا آنفاً في تحايل الإماء في إعطاء آبائهن إلى رجل حر)، فيكسب الطفل بذلك نسباً جديداً، وكان يجب على المتبني (الوالد الجديد) أن يوفر مريضاً إذا كان الطفل المتبني رضيعاً، وأن يجهز الموضع museniqtum بالطعام والزيت لمدة ثلاث سنوات وهي مدة الفطام، كما يجب عليه الاهتمام بتثنيته وتربيته وتعليمه سواء في المدرسة أو تعليمه حرفة ما. أما التزام المتبني الأهم، فكان تعهده بمعاملة الطفل كابن حقيقي له، حتى إذا أنجب الأبوان في المستقبل أطفالاً فإن المتبني يُعَدُّ أحاهم الأكبر، ويقع عليه الاهتمام بإخوته الصغار ويأخذ نصيب إضافي من تركة والدهم. ومن واجبات الطفل المتبني تجاه العائلة الجديدة الإعالة والطاعة، وإلا

¹ - Ranke , H ., op . cit , p 28 .

^٢ - الرويح ، المرجع السابق ، ص ١٣١ - ١٣٣ .

فإنه سيعرض نفسه للعقوبات المنصوص عليها في العقد، ومنها حلق رأسه ووسمه بعلامة العبودية و بيعه كعبد. وبهذا يعود إلى حالته السابقة وهي العبودية^(١).

ب- عن طريق الشراء: هذه الطريقة تتم عن طريق اتفاق العبد مع سيده على فدية كانت تدفع بطريقتين، إما بدفع العبد أو شخص آخر الفدية دفعة واحدة، أو بقيام شخص آخر بافتدائه، يحصل بعدها العتق الكامل ولا يبقى أي ارتباط مع السيد. وقد يتم تقديم الفدية على شكل خدمات غير محدودة إلى حين وفاة السيد، فيصبح بعدها العبد حراً لا ارتباط له بورثة السيد المتوفى. ويبدو أن هذا الأسلوب هو الوحيد من أساليب العتق غير الإلزامية الذي جاء ذكره في القوانين البابلية القديمة. إذ جاء في المادة ١٤ من قانون لب- عشتار: (إذا عبد رجل عوض عن عبوديته لسيدته (و) ثبت أنه قد أدى التعويض مضاعفاً لسيدته، فإن العبد يجب أن يعتق)^(٢).

تكشف لنا هذه المادة أن العبد من الوجهة القانونية وبموجب ظروف معينة يُعدُّ إنساناً له الحق في التمتع بالحقوق المدنية. ويمكنه شراء حريته من سيده. ولذلك نجد لها انعكاساً في النصوص القانونية. ففي نص من مدينة سيبار، يؤرخ في عهد سابوم Sabum (١٨٤٤ - ١٨٣١ ق.م) والد إيبيل- سين وجدُّ حمورابي، جاء أن رجلاً استقرض من معبد شماش في سيبار ٢٤ شيقلاً من الفضة، لكي يعطيها لرجل آخر (من أجل إعتاقه). وفي نص آخر من ديلبات يؤرخ في عهد حمورابي، نجد أن أمة أنقذت سيدها من دين قيمته عشرون شيقلاً من الفضة، فقامت بإعطائه المبلغ فأعلن حريتها (بالتبني) عرفاناً بالجميل، وأيضاً أهداها قطعة أرض. والمال الذي دفع من قبل هؤلاء العبيد ربما لم يكن من ملكيتهم الخاصة، لكنه أُعطي لهم من قبل أقربائهم أو أصدقائهم من أجل الإعتاق^(٣).

وفي النص رقم No.8 من مدينة سيبار، نجد إعتاق كاهنة لأمتها مقابل مبلغ من المال، ويؤرخ في عهد ريم- سين، يقول: (دوشوبتوم Dushubtum، الكاهنة؟ شوزي- آنا Shuzi - Anna بنت دوغا Dugga، قد أعتقت عشتار- رابيت Ishtar-Rabiat، أمتها، جبينها هي قد نظفته، الـ [.....] عبوديتها هي قد أعلنته، وثيقة تطهيرها هي قد أعطتها. عشتار- رابيت قد جلبت إلى دوشوبتوم، سيدتها، ١٠ شيقلات من الفضة. في المستقبل إيبلي- أنليل، وأميرتوم Amertum ، أخته، الورثة

^١ - الجبوري ، احمد مجيد حميد ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

^٢ - Kramer , S . N , P 337 .

^٣ - Mendelsohn , I , op . cit , p 67 .

لننار- زيمو Nannar – Zimu ودوشوبتوم، سوف لن يدعوا ضد عشتار- رابيت . باسم الملك هم أقسموا^(١).

الكاهنة دوشوبتوم قد أعتقت أمتها عشتار- رابيت التي دفعت لها ثمن حريتها ١٠ شقيقات من الفضة (أي ما يعادل نحو ٨٠ غراماً) . فقامت الكاهنة بتطهير جبينها وإعطائها وثيقة إعتاقها، ولا يملك أحد الادعاء عليها في المستقبل، وقد أقسموا باسم الملك أن لا يخالف أحد ما جاء في هذا العقد.

وكما أسلفنا يبدو أن المراسيم الدينية لتطهير الجبين التي ظهرت في جميع هذه الحالات لها علاقة وثيقة بتبني العبيد وتحريرهم من العبودية. فالإعتاق، يشير إلى تطهير ديني، فالعبيد لم يكن مسموحاً لهم بالمشاركة في العبادة وممارسة الطقوس الدينية مع البابليين الأحرار^(٢).

الفرق بين العتق عن طريق التبني والعتق عن طريق الشراء هو أن تحرير العبد بالتبني يبقى موقفاً إلى وفاة السيد وبعدها ينال العبد حريته كاملة. أما في حالة العتق بالشراء فينال العبد حريته فوراً بعد أن يدفع لسيده ثمن حريته كاملاً ويقطع كل علاقته به ويصبح حراً غير قابل للرجوع^(٣).

¹ - Poebel , A ., op . cit , p 38 .

² - Mendelsohn , I ., op . cit , p 66 .

³ - Ibid ., p 82 .

خاتمة :

تناولت هذه الأطروحة بالدراسة العبودية في العصر البابلي القديم من سنة ٢٠٠٠ حتى ١٥٩٥ ق.م ، حيث بحثت في مفهوم العبودية ومصادرها وأنواع العبيد ووضع العبد القانوني، وقد توصلت من خلال هذه الدراسة المتواضعة إلى جملة من النتائج أهمها :

١ - كل من الباحثين حدد مفهوم العبودية بطريقة مختلفة عن الآخر، شملت عدة جوانب (قانونية واقتصادية واجتماعية ودينية).

٢ - لم تنشأ العبودية في المجتمعات البدائية، وإنما نشأت في المجتمعات الزراعية المتقدمة والمتحضرة التي كانت تنتج فائضاً اقتصادياً.

٣ - أول مصدر من مصادر العبودية كان أسرى الحرب، فالأسير يصبح عبداً إذا لم يفثده أحد . والمصدر الثاني الاستعباد بسبب الدين، وكان سببه الضائقات الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد، مما يجعل الشخص مضطراً لبيع عبيده أو أفراد أسرته أو نفسه إلى العبودية لتسديد ما بذمته من دين.

٤ - انتشار أسلوب تقديم الرهينة للضغط على المدين من أجل سداد الدين، حيث كانت الرهينة تشمل العبيد والأحرار. كما انتشر أسلوب الكفالة في الدين وإذا لم يسدد المدين ما عليه من ديون يتحمل المسؤولية الكفيل.

٥ - المصدر الثالث للعبودية كان عبودية المجاعة، وتختلف عن عبودية الدين بأنها تنتهي بانتهاء المجاعة.

٦ - المصدر الرابع للعبودية، كعقوبة : فالابن المتبني الذي يعق والديه وينكرهما يكون مصيره العبودية، وكذلك الزوجة التي لاتحترم زوجها وتحاول التشهير بسمعته مصيرها العبودية. وأيضاً إتلاف محاصيل الآخرين والإخلال بعقود التأجير كترك العمل تؤدي بمرتكبيها إلى عبودية مؤقتة.

٨ - المصدر الخامس للعبودية، عن طريق التجارة الخارجية، فقد أصبحت المصدر الأكثر انتشاراً لهم في هذا العصر منذ عهد حمورابي وطغت على المصادر الأخرى. كما أعطتنا معلومات مفيدة عن جنسية العبيد.

٩ - للعبيد ثلاثة أنواع في هذا العصر: عبيد المعبد ، وقد لعبت كاهنات المعبد من فئة الناديتو الدور الرئيس فيه. وعبيد القصر الذين يسمون أيضاً عبيد الدولة لأن القصر أصبح في هذا العصر السلطة

العليا على حساب المعبد، كان عملهم الرئيس يتركز في أعمال القصر وأراضيه وفي أعمال السخرة والمشاريع التابعة للدولة. والعبيد الخاصون، الذين كانوا في الأصل ولادة منزل، وقد كان مالكم يعطيهم كنيته عند ولادتهم أو عند شراؤهم، هذا النوع نتج عن طريق التزاوج فإزداد نسلهم، كان وضعهم أفضل حالاً من جميع العبيد السابقين، كانوا يعاملون كأحد أفراد الأسرة التي تملكهم. وكان عملهم الرئيس في الخدمات المنزلية، وأحياناً يتم تأجيرهم ويستلم أجرتهم مالكم الأصلي .

١٠ - نظر القانون إلى العبد على أنه متاع، وملكية منقولة كالحبوب والماشية وغيرها، يمكن أن تباع أو تؤجر أو توهب أو ترهن مقابل دين، وكل هذه الحالات يجب أن يحرر لها عقد نظامي وفق الصيغة القانونية المتعارف عليها. وقد جاءت قوانين حمورابي مجففة بحق العبيد.

ولكن على الرغم من ذلك لم ينكر القانون الطبيعة البشرية للعبد، حيث سمح له بالزواج وتكوين عائلة، وسمح له بالزواج من امرأة حرة أيضاً، كما سمح للأمة من الزواج من رجل حر. والأمة التي تتجب من سيدها أطفالاً يكونون ضماناً لأهمهم من الرهن مقابل الدين وبحصولها على حريتها مع أولادها بعد وفاة سيدهم .

١١ - هروب العبيد كانت من أكثر المشاكل التي كانت ترهق مالكي العبيد، فالعبد كان يهرب لأنه كان يرفض العبودية. وكانت عقوبة إيواء العبيد الهاربين في قانوني لبت - عشتار وأشنونا التعويض، أما في قانون حمورابي الموت.

١٢ - علامات العبودية، أهمها الأبوتو، التي كانت توضع على جميع العبيد، وكان العبيد الميالون للهروب توضع عليهم علامات خاصة، كما أن عبيد السفراء والممثلين السياسيين كانت لهم علامات خاصة يميزون بها. وكذلك توضع على الابن العاق لوالديه، وعلى الزوجة التي لا تحترم الروابط الزوجية. بينما قصة الشعر لم تكن من علامات العبودية وإنما كانت عقوبة مبدئية الغاية منها الإهانة.

١٣ - نظر القانون إلى الأضرار التي تلحق بالعبيد وتؤدي في بعض الأحيان إلى موتهم على أنها قدر ليس إلا، وكان التعويض يدفع لصاحب العبد بحسب الضرر الواقع على عبده بالفضة أو بالتعويض بعبد آخر. فالقوانين جاءت لحماية ملكية صاحب العبد وليس لحماية العبد نفسه. ومن خلال هذا التعويض يمكن تحديد أسعار العبيد التي تتراوح بين ١٠ إلى ٢٠ شيقل للعبد، بينما أسعارهم في العقود التجارية كان يختلف من ملك إلى آخر ومن مكان إلى مكان وكان يتراوح بين ٤ إلى ٢٠ شيقل وقد يتجاوز هذا السعر إلى أعلى من ذلك، وذلك بحسب مواصفات العبد، التي كان يلعب الجمال والبنية السليمة وإتقانه لحرفة ما دوراً كبيراً في ذلك .

١٤ - أجازت القوانين البابلية القديمة بيع العبيد، وقدمت ضمانات للمشتري من العيوب المخفية التي لا تظهر على العبد عند عملية البيع كالإصابة بمرض البينو(الصرع) والادعاء عليه من قبل طرف آخر في المستقبل وميوله للهروب.

١٥ - يمكن إعتاق العبد وحصوله على حريته بعدة طرق أهمها التبني وشراء العبد حريته وإصدار المراسيم الملكية لتحرير عبيد الدين.

الملاحق

أولاً - الجداول

جدول ١ : ملوك إيسين

اسم الملك	سنوات حكمه
إشبي إيرا	٢٠١٧ - ١٩٨٥ ق . م
شو إيليشو	١٩٨٤ - ١٩٧٥ ق . م
إدين داجان	١٩٧٤ - ١٩٥٤ ق . م
إشمي داجان	١٩٥٣ - ١٩٣٥ ق . م
لبت عشتار	١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق . م
أور نينورتا	١٩٢٣ - ١٨٩٦ ق . م
بور سين	١٨٩٥ - ١٨٧٤ ق . م
لبت إنليل	١٨٧٣ - ١٨٦٩ ق . م
إيرا إيمتي	١٨٦٨ - ١٨٦١ ق . م
إنليل باني " البستاني "	١٨٦٠ - ١٨٣٧ ق . م
زمبيا	١٨٣٦ - ١٨٣٤ ق . م
إتريشا	١٨٣٣ - ١٨٣١ ق . م
أور دوكوجا	١٨٣٠ - ١٨٢٨ ق . م
سين ماجير	١٨٢٧ - ١٨١٧ ق . م
داميق إيليشو	١٨١٦ - ١٧٩٤ ق . م

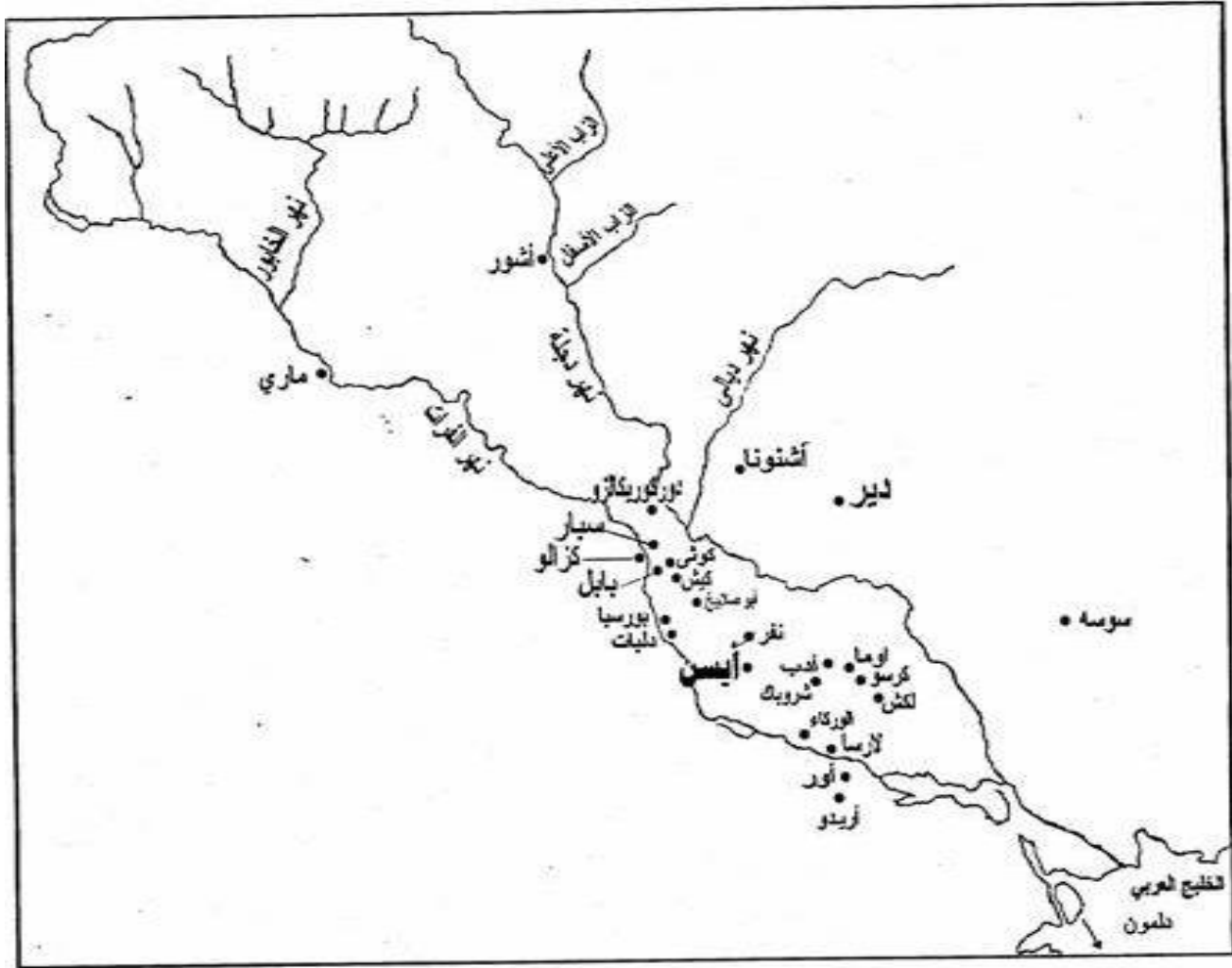
جدول ٢ : ملوك لارسا

اسم الملك	سنوات حكمه
نابلانوم	٢٠٢٥ - ٢٠٠٥ ق . م
أميصوم	٢٠٠٤ - ١٩٧٧ ق . م
ساميوم	١٩٧٦ - ١٩٤٢ ق . م
زيبا	١٩٤١ - ١٩٣٣ ق . م
كونكونوم	١٩٣٢ - ١٩٠٦ ق . م
إيبى سارة	١٩٠٥ - ١٨٩٥ ق . م
سمو إيل	١٨٩٤ - ١٨٦٦ ق . م
نور أدد	١٨٦٥ - ١٨٥٠ ق . م
سين إدينام	١٨٤٩ - ١٨٤٣ ق . م
سين إريام	١٨٤٢ - ١٨٤١ ق . م
سين إقيشام	١٨٤٠ - ١٨٣٦ ق . م
صيلي أدد	١٨٣٥ - ؟ ق . م
واراد سين	١٨٣٤ - ١٨٢٣ ق . م
ريم سين	١٨٢٢ - ١٧٦٣ ق . م

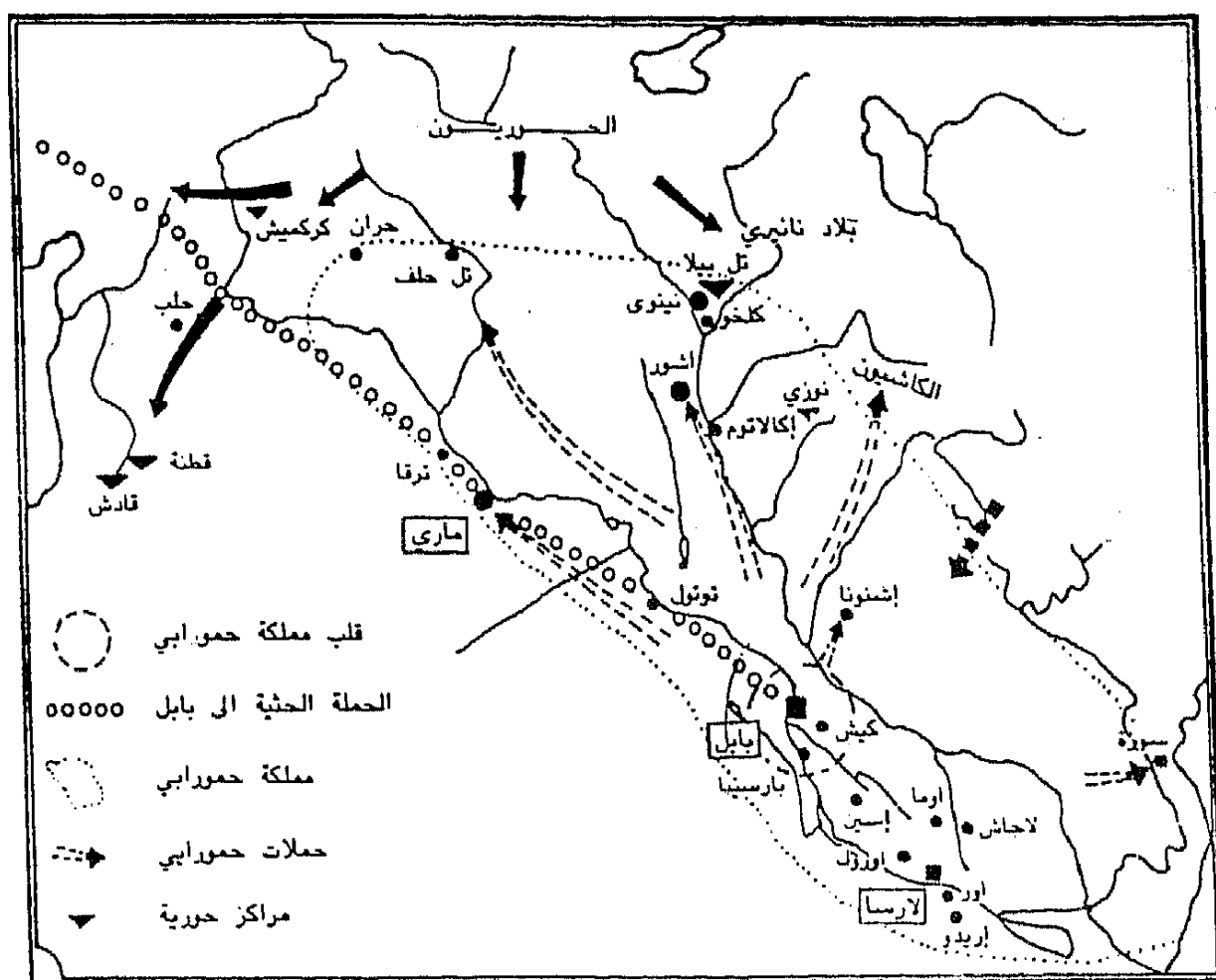
جدول ٣ : ملوك بابل الأولى

اسم الملك	سنوات حكمه
سومو أبوم	١٨٩٤ - ١٨٨١ ق . م
سومولا إيل	١٨٨٠ - ١٨٤٥ ق . م
سابيئوم	١٨٤٤ - ١٨٣١ ق . م
إيل سين	١٨٣٠ - ١٨١٣ ق . م
سين موباليط	١٨١٢ - ١٧٩٣ ق . م
حمورابي	١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م
سمسو إيلونا	١٧٤٩ - ١٧١٢ ق . م
إيبي إيشوخ	١٧١١ - ١٦٨٤ ق . م
عمي ديتانا	١٦٨٣ - ١٦٤٧ ق . م
عمي صدوقا	١٦٤٦ - ١٦٢٦ ق . م
سمسو ديتانا	١٦٢٥ - ١٥٩٥ ق . م

ثانياً - الأشكال



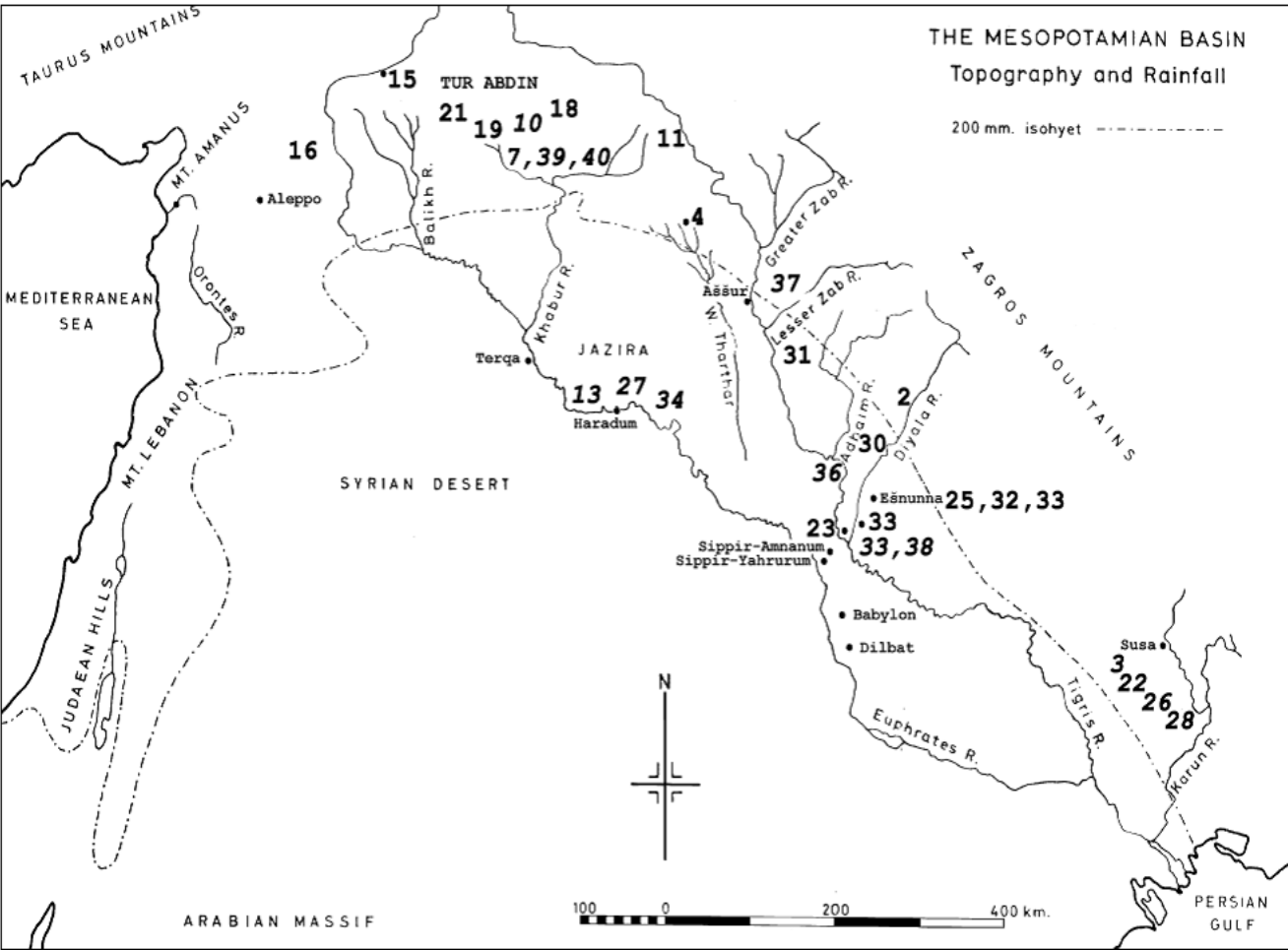
الشكل ١ : ممالك بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم . مكنيل ، المرجع السابق ، ص ١٣ .



الشكل ٢ : مملكة حمورابي البابلي القرن ١٨ ق.م . مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين ، المرجع السابق ، ص ٩٢ .



الشكل ٣ : مسلة حمورابي في متحف اللوفر ببباريس ، . Wells , B ., op . cit , p 295



الشكل ٤ : مصدر العبيد الأجانب من عهد سمسو - إيلونا حتى عهد سمسو - ديتانا .

Koppen , F ., op . cit , p 15 .

أسماء المناطق حسب الأرقام الواردة في الخريطة:

- ٢ سيموروم - ٣ و ٢٢ و ٢٦ و ٢٨ عيلام - ٤ قطارا - ١٠ أدمرص - ١١ ماردامان
 - ١٣ و ٢٧ و ٣٤ سوخو - ١٥ خاخوم - ١٦ أورسنوم - ١٨ شيناخ - ١٩ أشلاك -
 ٢١ تالخيوم - ٢٣ زاريلوم - ٢٥ و ٣٢ و ٣٣ أشنونا - ٣٠ آرامو - ٣١ أشوخ ولبدا -
 ٣٣ نيريبتوم وأشنونا - ٣٦ دور مانكيسايو - ٣٧ كرانا - ٣٨ كودال [...] - ٧ و ٣٩
 و ٤٠ ما بين النهرين .

ثالثاً - المواد المتعلقة بالعبيد في قوانين العصر البابلي القديم

قانون لبث - عشتار

- المادة ١٢: إذا أمة أو عبد رجل هربا إلى قلب المدينة (و) قد أثبت أن هو أو هي عاشا في منزل رجل آخر لمدة شهر واحد، هو سوف يعطي عبداً بعد.
- المادة ١٣: إذا هو لا يملك عبد، يجب عليه أن يدفع ١٥ شيقلاً من الفضة.
- المادة ١٤: إذا عبد رجل عوض عن عبوديته لسيده (و) ثبت أنه قد أدى التعويض مضاعفاً لسيده، فإن العبد يجب أن يعتق.
- المادة ٢٥: إذا تزوج رجل امرأة وأنجبت له أطفالاً وأولئك الأطفال بقوا على قيد الحياة، وأنجبت أمة أيضاً أطفالاً لسيدها، والأب منح الحرية للأمة ولأطفالها. أطفال الأمة لا يحق لهم اقتسام الممتلكات مع أطفال سيدهم.
- المادة ٢٦: إذا زوجته الأولى توفيت (و) بعد وفاتها هو أخذ أمتة كزوجة، الأطفال من زوجته الأولى هم ورثته، الأطفال الذين أنجبتهم الأمة لسيدها سيكونون مثل (أطفاله)، منزله هم يستفيدون.

قانون أشنونا

- المادة ١٥: لا يجوز للتاجر أو لبائعة الخمر أن يستلم من عبد أو من أمة فضة أو شعيراً أو صوفاً أو زيتاً بغية المتاجرة بهم.
- المادة ١٦: لا يجوز إبرام قرض (بصورة شرعية) مع شريك بالإرث أو مع عبد.
- المادة ٢٢: إذا لم يكن لرجل عند رجل (آخر) أية مطالب، (ومع ذلك) أخذ أمة هذا الرجل رهينة، فعلى صاحب الأمة أن يؤدي اليمين (قائلاً: ليس لك عندي أية مطالب)، (عندها) يجب على (المدعي) أن يدفع فضة تساوي سعر الأمة.
- المادة ٢٣: إذا لم يكن لرجل عند رجل (آخر) أية مطالب، (ومع ذلك) أخذ أمة هذا الرجل رهينة، وحجز الرهينة في بيته وسبب موتها، فعليه أن يعرض صاحب الأمة أمتين اثنتين.
- المادة ٣١: إذا فضَّ رجل بكارة أمة رجل آخر، فعليه أن يدفع ثلث مينا فضة، وتبقى الأمة ملكاً لسيدها.
- المادة ٣٣: (إذا تحالفت أمة وأعطت ابنها إلى ابنة رجل (حرة)، فبعد أن يكبر الولد إذا رآه سيده (وتعرف عليه)، يمكنه أن يلقي القبض عليه ويعيده إلى البيت).

- المادة ٣٤: إذا أعطت أمة القصر ابنها أو ابنتها إلى موشكينوم للتربية، فإن القصر يستعيد الابن أو الابنة التي أعطتها.
- المادة ٣٥: وعلى الأب المتبني الذي يأخذ ابن أمة القصر، أن يعطي القصر طفلاً بنفس القيمة.
- المادة ٤٠: إذا اشترى رجل عبداً أو أمة أو ثوراً أو أية بضاعة، ولم يستطع التعرف على البائع، فإنه يعد سارقاً.
- المادة ٥٠: إذا قبض على رجل ومعه عبد مسروق أو أمة مسروقة، فعليه أن يعرض عبداً بعبد وأمة بأمة). العقوبة هنا التعويض.
- المادة ٥١: إذا قبض رئيس المدينة أو مراقب القنوات أو أي موظف آخر على عبد هارب أو أمة هاربة أو ثور مفقود أو حمار مفقود يعود إلى القصر أو إلى مولى (موشكينوم) ولم يسلمه (في الحال) إلى مدينة أشنونا، بل احتفظ به في بيته. وعند مضي سبعة أيام من الشهر (والعبد لم يسلم بعد)، فإن القصر سيعتبره (أي الموظف المحتفظ بالعبد) سارقاً.
- المادة ٥٢: لا يحق للعبد أو الأمة العائدين لمدينة أشنونا والموسمين بـ (الكانوم أو المشكانوم أو الأبوتوم) أن يخرجوا من باب مدينة أشنونا دون إذن سيدهما.
- المادة ٥٣: يجب وضع علامة على العبد أو الأمة ممن دخل باب مدينة أشنونا لحراسة سفير (مبعوث أجنبي) بالكانوم والمشكانوم والأبوتوم ويبقى (العبد أو الأمة) في حراسة سيده.
- المادة ٥٤: إذا كان هناك ثور نطاح، وأعلنت السلطات صاحبه بذلك، ولكنه لم يقيد رأسه، فإذا نطح بعد ذلك إنساناً وقتله، فعلى صاحب الثور أن يدفع ثلثي مينا فضة.
- المادة ٥٥: وإذا نطح عبداً وقتله، فعليه أن يدفع خمسة عشر شيقلاً فضة.
- المادة ٥٦: إذا كان هناك كلب مسعور، وأعلنت السلطات صاحبه بذلك، لكن هذا لم يحرس كلبه، وعض إنساناً وسبب موته، فعلى صاحب الكلب أن يدفع ثلثي مينا من الفضة.
- المادة ٥٧: إذا عض عبداً وسبب موته، على صاحب الكلب أن يدفع خمسة عشر شيقلاً من الفضة.

قانون حمورابي

- المادة ٧: إذا اشترى رجل أو استلم على سبيل الأمانة إما فضة أو ذهباً أو عبداً أو أمة أو ثوراً أو شاة أو حماراً أو أي شيء (آخر) من يد ابن رجل أو يد عبد رجل دون شهود وعقود، فإن ذلك الرجل سارق ويجب أن يعذب.
- المادة ١٥: إذا جعل إنسان عبد القصر أو أمة القصر، أو عبد موشكينوم أو أمة موشكينوم يخرج من بوابة المدينة (يساعده على الهروب) يُقتل.
- المادة ١٦: إذا خبأ إنسان في بيته عبداً أو أمة هاربة تخص القصر أو أحد الموشكينوم ولم يخرجهما (أثر نداء المنادي)، فإن سيد هذا البيت يُقتل.
- المادة ١٧: إذا ضبط إنسان عبد أو أمة هاربة في الخلاء وقاده إلى سيده، يدفع له صاحب العبد شيقلين من الفضة.
- المادة ١٨: إذا لم يذكر ذلك العبد سيده، يقوده (الذي ضبطه) إلى القصر (حيث) يفحص وضعه (هناك) ويعاد إلى صاحبه.
- المادة ١٩: إذا احتفظ بهذا العبد في بيته، و (لكن) فيما بعد ضبط العبد في بيته، فإن هذا الإنسان يقتل.
- المادة ٢٠: إذا هرب العبد من يد القابض عليه، يقسم هذا الإنسان بحياة الإله لصاحب العبد (اليمين) ويصبح بريئاً.
- المادة ٢٧: إذا وقع ريدوم أو بائيروم في الأسر أثناء حملة الملك، وأُعطى حقله وبستانه إلى رجل آخر، وقام هذا بواجباته الإقطاعية (أي بدفع ما يترتب على الأرض من ضريبة) فإذا عاد (الريدوم أو البائيروم) ووصل إلى بلده، فيجب أن يعاد له حقله وبستانه، وعليه أن يقوم بأداء واجباته الإقطاعية.
- المادة ٢٨: إذا وقع (ريدوم أو بائيروم) في الأسر أثناء حملة الملك، وكان لديه ابن يستطيع أن يقوم بواجباته الإقطاعية، فيجب أن يُعطى الحقل والبستان له، وعليه أن يقوم بواجبات أبيه الإقطاعية.
- المادة ٢٩: إذا كان ابنه صغيراً لا يستطيع القيام بواجبات أبيه الإقطاعية، فيُعطى ثلث الحقل والبستان إلى أمه، وعلى أمه أن تربيته حتى يصبح كبيراً .
- المادة ٣٢: إذا افتدى تاجر ريدوم أو بائيروم وقع في الأسر خلال حملة عسكرية للملك، وجعله يصل مدينته، فيجب عليه (الريدوم أو البائيروم)، إذا كان لديه في بيته فضة لدفع الفدية، أن يفدي نفسه، أما إذا لم يكن في بيته فضة لدفع الفدية، فيجب أن يُفدى من

- قبل معبد إله مدينته، وإذا لم يكن لدى معبد إله مدينته فضة لفديته، فعلى القصر أن يفديه (أما) حقله وبستانه وبيته فلا يُسمح بأن تدفع فدية عنه.
- المادة ٥٣: إذا تقاعس رجل في تقوية سد حقله ولم يقو سده، وحدثت كسرة سده، فترك الماء يخرب الأرض المزروعة (المجاورة)، فعلى الرجل الذي حدثت الكسرة في سده أن يعوض الحبوب التي سبب تلفها.
- المادة ٥٤: فإن كان غير قادر على تعويض الحبوب، فعليهم أن يبيعوه وممتلكاته، وعلى المستأجرين (الفلاحين) الذين أئلف حبوبهم أن يقتسموا (الثمن).
- المادة ١١٥: إذا كان لإنسان (آخر) حبوب أو فضة وأخذ منه رهينه، وماتت الرهينة في بيت مرتهنها موتاً طبيعياً، فلا تنشأ من هذه القضية أية ادعاءات.
- المادة ١١٦: إذا ماتت الرهينة في بيت مرتهنها نتيجة الضرب أو سوء المعاملة، فيجب على صاحب الرهينة أن يثبت ذلك على تاجره (المقصود دائنه) فإذا (كان الأمر يتعلق) بابن إنسان (ما)، فعلى المرء أن يقتل ابنه (ابن التاجر)، وإذا (كان الأمر يتعلق بعبد إنسان (ما) فعليه أن يزن ثلث مينا فضة، ويخسر كل ما أعطاه (سابقاً) .
- المادة ١١٧: إذا تراكت ديون على شخص ما، وأعطى زوجته أو ابنه أو ابنته مقابل الفضة (أي الدين)، أو أعطاهم إلى عبودية الدين (أي وضعهم تحت تصرف دائنه)، فعليهم أن يعملوا في بيت مستعبدهم لمدة ثلاث سنوات، وفي السنة الرابعة يجب أن يطلق سراحهم .
- المادة ١١٨: إذا أعطى عبداً أو أمةً للخدمة لدى الدائن، فعلى الدائن أن ينتظر حتى يحين موعد دفع الدين، وبعد ذلك يستطيع الدائن أن يبيع الرهينة (العبد أو الأمة) مقابل المال، ولا يحق لسيدهم رفع دعوى ضد الدائن.
- المادة ١١٩: إذا أخرج رجل بسبب (حلول موعد) استحقاق الدين، فباع أمته التي ولدت له أطفالاً مقابل نقود، فإنه يستطيع أن يدفع (أي يعيد ثمنها) للتاجر الذي أعطاه النقود ويحرر أمته (من التاجر) .
- المادة ١٤١: إذا أرادت زوجة رجل التي تسكن في بيت رجل أن تخرج (من بيت زوجها) واقتنت ممتلكات خاصة (أي أنها استغلت بيت زوجها لصالحها) وبعثرت بيتها وأهملت زوجها، فعلى المرء أن يثبت ذلك عليها، فإذا قال زوجها: إنه يريد أن يطلقها، فإنه يستطيع أن يطلقها، ولا تُعطى شيئاً من مصروف طريقها (أو) نقود طلاقها، وإذا قال زوجها: لا أريد طلاقها، فإن زوجها يستطيع أن يتزوج امرأة ثانية، وتلك المرأة (الأولى) تسكن في بيت زوجها كأمة.

- المادة ١٤٤: إذا تزوج رجل كاهنة ناديتو وأعطت لزوجها أمة، وولدت له أطفالاً، فإذا عزم الرجل على الزواج من الشوجيتو فلا يسمح لذلك الرجل بالزواج، وعليه أن لا يتزوج الشوجيتو.
- المادة ١٤٥: إذا تزوج رجل كاهنة ناديتو، ولم تجهزه بالأطفال، وعزم على أن يتزوج الشوجيتو، فيمكنه ذلك ويدخلها إلى بيته، ويجب على الشوجيتو أن لا تساوي نفسها مع كاهنة الناديتو.
- المادة ١٤٦: إذا تزوج رجل كاهنة ناديتو وأعطت لزوجها أمة، فولدت هذه الأمة منه أطفالاً، وبعد ذلك ساوت الأمة نفسها مع سيدتها، بسبب إنجابها الأطفال لا يحق لسيدتها بيعها بالمال ولكن يمكنها أن تضع عليها (علامة العبودية)، وتعتبرها من الإماء.
- المادة ١٤٧: فإذا لم تتجب (الأمة) أطفالاً، فلسيدتها الحق أن تبيعها بالمال.
- المادة ١٥١: إذا كانت امرأة تعيش في بيت رجل (كزوجة) وتعاهدت مع زوجها وجعلته يدون عقداً (يؤكد فيه) أن دائن زوجها لا يحق له أخذها (ككفيل أو كرهينة)، فإن كان على هذا الرجل دين قبل زواجه من هذه المرأة، فلا يحق لدائنه أخذ زوجته أبداً، وإذا كان على تلك المرأة دين قبل دخولها بيت الرجل (أي زوجها)، فلا يحق لدائنها أخذ زوجها (كرهينة) أبداً.
- المادة ١٥٢: إذا ترتب عليهما دين (على الزوج و الزوجة) بعد أن دخلت هذه المرأة إلى بيت الرجل (أي بعد أن أصبحت زوجته)، فإنهما يدفعان للتاجر (أي الدائن) معاً.
- المادة ١٧٠: إذا ولد رجل ولدته له زوجته الأولى أولاداً، وولدت له أمتة أولاداً (أيضاً)، فإذا قال الأب في حياته للأولاد الذين ولدتهم له الأمة، أولادي، وساواهم مع أولاد الزوجة الأولى، فبعد أن يذهب الأب إلى قدره (يموت)، على أولاد الزوجة الأولى وأولاد الأمة أن يتقاسموا ممتلكات بيت أبيهم بالتساوي، الابن البكر، ابن الزوجة الأولى (يُسمح له) أن يختار ويأخذ حصته (أولاً).
- المادة ١٧١-أ: وإذا لم يقل الأب في حياته للأولاد الذين ولدتهم له الأمة، أولادي، فبعد أن يذهب الأب إلى قدره (يموت)، (لا يتقاسم) أبناء الأمة ممتلكات بيت الأب مع أبناء الزوجة الأولى، ولكن تُعتق الأمة وأولادها، ولا يجوز لأولاد المرأة الأولى أن يدّعو العبودية على أولاد الأمة.
- المادة ١٧١-ب: يمكن للزوجة الأولى أن تأخذ بائنتها وهدية الزواج التي أعطها إليها زوجها وكتبها لها على لوح مختوم، وأن تبقى ساكنة في مسكن زوجها، وتتفقد (بذلك) طوال الحياة، (ولكن) لا يحق لها أن تبيع (هذه الأشياء) مقابل فضة، وتعود تركتها إلى أولادها (من بعدها).

- المادة ١٧٥: إذا تزوج (حرفياً: أخذ) عبد القصر أو عبد موشكينوم ابنة إنسان (إنسان حر)، وولدت أولاداً، فإن صاحب العبد لا يحق له أن يدّعي العبودية على أولاد ابنة الإنسان (الحر).
- المادة ١٧٦ أ: إذا تزوج (أخذ) عبد القصر أو عبد موشكينوم ابنة إنسان (حر)، وعندما تزوجها دخلت مع بائلة بيت أبيها إلى بيت عبد القصر أو عبد الموشكينوم، و بعد أن اجتمعاً معاً بنيا بيتاً واقتنيا أثاثاً، بعد ذلك ذهب عبد القصر أو عبد الموشكينوم إلى قدره (مات)، (عندئذ) تأخذ ابنة الإنسان (الحر) بائنتها، وما كسباه زوجها وهي منذ أن اجتمعاً معاً يقسمه المرء إلى نصفين، نصف يأخذه مالك العبد، والنصف (الآخر) تأخذه ابنة الإنسان (الحر) لأولادها.
- المادة ١٧٦ ب: إذا لم يكن لدى ابنة الإنسان (الحر) بائلة، فعلى المرء أن يقسم ما كسباه زوجها وهي منذ أن اجتمعاً معاً إلى نصفين، نصف يأخذه مالك العبد، والنصف (الآخر) تأخذه ابنة الإنسان (الحر) لأولادها.
- المادة ١٩٩: إذا فقأ رجل حر عين عبد رجل حر أو كسر عظم عبد رجل حر، فعليه أن يدفع نصف ثمنه بالفضة.
- المادة ٢٠٥: إذا عبد رجل صفع ابن رجل على وجنته، هم سيقطعون أذنه.
- المادة ٢١٣: إذا ضرب رجل أمة رجل وتسبب في إجهاضها، فعليه أن يدفع شيقلين من الفضة.
- المادة ٢١٤: فإن ماتت تلك الأمة، فعليه أن يدفع ثلث مينا من الفضة.
- المادة ٢١٧: إذا أجرى طبيب عملية جراحية كبيرة بسكين من البرونز لعبد رجل أو فتح له خراجاً وأنقذ عينه، فعلى سيد العبد أن يعطي الطبيب شيقلين من الفضة.
- المادة ٢١٩: إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين برونزية لعبد رجل وسبب موته، هو سيعوض عبداً بعبد بقيمة مساوية.
- المادة ٢٢٠: إذا هو فتح له (للعبد) خراجاً بسكين برونزية وخرّب له عينه، هو سيزن ويسلم فضة مساوية لنصف قيمته.
- المادة ٢٢٣: إذا كان عبد رجل، فعلى صاحب العبد أن يعطي الطبيب شيقلين من الفضة.
- المادة ٢٢٦: إذا أزال حلاق علامة عبد دون معرفة صاحب العبد، يقطعون يد ذلك الحلاق.
- المادة ٢٢٧: إذا خدع رجل حلاقاً وأزال علامة العبد دون معرفة، يقتلون ذلك الرجل ويلقونه في بابه (و) يقسم الحلاق (لم أزل عن معرفة) ويخلى سبيله.

- المادة ٢٣١: إذا تسبب بموت عبد صاحب البيت، هو سيعطي لصاحب البيت عبداً بقيمة مساوية للعبد.
- المادة ٢٥١: إذا عرف ثور رجل بعادة النطح، وأخبرته سلطات مدينته أنه ينطح، ولكنه لم يخفف قرنيه ولم يربطه، وذلك الثور نطح شخصاً حراً وأماته، هو(صاحب الثور) سيدفع ثلاثون شيقلاً من الفضة.
- المادة ٢٥٢: إذا كان عبد رجل(من قتل بالنطح)، هو(صاحب الثور) سيعطي عشرين شيقلاً من الفضة.
- المادة ٢٧٨: إذا اشترى إنسان عبداً أو أمة، وقبل أن يمضي شهر(على ذلك) وأصابه(حرفياً: سقط عليه) مرض بينو bennu، فإنه يمكن له أن يردّه إلى بائعه، ويأخذ المشتري الفضة التي دفعها(حرفياً: وزنها).
- المادة ٢٧٩: إذا اشترى إنسان عبداً أو أمة، وظهر بشأنها ادعاء، فإن بائعها يتحمل مسؤولية الادعاء.
- المادة ٢٨٠: إذا اشترى إنسان في بلاد الأعداء عبد أو أمة إنسان(آخر)، وعند عودته إلى بلاده تعرّف صاحب العبد أو الأمة على عبده أو أمته، فيجب، إذا كان العبد أو الأمة هؤلاء من أبناء البلد(المقصود بابل)، أن يطلق سراحهما دون دفع أي تعويض مادي(حرفياً: فضة).
- المادة ٢٨١: أما إذا كانوا(العبد أو الأمة) أبناء بلد آخر، فيجب على المشتري أن يذكر أمام الإله(مقدار) الفضة التي دفعها(حرفياً: وزنها) (أي التاجر)، ويفك عبده أو أمته.
- المادة ٢٨٢: إذا قال العبد لسيده أنت لست سيدي، وثبت أنه عبده، فعلى سيده أن يقطع أذنه.

مرسوم عمي - صدوقا

- المادة ٢٠: إذا أدى التزام إلى حبس رهينة ضد مواطن نومييا Numhia، مواطن يموت بعل، مواطن أدمرص، مواطن أورو، مواطن إيسين، مواطن كيسورا، أو مواطن مالجيوم Malgium، في النتيجة أنه وضع شخص يخصه، زوجته أو أطفاله في عبودية الدين من أجل الفضة، أو كرهينة-لأن الملك قد أعلن الميشاروم misharum في الأرض، هو يطلق سراحه، حريته تُعطى).

- المادة ٢١: إذا أمة ولادة منزل أو عبد مواطن نوميًا، مواطن يموت بعل، مواطن أدمرص، مواطن أورو، مواطن إيسين، مواطن كيسورا أو مواطن مالجيوم[.....] الذين بثمان [.....]، قد بيعوا من أجل المال، أو أعطوا بسبب عبودية الدين، أو تركوا كرهينة، حريته سوف لن تحجز.

رابعاً - ملاحق النصوص

١ - رسائل إلى ملك ماري زمري - ليم :

الرسالة رقم 27 68 : (إلى سيدي أتحدث! خادمك زاكيرا- حمو يقول، مدينة قطوان والمنطقة بخير. بعد أن مرت فرقة يانسيب- داجان Yansib – Dagan ، عبد من القصر في قطوان قد اختفى، وأنا أرسلت كتبية الإنقاذ وراء ذلك العبد، وكتبية الإنقاذ بحثت (قرب المكان) عن ذلك العبد. و ١٠ [.....] ذهبوا [.....] و ٢٠ [.....] رجل الذين هاجموا النوميخين. جنودنا كانوا على وشك الهجوم على النوميخين، والنوميخين انسحبوا، قالوا، إخواننا! ماذا تفعلون ضدنا؟ نحن سنبحث عن أعدائنا،الياموت بعليين Yamutbaleans)^(١).

الرسالة رقم ٣٤٢ D.C : (إلى سيدي أتحدث! خادمك يمصوم يقول،نمخاNumha وإيكالتوم، جميعهم،أصبحوا بدون حبوب. والجنود نقلوا الحبوب من كرانا Karana، ثلاثة ونصف بوشيل من الحبوب. الجنود ماتوا من الجوع. وأنا سمعت من أولئك حولي، كبير التجار (آشور) جاء لمساعدة أشكور- أددو Askur – Addu . وآشور، محتكر التجارة في كرانا جميعها. أنا لم أهمل عملي: أنا اعتقلت بيدي شخص واحد و [.....] هو الذي أخبرني بالسر. أيضاً: من مدينة راصو Rasu حتى شا خادني Sa Hadnim على ضفة الدجلة،هم جعلوهم أسرى حرب. وأسراهم الحرب هم جلبوهم إلى إيكالاتوم. هذا يجب أن يعرفه سيدي)^(٢).

الرسالة رقم ٤٠٨ F.J : (إلى سيدي أتحدث! خادمك ياسيم- إيل يقول، بما أن اليوم الذي سيدي كتب لي حول تجمع الجنود، هم انقسموا إلى ثلاثة مجموعات، وإلى هذا اليوم أنا لم أكن قادراً على جمع الجنود ولم أكتب قائمة أسماء على اللوح ولم أرسله إلى سيدي. أنا الآن وصلت في أنذاريج، وجنود سيدي اجتمعوا، وياريخ - أبوم Yarih – Abum ، خادم سيدي، حدد مكان التجمع. بهذا أنا كتبت قائمة بأسماء الرجال الجاهزون، جنود الحاميات، الجنود المجازون " المأذونون " الفارون، الميتون، بكان على اللوح، وأرسلتها إلى سيدي. سيدي يجب أن يهتم بتلك الألواح. وسيدي سيرى بأنني قد نُزعتُ من قلبه بدون سبب واضح. المفسد ذهب في غيابي وأخبر أشياء غير جيدة أمام سيدي. حتى الآن جنود سيدي مجتمعة، سيدي يستطيع أن يرى إخلاصي أو عدم إخلاصي أمامه!

¹ - Heimpel, op.cit, p 433 .

² - Ibid ., p 309 .

بما أن اليوم جنود سيدي دعمت أتامروم، أتامروم قد قبض على ٢٠٠ أسير حرب في حملته، وهو وزع أسرى الحرب أولئك بحصص على حلفائه. شكل أسرى الحرب أولئك حصص للجنود. الأشنونيين، البابليين، والحلفاء وزعهم إلى جنودهم. وعشرة قدور، المراقب سلمني حصتي من أسرى الحرب. أنا وزعت تلك القدور على الجنود. أنا دعوت قادة المجموعات (العسكرية)، النواب (صف الضباط)، والجنود حول أسرى الحرب، وأنا تكلمت معهم كالتالي: أنا قلت، أنتم تعلمون بأن قصر سيدي لم يكتمل بنائه. الآن، أنا سأخذ هؤلاء أسرى الحرب وأسوقهم إلى سيدي. هذه الكلمة أنا تكلمتها معهم و قد لقيت الاهتمام من جنود سيدي، وأنا اخذت أولئك أسرى الحرب من الجنود. بهذا أنا كتبت قائمة بأسماء ٥٩ موظف على اللوح، وعهدت بهم إلى يد قيشتي- إيلابا Qisti - Ilaba وقيش- حومو Qis - Humu، وأنا سقتهم إلى سيدي. وأنا جندت أربعة رجال في الخدمة كموظفين، وهم سيأخذون على طول كأسرى حرب. عندما أولئك الأربعة رجال يصلوا أمام سيدي، سيدي يجب أن يأخذ حذره، وهم (أولئك المسؤولون) يجب أن يرسلوا أولئك الرجال بسرعة ليعودوا إلي. هؤلاء هم أسرى حرب الذين سيستخدمون في خدمة القصر^(١).

الرسالة رقم ٤١٣ F.J: (إلى سيدي أتحذث! خادمك ياسيم- إيل يقول، حول مسألة أشكو- أدو، كوكوتانوم، الذي أثار الأرض واختفى، هرب إلى أتامروم. أشكور- أدو سمع بأن ذلك الرجل وصل في أنداريج وكتب إلى أتامروم كالتالي: ذلك الرجل مجرم. اعتقاله وسوقه إلي! هذا هو كتبه، وأتامروم أجابه كالتالي: خمسة من خدمي، مجرمون، الذين معك - حررهم وسوقهم إلي، وأنا سوف أسوق لك كوكوتانوم من هنا. كما كتب أتامروم له هذا، هو حرر في الليل الخمسة رجال الذين أتامروم طلبهم وساقهم إلى أتامروم. وهو (أتامروم) صفع كوكوتانوم وقيده بالأغلال وساقه إلى أشكور- أدو. ابتداءً من وصوله، هاقيب- حامو [.....] قيده. بعد أن قتله بالقصب، ربطوه إلى [.....] وسحبوه في جميع جهات الأرض، قلبه (أشكور- أدو) اطمأن. وحول رحلته (أشكور- أدو) إلى سيدي، أنا تكلمت معه كالتالي: أنا قلت، أنت دعوت إلى محاسبة ذلك الرجل الذي سبب الضرر لك. ويدك قد اطمأنت. أنهض، أنا سأقودك، وسنذهب إلى والدك! هذا أنا ما قلته له، وهو أجابني كالتالي: الحقيقة بأنني دعوت خصمي أن يحاسب بالتأكد ليس [.....] مدينتي [.....]. أنا تكلمت معه (أشكور- أدو) عن العبيد ليعطيهم لسيدي، وهو أجابني كالتالي: كيف يمكن أن أوصل العبيد؟ [.....] فارغ اليدين [.....] مع [.....]؟ عندما أنا اذهب [.....] وكثير لسيدي. الآن، حتى أنا [.....] هذه المساعدة، [...]. وأنا شجعت بالذهاب إلى سيدي. إذا هو لم يقوم بواجب المساعدة لسيدي بسبب نقص الممتلكات ولم يذهب إلى سيدي، أنا يمكن أن أترك جنود الحامية التي سيدي كلفه بها وأخذ قيادة بقية جنودي

¹ - Ibid ., pp 348 – 349.

وأغادر لأجل سيدي. لكن بسبب ما كتب لي سيدي مرة، مرتين كالتالي: أنت تفعل ما هو يقول، لذلك، أنا نبهته في هذه المسألة^(١).

الرسالة رقم ٤٢٠ F.J (إلى سيدي أتحدث! خادمك ياسيم- إيل يقول، لاويليا Lawiliya، قائد منطقة حاربي Harbe ، ودولقان Dulqan ، رجل زينتان Zinnatan ، الذي إشمي- داجان أسرهم في حاربي - أولئك الرجال هربوا من إيكالاتوم، وأنا سألتهم عن أخبار إشمي داجان كالتالي: أنا قلت، ما هي أخباره؟ هم كلموني كالتالي:إشمي- داجان قد أرسل عيون للتجسس على معسكر سوخوم Suhum. هو سيهاجم معسكر سوخوم. هو وجه نظره إلى إحداث الضرر. كما قال لي أولئك الرجال، أنا أرسلت [.....] ،وهم وجهوا [.....] إلي، وأنا أعطيت أمر صارم. أنا قلت، أرسل خطاب، وهم(السوخيين) يجب أن يسحبوا المعسكر من جوار إيكالاتوم وأشور. إذا حدث أي ضرر في معسكر سيدي،أنت ستجيب عن جميع أسئلة سيدي.هذه الأشياء والكثير أنا أخبرته في تعابير صارمة وأرسلته إلى الجانب الأمامي من معسكره . أنا خشيت أن يتمكن إشمي داجان، من خلال بعض الإهمال، أن يحدث ضرر في معسكر سيدي، ويغضب شخص سيدي. سيدي يجب أن يكتب أمراً صارماً، وهم يجب أن يسحبوا المعسكر من جوار إيكالاتوم وأشور. أنا أرسلت كابي- إيلي Kapi - Ili ، رجل من ساغاراتوم، حارس شخصي،إلى كوردا Kurda ليستقصي أخبار عن حمورابي، وهو عاد لينقل كالتالي:هو جعل المبعوث آنا- شماش- تير Ana - Samas - Ter و[.....] كيريب- شيريش Kirib - Seris يجلبون ممتلكاتهم إلى القصر ويختمون العبيد، الإماء، الثيران، الحمير، والخراف بعلامة القصر. آنا- شماش- تير قد وضع في السجن في كوردا.

وهم اعتقلوا كيريب- شيريش ، وحمورابي أخذه إلى كسابا Kasapa . أنا لم اسمع بعد أخبار موتهم أو الصفح عنهم. أنا كتبت لكي أعرف. عندما أعرف أخبارهم كاملة، سأكتب إلى سيدي^(٢).

الرسالة رقم ٥١٤ B.L : (إلى سيدي أتحدث! خادمك إدياتوم يقول، الجنود ومدينة كرانا بخير. في رسالتي الأخيرة،أنا كتبت إلى سيدي بأن أرض أشكور- أدو[.....] والكشافون [.....] في [.....] وأمام الأعداء [.....] أربعة أيام، [.....] . بعد إرسال لوعي، هو أرسل [.....]. الجنود الإيكالاتيين ركزوا أنفسهم [.....] في منتصف نبات القصب. وعندما هم نصبوا الكمين، لا أحد شاهدتهم.[.....] أيام بعد إرسال لوعي الأخير، هو ذهب، والأعداء هاجموا

¹ - Ibid ., p 355 .

² - Ibid ., p 359 .

مدينة نسر.هم أسروا ٣٠ رجل وامرأة.[.....]خمسین رأس من الماشية. هم قتلوا رجالن وامرأة. و[.....] جنود مدينة نسر قتلوا اثنان إيكالاتيين وواحد أشنوني. ونجا سبعين جندي من مدينة نسر كانوا مطاردين.العدو قتل عشرون جندي من بينهم دليلهم [.....] إidal [.....] Adal (١).

الرسالة رقم ٥١٥ B.L: (إلى سيدي أتحذث! خادمك إدياتوم يقول، الجنود ومدينة كرانا بخير. بعد الهجوم الذي كان على مدينة نسر، الجنود واصلوا الدورية. وهم عادوا إلى كرانا. رسول إشمي- داجان جاء إلي وقال: لم نكن نحن الذين هاجمنا. من المحتمل المحتالين هاجموا. وإلى أشكور- أدو هم(الرسل) تحدثوا كالتالي:هل أنا إشمي- داجان ليس أخيك؟ هل أنا لم أؤدي القسم المقدس الذي [.....] ؟ وأقبا- حمو Haqba – Hammu تحدث إليه كالتالي:هل قمت بدورية في اليوم التالي [.....] لم تخرج. اليوم عندما [.....]، العدو هاجم وأسر أربعون رجل وامرأة، مئة رأس من الماشية، وألفا خروف. [.....] هو وصل إلى داخل كرانا(نحو) نصف ميل. أيضاً: وعدد الأعداء الذين هاجموا كانوا ٨٠٠ . وهم عادوا إلى رازاما Razama)(٢).

الرسالة رقم ٢٧ ١٤١: (إلى سيدي أتحذث! خادمك زمري- أدو يقول، جنود سيدي بخير. فيما مضى،أنا كتبت إلى سيدي بأننا أشعلنا النار في مكان البرج على الحافة السفلى، وبأن العدو [.....] من أجل الحصول على البرج الآخر. الآن، تلك الطريقة [.....] برج واحد. على المكان الباقي. والعمل داخل المدينة مقابل البرج من العدو ومتاريسه[.....] من دعامات أمامية التي هم(المدافعون) صنعوا حبلان عريضان، متاريسه لحبلين. و[.....] كانتا في موقع المتاريس. وخدم حمورابي تكلموا كالتالي: هم قالوا، نحن سنجعل هذه المتاريس عالية الـ [.....] من دعامات أمامية ونقوم بالمعركة من قمتها. العدو سوف لن يكون قادراً على فعل أي شيء لهذه المدينة.هذا ما قاله خدم حمورابي .

الجنود البابلية قامت بالإغارة على أرض أشنونا وأحرقت الحبوب.هم حملوا أسرى حرب،ماشية، وخراف. حمورابي ذهب إلى سيبار ليقابلهم ويستلم أسرى حرب منهم. هو جعل الجنود يعودون، قال: أرجعوا! تابعوا على ضربتكم! هم تراجعوا، إيلان- شيمي Ilan – Seme تابع تقدمهم)(٣).

¹ – Ibid ., p 397 .

² – Ibid ., p p 397 – 398 .

³ – Ibid ., pp 457 – 458 .

الرسالة رقم (8681 + A . 4511) D . C . 363

(قل لمولاي أن قال ياريم - أدو، خادمك: ما يزال جيش العدو مقيماً في أوبي بعد أن نصب خيامه. وما يزال جيش الأغرار التابع لعمورابي، مقيماً في مواجهتهم، جاهزاً للمعركة، ويراقب كل منهما الآخر. وفي اليوم الذي بعثت لمولاي هذه الرسالة، فإن حمورابي قد أعلن النفير العام في بلاده، فقد طلب جمهور التجار، وجميع الذكور، وذهب حتى تحرير العبيد، مما يملكه، وأرسل مندوباً كبيراً إلى ريم سين ليطلب جيشاً. لا أعلم حتى الآن، عن شيء يتعلق بوصول هذه القوات، بعد رسالتي هذه، سأكتب لمولاي تقريراً كاملاً عما سأعلمه، من جهة أخرى، فقد قيدوا بالحديد المندوبين العيلاميين، وأخذوا عبيدهم وأملاكهم وحميرهم للقصر. فليعلم مولاي)^(١).

الرسالة رقم (M.7099) D.C 302 (قل لمولاي أن قال خادمك يمصوم: إن جيش ومدينة مولاي بحالة جيدة. كان سيدي قد أمرني- ونحن في مدينة إلان صوراً مايلي: عليك أن تذهب إلى مدينة إلان صوراً. وتراقب ما أمرتك به. والواقع أن أحداً! ذهب لملاقاة مولاي ودس عليّ بهذه العبارة (ياسيم- إيل قد أوكل إلى يمصوم سبعة عبيد من نومخ، لقد استهان بقسم أيتور- مير Itur Mer - وبمولاي). أقسم بأنني لم أر شيئاً بين يدي ياسيم- إيل أو في يدي الجنود، وإنني لم أدخل شيئاً إلى مدينة إلان صوراً، وإنني لم أخف هذا الأمر على مولاي: وإلا من سينقذني من بين يدي مولاي ذات يوم. وكان أقبا- أخوم، أحد تابعي مولاي، وموضع ثقة، قد ساءلني أمام حيا- سومو، واستعرض قضية النوميخين، ولكن شيئاً لم يوجه ضدي، وانجلى موقعي. واليوم، فليعلم مولاي أن حيا- سومو لم يتوقف عن الكتابة إلى مولاي بالنميمة في موضوعي. فقد تحدث هذا الرجل أقبا أخوم ولكن... نهض حيا- سومو أمام أقبا أخوم وقال له: (لماذا أتيت وزدت في الأمر على يمصوم؟ فهل هذا القرار عادل؟ إنه لا يساوي شيء).

إن أقبا- أخوم تابع مولاي وجدير بالثقة، قد حقق في الأمر، ولم يوجه ضدي أي شيء، وعاد إلى أتامروم. وعندما كان ياسيم- إيل في طريقه إلى مدينة سيبخوم، فقد أرسل إليّ ثوراً بقره مع خادمة وساقها خادم لي سالمة إلى قطونان. يجب على أتامروم أن يسلم هذا الرجل، أو أن ياسيم قد أخذه. لا أعلم، إلا أن مولاي يجب أن يكون على بهذه الأخبار.

شيء آخر، سمعت من حولي [.....] إن حمورابي يعد لحرب [.....] لا أخبر حمورابي، وليعقد السلام معي! ... إن هقبا- أخوم قد ذهب)^(٢).

^١ - عبد الله، المرجع السابق، ص ٤٣ .

^٢ - المرجع نفسه، ص ٣٥ - ٣٦ .

الرسالة رقم ٤١٤ F.J: (إلى سيدي أتحذث! خادمك ياسيم- إيل يقول، ياقيم- ليم – Yaqqim Lim، خادم سيدي الذي بقي في قطارا كتب لي كالتالي:الرسل الإيكالاتين Ekallatean قد بقوا في قطارا لمدة عشرة أيام، وهم (السلطات في قطارا) خبئوهم من سيدي. طالما[.....] عبدو- ملك Habdu – Malik [.....]. هذا(ياقيم- ليم كتب لي). في اليوم الثالث بعد [.....] جلب [.....] لي كالتالي:جنود الإيكالاتين هاجموا مدينة نسر وحملوا ماشية وخراف. أنا كتبت إلى سيدي الأخبار التي هم أطلعوني عليها. وبهذا هم أخذوا على طول ٣٠ عبداً بالغاً و ٣٠ عبداً شاب من أنداريج إلى ماري.أنا لا أعرف، هل آخذهم على طول إلى القصر، أو بطريقة أخرى آخذهم على طول لأودعهم إلى الموظفين الإداريين؟ أنا لا أعرف)^(١).

٢ - النصوص المسماة :

نص يؤرخ في عهد الملك داميق - إيليشو ١٨١٦ - ١٧٩٤ ق.م، آخر ملك من سلالة إيسين، يخص موظفي المعبد (موظف المسح لكاهن الإلهة نينليل، وموظف البورسيومو pursbumu، جميعهم- حقل واحد مروى للمعيشة، زبدية واحدة زاكولا، أربع أدوات أثاث، سريران، كرسيان، عبد ذكر: حصاة أودودو Ududu، الابن الأكبر سنًا.

٥١٦ ٢ سار SAR و واحد غاين GIN منزل مبني مع ملحق ثلاثة غاين، بقيمة نصف شيقل للكل، ٩ غاين حقل مروي للمعيشة، بجوار نيكّا- نانانا Nanna - Nigga ، سعرهم بالكامل عشرة شيقل، ثوب واحد، بقيمة خمسة شيقل، خمسة عشر شيقل من المال،[.....]، بقيمة واحد مينا، موظف المسح لكاهن الإلهة نينليل (وموظفون البورسبومو)، جميعهم[.....]،[.....]كرسي، عبد واحد،(حصة) نينيب- ريم- إيلي Ninib-Rim - Ili .
(بالاتفاق المشترك) هم تقاسموا الأملاك، هم أقسموا بالملك^(٢).

النص رقم 183 8\2 PBS المؤرخ في السنة السابعة من عهد سمسو- إيلونا: (٣) أنية كابتوكو، ٢ سمكة، ١ زبدية خوبونو سعتها ١ سيلا sila، ١١٢ شيقل من الفضة تسلاويهم، عندما دخلت الفتاة الشابة الرواق. اشيقل من الفضة، حزام، إلى مار- إيريصتيم Mar – Ersetim بن واراد- إيريرا Warad – Irra ، والده. اشيقل من الفضة لخاتمين. إلى أوات- آجا Awat – Aja بنت واراد- إيريرا. ١ بان Ban من الطحين الناعم من الدرجة الأولى، ٥ سيلا من طحين

¹ – Heimpel ,op.cit, p 356 .

² - Chiera , E ., Legal and administrative documents from Nippur ,PP 52 - 53.

الشعير الجيد، ٤ آنية كالو ، ٣ آنية كابتوكو، [.....] تالنت من أغصان مقطعة من شجرة النخيل التي دخلت الرواق. ١١٤ شيقل من الفضة تساويهم التي جلبت من أجل أوات- آجا بنت واراد- إيرا ١ بان من الطحين الجيد من الدرجة الأولى، ٥ سيلا من الشعير الجيد، إناء كابتوكو، التي تكون من أجل مار- إيرصيتيم بن واراد- إيرا، ٢٠ سيلا حبوب من الفضة تساويهم.

١ سيلا من زيت السرو عند وصول قافلة مار- إيرصيتيم ، ١١٥ شيقل من الفضة تساويهم. المجموع ٣١٥ ٤ شيقل، ٢٥ حبوب من الفضة، هدية الدخول التي من أجل أوات- آجا ومار- إيرصيتيم، أطفال واراد- إيرا، أخذوا. لمدة ثلاثة أيام (من الاحتفال) sebut sattim سيبوت شاتيم، ١ قطعة من اللحم المشوي، وإناء كابتوكو، ٢٠ حبوب من الفضة تساويهم. اليوم الأول من احتفال سيبوت شاتيم، ٢ إناء كابتوكو، ١ قطعة من اللحم من رقبة مشرحة من ثور، كتف خروف، ١١٣ شيقل تساويهم. ١ زبدية خوبونو سعة ١ سيلا، ٥ حبوب من الفضة تساويهم. بعد أنا رجعت من المنطقة النائية، ١٠ أسماك، ٣ إناء كابتوكو، ١ بان من الطحين الجيد من الدرجة الأولى، ١١٣ شيقل من الفضة تساويهم. اليوم التذكاري للناديتو، ١١٤ شيقل من الفضة لرقبة ثور، وكتف جيد مقطع من ثور، ١١٣ شيقل، ٨ حبوب من الفضة تساويهم.

اليوم(الثاني) للاحتفال للناديتو، ١١٣ شيقل من الفضة للبيرة لكي تشرب أمتها الفتاة. الشهر سيبوت شاتيم sebut sattim. السنة : السلاح^(١).

النص رقم No.84، عمي- ديتانا، مهر لكاينة مردوك، الناديتو ليوير- إيساجيلا Liwwir Esagila - التي ستزوج من أبين كاهن عشتار واراد- شماش Warad - Samas : (أمة) واحدة باسم بيلاداتوم Belladatum ،أمة واحدة باسم شارات - سيار - [.....] Sarrat - Sippar . ستة شيقل من الذهب كحلقات أذن، واحد شيقل من الذهب كحلقة من أجل مقدمة أنفها، اثنان أساور " لليد " من الفضة بوزن أربعة شيقل، أربعة خلاخل " أساور قدم " من الفضة بوزن أربعة شيقل، عشرة ثياب، عشرين غطاء رأس، بطانية واحدة، معطفان، حقيبة جلد واحدة، ثور واحد، بقرتان عمرهما ثلاث سنوات، ثلاثون خروف، عشرون مينا من الصوف. مقلاة نحاس واحدة بسعة ثلاثين لتر، واحد حجر رحي لطحن الدقيق، سرير واحد، خمسة كراسي، خزانة زينة واحدة، واحد [.....]، سلة قصب واحدة. ستون لتر من زيت بذر الكتان الجيد، عشرة لتر من زيت عطري في جرة شكتم. صندوق خشبي واحد، اثنان مشط للصوف، ثلاثة أمشاط شعر، ثلاثة ملاعق خشب، اثنان نول خشب؟ ، وعاء خشب واحد، واحد

1 - Harris , R ., the naditu woman , Pp111 – 112 .

رف خشب صغير. امرأة واحدة [.....] ، رجل واحد ؟ قيشتي - ايلابرات (Qisti - Ilabrat ؟) . كل هذا يكون مهر ليوير - إيساجيلا الناديتو ؟ كاهنة مردوك بنت أويل - سين Sin - Awil بن أمكور - سين Sin - Imgur قد أعطاها، وجهاز لها لتدخل بيت أوتول - عشتار Utul - Istar كاهن عشتار بن كو - إنانا Ku - Inanna، كزوجة لأبنه واراد - شماش. الآن نصفنا من الفضة كمهرها قد ضم إلى ملكيتها ويعاد إلى والدها في القانون أوتول - عشتار، في أيام المستقبل جميع أطفالها سيرثونها. هم أقسموا بشماش، مردوك والملك عمي - ديتانا). تبع بأسماء ستة شهود ذكور، بما فيهم الكاتب. حافة اللوح غطيت بطبعات أختام متنوعة محطمة^(١).

العقد رقم IM.10110 ، بيع عبد ، يؤرخ في عهد سمسو - إيلونا.

(العبد اسمه شمش - كيما - إيليا Samas - Kima - ilia، من إيلياتوم Iliatum، وأويل - إيلي Awil - Ili أخوه، أبناء سولياتوم Sulilatatum، سيده (مالكه) ، سين - أمكور - أني Sin - Anni Imgur ابن بيلي Beli، أشتري، ١٣ شيقل فضة، ثمنه بالكامل، وزن .

في الأيام القادمة، في المستقبل، الادعاء الشرعي (فيما يتعلق بـ) العبد، (من قبل) القصر، وعامة الناس (الساكين).

(كل من) إيلياتوم

وأويل - إيلي، سيكونون مسئولين (أي سيقفون ضد أي إدعاء)،

وسوف لن يدعي أحدهما على الآخر، ترك العبد (مع سيده الجديد).

باسم الملك سمسو - إيلونا أقسموا.

الشاهد أبيل - إيليشو Apil - ilisu بن

إيلي - إيبال Ili - ipal بن

إيدين - إير Idin - erra بن

أويل - إيشوم Awil - isum بن إشمي - آيا

خابلوم Hablum بن كولالوم Kulalum

¹ - Ranke , H ., op . cit , pp 26 – 27.

إنبي إيليشو Inbi - ilisu بن سين - ماجر Sin - magir

إيشوم - أبي Isum - abi بن بيلي Beli

آبيل - أد Adad - Apil بن أويلوم Awilum

إنبي - إيليشو Inbi - ilisu بن

إيلوم - بيلني Isum - pilni بن

آبيل - إيررا Apil - erra بن سين ماجر Sin - magir .

شهر آب ، اليوم الثالث .

السنة (التي عمل بها) الملك سمسو - إيلونا المصطبة الملكية (ممثل ك) الجبل و النهر .

طبعة الختم :

إبيل - إيليشو Apil - Iisu

بن إلّاتي Ali - Illati

عبد الإله مارتو Martu

إبيل - سين Apil - Sin

ابن ابنيا Ibtnia

عبد الإله

والإله (١) .

العقد رقم 43846 . IM ، بيع عبد ، غير محددة السنة.

(السيد من أبي Abi ، سيده (مالكة) ، سين - ميلاني Sin - millani ، أشتري ، لثمنه الكامل ، فضة سيزن ، قلبه يطيب (يتراضيا) ، كلمتهم تمت ، وختمه مرره ، في الأيام القادمة رجل إلى رجل ، سوف لا يتراجع ، بحياة الإله تشباك Tispak و) الملك أقسما .

^١ - معضد ، المرجع السابق ، ص ٥٠٨ - ص ٥٠٩ .

المدعي ، نور Nur - .. ، الشاهد إير - نابو Erra - Nabu ، عشتار Istar
 بن أبو Abu ،، ابن ناشيا إيليشو Nasilisu ، إنبوشا Inbusa بن سين
 - إمكور - آني Anni - Imgur - Sin نابشيرام Nabseram ، ابن شوما - إيل
 Summa - II

نور إيليشو Nur - Ilisu ، بن إيلشوباني Isubani أبو Abu بن سين ،

شوريشتوم Suristum أُنبت كاماريم Kamarim

سين - تاباويدي Sin - Tabawidi (١).

نص رقم ٢٦ ، تقسيم تركة بين أربعة إخوة ،

(الأسطر الخمسة الأولى مهشمة . واحد غان ٣٦ سار [.....] حقل ، بطول بجوار
 إيلالي Elali ، ١١٢ ٥ سار حديقة وحقل [.....] ، احد جوانب الحديقة بجوار ابناء لو
 [.....] Lu ، مؤونة كهنية (تالفت من) طعام جيد، النصف، وذرة وتمور [.....]
 مakh ، النصف : حصّة مميزة من موظفي معبد نينسون Ninsun الـ كالو Kalu
 والباشيشو pashishu ، أثان شيقل فضة من ثمن شراء لاجل واراد - نين شاخ - Warad
 Nin Shakh ، زبدية زاكولا : حصّة الأخ الأكبر .

١١٢ ٥ غان (قصب جيد) حقل مساوٍ لمنزل مبني، بالطول بجوار إيلالي، عمه ، ٦ غان حقل
 ، بالطول بجوار سين - إيدينام Sin - Idinnam ، الكاهن ، ٣ غان أسفل الهضبة ، على أحد
 جوانبها بجوار نانار - آرا - مونجاين Nannar - Ara-Mungin . ١١٢ ٤ غان ١١ سار
 [.....] جلجامش Gilgamesh ، بالطول بجوار إيليل - لوشاج Ellil - Lushag ، أخيه ،
 موظف الباشيشو في معبد نينسون مساوٍ لحقل أوسو، ١٢ ١١٣ سار حديقة في [.....]
 حقل ، جانب الحديقة بجوار نانار - آرا - مونجاين ، أخيه ، النصف من مؤونة كهنية (تالفت
 من) طعام جيد ، الجزء الرابع، عشتار - ناخاري Ishtar - Nahrari ، الأمة، قيمتها بالمال ١١
 شيقل ، في ذلك (تالفت من) ١١٢ ٥ شيقل فضة، النصف، الذي أور - دوزاغا Ur-Duazagga

^١ - المرجع نفسه ، ص ٥١٢ .

من ميراثه قد دفع لـ أور - دون - بايا Ur-Dun-Paea ، باب ميرزا، قيمته بالمال ١١٢ ١ شيقل،
زبدية قيمتها بالمال ١١٢ شيقل، الرابع (شيقل)فضة التي اعتبرت من [.....] حصة إيليل -
لوشاج قد دفعه ، باب صينا، عمود؟

[.....]، أثاث منزلية الجزء الرابع: حصة ميراث أور - دوزاجا[.....] (١).

¹ -Poeble , A., op.cit , p 24 .

المراجع العربية و المعربة

- أبن منظور، لسان العرب، باب الألف، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ب . ت .
- أبو عساف، علي، الآراميون " تاريخاً ولغة وفناً "، الطبعة الأولى، دار أماني ، طرطوس، ١٩٨٨ م .
- الأحمد، سامي سعيد، وآخرون، الزراعة والري، حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥ م .
- إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، الطبعة الأولى، منشورات جامعة حلب، ٢٠٠١ م .
- الأسود، حكمت بشير، الرقم سبعة في حضارة بلاد الرافدين، الدلالات والرموز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠٧ م .
- بارو، اندريه، ماري، ترجمة رياح نفاخ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩ م.
- باقر، طه، مقدمة في تأريخ الحضارة القديمة، مصر القديمة - جزيرة العرب - الفرس - اليونان - الرومان، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار المعلمين العالمية، بغداد، ١٩٥١ م .
- البكري، محمد عبد الغني، الإعالة في العصر البابلي القديم، مجلة آداب الرافدين - العدد ٥٤، جامعة الموصل، ٢٠٠٩ م .
- الترماني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة العدد ٢٣، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٩٧٩ م .
- تلجي، أحمد، البنية الاجتماعية في العراق القديم من خلال التشريعات (العهد البابلي نموذجاً)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد ١٠، جامعة غرداية، ٢٠١٠ م .
- الجبوري، أحمد مجيد حميد، التنبؤ في العصر البابلي القديم، (دراسة موجزة في ضوء النصوص المسمارية)، مجلة سومر المجلد ٥٣ - الجزء الأول والثاني، مديرية الآثار العامة - وزارة الإعلام - بغداد، ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ م .
- الجبوري، سالم يحيى، والراوي، هالة عبد الكريم، دور ملكات وأميرات مملكتي ماري وكرانا من خلال رسائل العصر البابلي القديم، مجلة دراسات تاريخية العددان ١٠٥ - ١٠٦، جامعة دمشق، ٢٠٠٩ م .

- الجبوري ،علي ياسين،قاموس اللغة الأكادية - العربية ،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ،ب.ت ،
الجميل، عامر عبد الله، أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظاً والمختلفة موقعاً في
النصوص المسمارية، مجلة آداب الرافدين- العدد ٥٤، العراق- جامعة الموصل، ٢٠٠٩م.
- حنون، نائل، حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، الطبعة
الأولى، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٧ م .
- حنون، نائل، مدن قديمة ومواقع أثرية، الطبعة الأولى، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٩ م .
- حنون، نائل، نصوص مسمارية تاريخية وأدبية، دراسات فكرية من إصدار جامعة الكوفة
(الكتاب الثالث)، الطبعة الأولى، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٥ م .
- الحسناوي، فائز هادي علي، المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير
غير منشورة، كلية الآداب، قسم الآثار، جامعة بغداد، ٢٠٠٩ م .
- الحوراني، يوسف، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، الطبعة
الثانية، دار النهار، بيروت، ١٩٩٢ م .
- الحسيني، عباس علي، مملكة إيسين بين الإرث السومري والسيادة الأمورية، منشورات اتحاد
الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤ م .
- الحلو، عبد الله، تحقيقات تاريخية ولغوية في الأسماء الجغرافية السورية، الطبعة الأولى، دار
بيسان ، بيروت، ١٩٩٩ م .
- دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، الجزء الأول- الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ترجمة: ليون
يوسف، دائرة الأعلام- وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٠ م .
- دياكوف. ف ، وكوفاليف . س، الحضارات القديمة، الجزء الأول، ترجمة نسيم واكيم اليازجي،
الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين، دمشق ب . ت .
- الذنون، عبد الحكيم، التشريعات البابلية، الطبعة الأولى، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٠ م .
- رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، الطبعة الثالثة، دار الشؤون الثقافية العامة " آفاق
عربية"، بغداد، ١٩٨٧ م.

- الرويح، صالح حسين، العبيد في العراق القديم، الطبعة الأولى، مطبعة أوفسيت الميناء، بغداد، ١٩٧٧م.
- ساغز، هاري، عظمة آشور، الطبعة الأولى، ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار رسلان، دمشق، ٢٠٠٨ م .
- ساغز، هاري، عظمة بابل، ترجمة خالد اسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، دار رسلان، دمشق، ٢٠١١م .
- سعفان، كامل، معتقدات آسيوية (العراق .فارس . الهند . الصين . اليابان)، موسوعة الأديان القديمة، دار الندى ، نصر، ١٩٩٩م .
- سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ و حضارة الشرق الأدنى القديم(٥)، تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م .
- سليم، شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، إنكليزي-عربي، الطبعة الأولى، جامعة الكويت، ١٩٨١م .
- سليمان، توفيق، دراسات في حضارات غرب آسية القديمة من أقدم العصور إلى عام ١٩٠٠ق.م، (الشرق الأدنى القديم، بلاد ما بين النهرين، بلاد الشام)، الطبعة الأولى، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٥م.
- سليمان، كروان عامر، العقود ذات العلاقة بالإمءاء في العصر البابلي القديم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد ١٠، العددان ١- ٢، جامعة القادسية، ٢٠١١م .
- الطائي، منذر علي قاسم محمد، الأسعار والأجور في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٤م .
- عبد الحي، عمر محمد صبحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم، بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م .
- عبد الكريم، قصي منصور، جراحة التجميل في العراق القديم، دراسة في ضوء الكتابات المسمارية القانونية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الثالث- أيلول، ٢٠١٢م.

- عبد الله، فيصل، الرسائل السياسية في بلاد الشام "سورية العمورية" في القرن الثامن عشر ق.م، جامعة دمشق، ٢٠٠٥م.
- عيسى، لقاء جليل، الكفالة في النصوص المسمارية البابلية القديمة، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد ٩، العددان ٣ - ٤، جامعة القادسية، ٢٠١٠م .
- العيهار، محمد، إرهابات التشريع في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، ٢٠١٤م .
- غولايف، المدن الأولى، ترجمة طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م .
- فرانكفورت جون. ه. ، ولسن، وجاكوبسن، فرانكفورت توركيلا، ما قبل الفلسفة، الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م .
- فريشاو، بول، الجنس في العالم القديم، الحضارات الشرقية، ترجمة فائق دحدوح، الطبعة الرابعة، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٩م .
- فهد، سعد سلمان، رسائل مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم، مجلة كلية التربية الأساسية ١ جامعة بابل، العدد ١٧، أيلول، ٢٠١٤م .
- فيلهلم، جرنوت، الحوريون تاريخهم وحضارتهم"، ترجمة وتعليق فاروق إسماعيل، الطبعة الأولى، دار جدل، حلب ، ٢٠٠٠م .
- قابلو، جباغ، الطرق التجارية ووسائل النقل في بلدان الشرق العربي القديم خلال الألفين الثاني والأول ق.م، فعاليات الأسبوع الثقافي الرابع لقسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق ٦ - ٢٠ آذار، مطبعة الداودي ، دمشق، ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م .
- قرقلر، وائل، الزواج والطلاق دراسة لغوية وتاريخية مقارنة في النصوص البابلية(شريعة حمورابي) والعبرية (التوراة) والعربية (القرآن)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة حلب، ٢٠٠٩م.
- كلينكل، هورست، حمورابي البابلي وعصره، تعريب: محمد وحيد خياطة، الطبعة الأولى، دار المنارة، دمشق ، ١٩٩٠م .
- لويد، سيتن، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة محمد درويش، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٨م .

- مجيد، تحسين حميد، إقليم دىالى فى العصور القديمة، مجلة دىالى، العدد ٢٨ ، جامعة دىالى، ٢٠٠٩ م .
- محمد علي، محمد عبد اللطيف، سجلات ماري وما تلقيه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري من حوالي ١٨٢٠ - ١٧٦٠ ق.م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥ م .
- معضد، علي هاشم، نصوص اقتصادية (عقود بيع عبيد) من العصر البابلي القديم، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد السابع عشر، العدد ٤، جامعة القادسية، ٢٠١٤ م .
- مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى ٥٣٩ ق . م ، الطبعة الأولى، دار الأبجدية، دمشق، ١٩٩١ م .
- مرعي، عيد، تاريخ مملكة إبلا وآثارها، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق، ٢٠١٥ م .
- مرعي، عيد، التاجر ونشاطاته في العصر البابلي القديم، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٢٣ - ٢٤، جامعة دمشق، ١٩٨٦ م .
- مرعي، عيد، التقويم وحساب الزمن في حضارات الشرق القديم، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للبحث العلمي والتدريب الاثري، دمشق، ٢٠١٦ م .
- مرعي، عيد، حران في تاريخ الشرق القديم، مجلة دراسات تاريخية، العددان ١٠٧ - ١٠٨، جامعة دمشق، ٢٠٠٩ م .
- مرعي، عيد، رحلة في عالم الآثار، آثاريون ومدن أثرية، الطبعة الأولى، دار روافد للثقافة والفنون، دمشق، ٢٠١٠ م .
- مرعي، عيد، عبادة آلهة الخصوبة في الشرق القديم منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق، ٢٠١٦ م .
- مرعي، عيد، قوانين بلاد ما بين النهرين، دار الينابيع، دمشق، ١٩٩٥ م .
- مرعي، عيد، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، مكتبة الخبتي الثقافية، بيشة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

- مرعي، عيد، مملكة قطنة، مجلة دراسات تاريخية العددان ١١٧-١١٨، جامعة دمشق، ٢٠١٢ م.
- مرعي، عيد، يخدون- ليم ملك ماري (وثيقة تأسيس معبد إله الشمس) (شماش) في ماري، مجلة دراسات تاريخية- العددان ٢٧- ٢٨، جامعة دمشق، ١٩٨٧ م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ٢٠٠٤ م.
- مكنيل، وليم، وآخرون، شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة أسامة سراس، الطبعة الثانية، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٣ م.
- منشد، منشد مطلق، نصوص مسمارية اقتصادية من موقع أبو عنتيك، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد ١٦، العدد الثالث، جامعة القادسية، ٢٠١٣ م.
- موسيل، ألوا، الفرات الأوسط (رحلة وصفية ودراسات تاريخية)، ترجمة صدقي حمدي وعبد المطلب عبد الرحمن داوود، مراجعة صالح أحمد العلي وعلي محمد الميَّاح، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٩٠ م.
- مهران، محمد بيومي، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، الشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩ م.
- النعيمي، راجحة خضر عباس، الأعياد في حضارة بلاد الرافدين، دار صفحات، دمشق، ٢٠١١ م.
- الهاشمي، رضا جواد، وآخرون، القانون والأحوال الشخصية، حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥ م.

المراجع الأجنبية

- Beek, M.A., Atlas of Mesopotamia (A survey of the history and civilization of Mesopotamia from the stone Age to the fall of Babylon) , translated by Welsh , M.A ,University of Manchester ,Nelson,1962.
- Bertman,S., Handbook to life in an Ancient Mesopotamia, New York, 2003.
- Black' J.,and others, A concise Dictionary of Akkadian, 2nd corrected printing , Harrassowitz Verl. Wiesbaden , 2000 ,
- Borger , R., Assyrische – baby Ionische , zeichenliste , Neukirchener Verlag – Neukirchen – Vluyn, 1986.
- Buccellati, G., Terqa, An introduction to the site ,preprint on the occasion of the Symposium of Der ez– zor October, 1983.
- Chiera,E .,Legal and administrative documents from Nippur ,chiefly from the dynasties of Isin and Larsa, University of Pennsylvania, the University of Museum publications of the Babylonian section, volume – 8, No.1,Philadelphia, 1914 .
- Chiera, E., Old Babylonian contracts, University of Pennsylvania, the University museum, publications of the Babylonian section, volume– 8,No.2 , Philadelphia,1922.
- Clay, A.T., Miscellaneous inscriptions in the Yale Babylonian collection , Yale oriental series . Babylonian texts, volume–1,London,oxford,1915.
- Conlin, R.M., The scents of Larsa: A study of the aromatics industry in old Babylonian kingdom, cuneiform digital library journal,1,ISSN,2014.

- Culbertson, L., and others ,Slaves and households in the near east, Held at the Oriental Institute of the University of Chicago 5 – 6 March, 2010 .
- Dalley,S.,Old Babylonian dowries,Iraq ,volume ,XLII,part.1 ,British School of archaeology in Iraq ,London ,1980 .
- Dandamaev, M.A., Rabstvo v vavilonii ,VII – IV VV. DO N.E. (626–331 gg) , IZDATELCTVO "NAUKA".MOCKVA 1974.
- Ellis, M.D.J., The Division of Property at Tell Harmal, Journal of Cuneiform Studies, Volume, 26, No.3, Jul,the oriental institute of the university of Chicago,1974.
- Farber, W., Imgur– Sin und seine beiden shone: Eine (nicht ganz) neue Altbabylonische Erbtelungsurkunde aus Ur,gefunden wahrscheinlich in Larsa, from the workshop of the Chicago Assyrian Dictionary, Volume, 2 ,Studies presented to Robert. D, Biggs, the Oriental Institute of the University of Chicago, 2007 .
- Geyer, B., et Yves Monchambert, Jean, La Basse Vallee De L, Euphrate Syrien Du Neolithique A L, Avenement De L,Islam; geographie,archeologie et histoire ,Volume ,I , Beyrouth ,2003.
- Goetze, A., fifty old Babylonian letters from Harmal, SUMER ,A Journal of archaeology and history in Iraq ,volume ,14 ,No.1– 2,1958.
- Harris, R., Ancient Sippar, A demographic study of an old – : Babylonian city(1894 – 1595 B.C),Nederlands historsch – archaeologisch instituut te Istanbul,1975.
- Harris, R., the Naditu woman, studies presented to A. Leo Oppenheim, the oriental institute, University of Chicago,Illinois,1964.

- Heimpel, W., Letters to the King of Mary, a new translation, with historical introduction, notes, and commentary, Mesopotamian Civilizations.12 , Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana ,2003 .
- Jordan, M., Dictionary of Gods and Goddesses ,second edition ,Fact on file. Inc, New york,2004.
- Jacobsen, T., philological notes on Eshnunna and its inscriptions, James Henry Breasted , Assyriological studies, The oriental institute of the University of Chicago,1934.
- Koppen, F.V., the Geography of the slave trade and northern Mesopotamia in the late old Babylonian period,in :H.Hunger and R.Pruzsinsky (eds), Mesopotamian Dark ages, Revisited, CChem, 6 , Vienna, 33 – 9 – 2004 .
- Kramer, S.N., The Sumerians, their history, culture, and character ,the University of Chicago, press Chicago, 1963.
- Leick, G.,A dictionary of Ancient near eastern mythology, London, Francis & Taylor – Library,2003 .
- Liverani, M., the ancient near east, history, society and economy ,London and New York ,2014.
- Loesov, S., marginalia on the Akkadian Votive , Ancient near east studies, Russian state university for the Humanities, Moscow,2002 .
- Lurker, M., Dictionary of gods and goddesses, devils and demons ,London , 2004 .
- Mendelsohn, I., Slavery in the ancient near east, University of oxford,1949.
- Mieroop, M.V., the Ancient Mesopotamian city, clarendon press. Oxford, 1997.

- Nigel. S, and Nigel.T., Armies of the Ancient near east 3000 – 539 B.C, England ,1984.
- Oppenheim,A.L .,Ancient Mesopotamia portrait of a dead civilization , University of Chicago ,1977.
- Parpola.S., and Michael.P., the Helsinki atlas of the near east in the new– Assyrian period, Helsinki,2001.
- Poebel,A., Babylonian, Legal and business, documents from the time of the first dynasty of Babylon, chiefly from Nippur, Series– A,volume,6 ,Part,2 ,the University of Pennsylvania,Philadelphia,1909.
- Pritchard,J., Ancient near eastern texts, Relating to the old Testament, third edition with supplement, Princeton. New Jersey,1969.
- Al qudrah, H.M., SL – as a coinage term in the south Semitic and Nabataean inscriptions ,Queen Rania Faculty of Tourism and Heritage , the Hashemite University – Jordan,2015.
- Ranke,H., Babylonian, legal and business documents from the time of the first dynasty of Babylon, chiefly from Sippar, The Babylonian expedition of the university of Pennsylvania ,series– A : cuneiform texts, volume ,6 ,part,1, Philadelphia,1906.
- Rients,D.B., Amorites in the early old Babylonian period, University of Leiden,2014.
- Roth,M.T., Law collections from Mesopotamia and Asia minor, second edition, Volume ,6 , Society of Biblical literature, Writings from the Ancient world series, scholars press, Atlanta, Georgia, 1997.
- Saggs,H.W. F., Everyday life in Babylonia and Assyria, Assyrian international News Agency, Book online, published, 1965.

- Sallaberger,W, and others., The palace and the temple in Babylonian, the Babylonian world, edited by Gwendolyn, L, New York and London,2007.
- Sayce,A. H., Babylonians and Assyrians, life and customs, Oxford, London, 1900 .
- Seri,A., and others ,Domestic female slave during the old Babylonian period ,Slaves and households in the near east- edited by Culbertson, Laura, Held at the Oriental Institute of the University of Chicago 5-6 March,2010.
- Slanski,K .E., The law of Hammurabi and its audience, Yale journal of law and the humanities,Volume,24 ,Issue -1, article, 3,2012 .
- Snell,D., Slavery in the ancient Near East, The Cambridge world history of slavery,Volume,1,The Ancient Mediterranean world, Cambridge University Press, 2011.
- Spada,G., Two old Babylonian model contracts, cuneiform digital library Journal, part, 2,ISSN,University of Rome – Sapienza 24 March, 2014.
- Steele,L. D.,and Others., Women and gender in Babylonia ,the Babylonian world, edited by Gwendolyn, L,New York and London ,2007.
- Stillman,N, and Tallis,N., Armies of the Ancient near east 3000 – 539 B.C, England,1984.
- Vandorpe,L., The name is slave ?The slave onomastic of old Babylonian Sippar, Academiejaar, Universiteit Gent,2009 – 2010.
- Vollmers.G., Recordkeeping in Mesopotamian, Reclaiming accounting lost identity, University of Maine Orono,USA,1979.

- Warburton.D. A., and others., Working,A companion to the Ancient near east, Daniel C.Snell, Blackwell publishing, oxford ,2005.
- Wells,B., Law and practice, A companion to the Ancient near east, edited by Daniel, Snell, Blackwell, Oxford ,2005.
- Westbrook.R., Slave and master in Ancient near eastern law, issue- 4 symposium on Ancient law,Volume,70,Chicago- kent law review,June,1995.
- Whiting.R., Old Babylonian letters from tell Asmar, Assyriological studies. No.22,the oriental institute of the University of Chicago.Illinois,1987.
- Woolley,L .,Ur of the Chaldees, A record of seven years of excavation, the Norton library, New York,1965.
- Wyk,S.V., Old Babylonian family division agreement from a deceased estate analysis of its practical and theoretical mechanisms,Fundamina,19 , UNISA,University of south Africa,2013.
- Yamauchi,E., Slaves of God, Bulletin of the evangelical, society, Rutgers University, New Brunswick,1960 .

Summary of the Thesis in English

This treatise aims to presenting academic research about the Slavery in Old Babylonia age , as a system and as obvious in region Mesopotamia , the geographic area expanded from the Arabic Gulf southwards to Syrian Island northwards , and from Zagrous mountains eastwards to mole steppe westwards .This search consists of four main chapters , the first one :I present in thesis a historical about the Amorits and for the most kingdoms important which employ this age , and thesis social about society layers and personal status to this age . and thesis economic for the activities of economy and transportation ways to this age .

The second chapter :I presented in this it, thesis about slavery concept and explain lexical definition and Idiomatic definition (legality – sociability – exclusivity – religiosity – and philosophically) , and elements rise of the slavery . and I speak about sources the slavery which come the first one from prisoners of wars, debts of slavery , the slavery of starvation , the slavery as punishment , the slavery in case committing crimes appointee happen to persons utility others , and on way the trade .and also about problems this trade ,and the prices of the slaves,

The Third chapter : I talked about kinds of slaves , Firstly I talked about slaves of the temple , which obtained them by gifts and votaries submitted to it from the palace and from people other religious . and the second kind , slaves of the palace or slaves of the state , which became the highest authority in this age , where temple role receded , which had had the Lion's share from booties which included war's prisoners , where was commutation the slaves as gifts between the kings , rulers and commanders , as I talked about activities and work of the slaves, and the problems of arresting them by others .

The fourth chapter : I talked it about legal position for slave, I deal with his marriage to female slave and to free's woman , offering the priests female slaves for their husbands for bearing children , the escape of the slaves , marks of the slavery , selling the slaves , damaging of the slaves, Finally I talked about releasing the slaves .